٣٦٦
الجزء الرابع — المجلد السابع والأربعون



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



رمضان ١٣٩٢ هـ
تشرين الأول « أكتوبر » ١٩٧٢ م

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

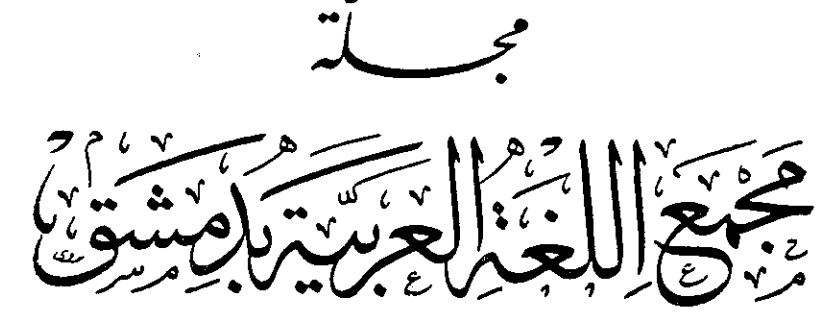
قيمة الاشتراك السنوي	في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الأقطار ١٢٠٠ قرش سوري
	أو ما يعادلها جنيه وعشر شلنات
	« « ثلاث دولارات

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته الى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

الجزء الرابع — المجلد السابع والأربعون



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٧٢ م — رمضان سنة ١٣٩٢ ه

المجاز في لغة العامة

الأستاذ شفيق جبري

إذا كان معنى المجاز في اللغة خلاف الحقيقة فالعامّة قد تلجأ في لغتها إلى هذا المجاز ، ففي دمشق مثلاً كثير من الألفاظ حوّلت العامّة معانيها عن الحقيقة إلى المجاز،وقد نجد مثل هذا التحويل في كثير من بلاد العرب ، إلاّ أني أقتصر في هذا المقال على طائفة من الألفاظ ، شاعت على ألسن العامّة في دمشق وفيها شيء من المجاز ، غير أن العامّة قد حافظت على أصل المعنى حيناً وانحرفت عن هذا الأصل حيناً آخر ، ولا بدّ من ضرب الأمثال في هذا الباب ، ولكن لا بأس قبل ذلك بالإشارة إلى أن الذين يبحثون عن اللغة وعن انتقالها من طور إلى طور لا ينبغي لهم أن يغفلوا عن البحث عن لغة العامّة ، فإذا اهتموا بهذا البحث اهتدوا إلى قدرة العامّة على تحويل الألفاظ عن معنى حقيقي إلى معنى

مجازي وإلى تصرّف في اللغة لا يقلّ عن تصرّف الخاصّة ، فإذا تغلغلنا في لغتهم وجدنا في هذه اللغة ألفاظاً فصيحة في أصلها إلاّ أنهم حوّلوها عن وجه إلى وجه فازدادت في بعض الأحيان قوّة في التعبير والتصوير .

فلنشرع في ضرب الأمثال :

نجد في اللغة لمادة : مَعَكَ معاني كثيرة ، من جماتها : معكه في التراب دلكه ، إلاّ أن العامّة لم تقتصر على حقيقة هذا المعنى ، فقد استخرجت من هذه المادّة صورة ثانية ، فمرّة كانت تحافظ على أصل المعنى ؛ فمن قولها في غسل الثياب امعكها ، أي اغسلها غسلاً جيداً أو ادلكها دلكاً شديداً ، فالمعك في هذا المقام هو الدلك ، فاللفظة لم تنحرف عن حقيقة معناهـــا ، ومن هذا القبيل مَعْك المشمش ، وهو الدلك أيضاً .

إلاّ أنهم إذا أرادوا أن يقولوا : فلان ضرب فلاناً ضربة شديدة قــالوا : معكه معكةً قوية ، فالمعك في هذا المقام معناه مجازي ، إلاّ أنـّا لا نجد تباعداً بين الحقيقة والمجاز فكما أن التي تغسل الثياب غسلاً جيداً تمعكها أي تدلكها فكذلك الذي يضرب الآخر ضرباً شديداً يمعكه أي يدلكه بالضرب كما يدلك الثوب بالغسل ، وللمعك أيضاً في لغة العامّة معنى مجازي آخر قد يُستغنى عن التصريح به حرصاً على الأدب .

ومن هذا القبيل لفظة : دعك ، في اللغة : دعك الثوب باللبس كمنع : ألان خشنته ، والخصمَ : ليّنه ، وفي التراب : مرّغه ، والأديمَ : دلكه .

فالعامّة نقلت معنى هذه المادّة من الحقيقة إلى المجاز ، وفي عملها هذا حذق ومهارة ، فهي تقول : فلان مدعوك ، أي أحكمته التجارب وصقله الزمن ، فهو يعرف مصادر الأمور ومواردها ، والخلاصة فهو غير مغفّل ، أفلا نجد مهارة في هذا التصرّف ، فكما أن الثوب المدعوك تذهب خشنته باللبس ، فكذلك الرجل المدعوك تذهب غباوته بالتجارب .

ولا بأس بالاستمرار في هذا الباب ، إن مادة : بلعه كسمعه معروف معناها ، إلا أن العامّة قد تصرّفت في هذا المعنى المعروف فنقلته من وجه إلى وجه ، فإذا أهان رجل رجلاً آخر أو أسمعه كلمة قاسية قالوا : فلان بلع الإهانة أو بلع الكلمة القاسية ، فهم يريدون بذلك أنه سكت عنها ومرّ بها فلم ينبس ، وإني أجد طرافة في هذا التعبير ، فكما أن الرجل يبلع المـــاء فكذلك يبلع الإهانة أو الكلمة القاسية ، وهو تعبير طريف ، وقد توسّعوا في هذا البـاب فإذا تكلّم أحدهم وأطال وضجر منه من يسمعه قـالوا له : ابلع ريقك ، أي اسكت قليلاً ، أو اترك غيرك يتكلّم ، وفي اللغة الفصيحة : أبلعني ريقي أي أمهلني مقدار ما أبلعه .

وفي بعض الأحيان تبعد الصلة بعض الشيء بين الحقيقة والمجاز في لغة العامّة ، من هذا الشكل مادة : نتع ، نجد في اللغة : نتع الدم نتوعاً ، خرج من الجرح قليلاً قليلاً ، وكذا الماء من العين ، والعرق من البدن ، فهذه المادّة معناها في اللغة واضح ، ولكن العامّة لم تقف عند هذا المعنى ، فإذا كان لك عند رجل وديعة وجئت تطالبه بها ونفسه لم ترض بتسليمها قال لك : انتعها على رأسك ، أي خذها لا ردّها الله ، أو إذا كانت امرأة عند زوجها وحصل بينهما بعض الخلاف وجاء أهلها للمعاتبة قال الرجل لأهلها : انتعوهـا على رؤوسكم ، فلا شك في أن الصلة في هذه المادّة بين الحقيقة والمجاز بعيدة ولست أدري هل نهتدي إلى شيء من التخريج في ذلك .

وإذا بعدت الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجـازي في بعض الأوقات فهذه الصلة قد تكون قريبة في أوقات ثانية ؛ لمادّة : (مصع) معانٍ كثيرة في اللغة الفصيحة ، في جملة هذه المعاني : مصعه ، ضربه بالسيف أو بالسوط ، أو ضرب ضربات قليلة ثلاثاً أو أربعاً ، ولا حاجة بنا إلى التوسّع في الإشارة إلى معاني هذه اللفظة .

فالعامّة لم تبعد كثيراً عن معنى هذه المادّة في لغتها ، فهي تقول : سيف

يصع رقبته ، إذا أرادت أن تدعو على أحد ، إلاّ أن اللغة الفصحى تستغني عن ذكر السيف ، والعامة لا مندوحة لها عن ذكر السيف .

ومن هذا النحو قول العامّة : قصف الله عمره أو شبابه ، نجد في اللغة : قصفه يقصفه قصفاً كسره، فالعامّة جاوزت هذا المعنى فقالت: قصف الله عمره، وأي فرق بين قصف العود وقصف العمر والشباب .

ومن المواطن التي قد تستحكم فيها الصلة بين الحقيقة والمجاز قولهم : أكل فلان رأسي، ماذا نجد في اللغة ؟ نجد معنى: أكلني رأسي إكالة بالكسر وأكالاً بالضم والفتح : حكّني ، فهذا معنى ظاهر ، إلاّ أن العامّة تصرّفت في هذا المعنى فإذا قالت : أكل فلان رأسي أرادت بذلك كثرة كلامه أو كثرة إلحاحه على حاجة من الحاجات .

ولننتقل أخيراً إلى مادّة : لفّ . في اللغة : لفّه ضد نشره ، ولهذه المادة معانٍ كثيرة لا نتبسط فيها ، فلننظر إلى تصرّف العامّة في معنى هذه اللفظة فإذا تنازع رجلان وجاؤوا ليصلحوا بينهما قالوا لأحدهما: لفّها ، أي اسكت أو امض لسبيلك ، فكأنهم يقولون له : اطوِ نزاعك وانصرف ، وإذا أرادت حكومة أن تطوي مسألة من المسائل أو قضية من القضايا قالوا : لفّتها ، أي أهملتها أو أماتتها ، فأيّ صلة أقرب من هذه الصلة بين الحقيقة والمجاز ؟

أفرأينا قدرة العامّة على التصرّف في الألفاظ الفصيحة وعلى براعتها في نقل هذه الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز ؟

شفيق جبري

نظـرة في

معجـم المصْطلحات الطبّـيّة

الكثير اللغات

للدكتور ا.ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر واحمد
حمدي الخيـاط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

الدكتور حسني سبح

استدراك وتعقيب

— ٢٠ —

٨٥٨٤ نقّى ، نظّف ، قشّر — 8584 Monder
وغَرْبل ونَخَل أيضاً

٨٥٨٥ خليـّة فَرْد ، مُفْردة الخلية — 8585 Monère
وأرجح أحادي الخلية .

٨٥٨٦ شبهُ مغوليّ — 8586 Mongoloïde
مغولاني او منغولاني جرياً على ما اقترحه مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٨٥٨٧ تعقّد الشَعر ، قصورٌ طوقي الشكل تعجـّر الأشعار — 8587 Monilethrix, aplasie moniliforme; nodosités des poils
وأفضل : الشعر الطَوْقي ، تشوه الشعر الطوقي الشكل ، تعقّد الشعر أو تعجره .

٨٥٩١ التهاب المفصل المُشوِّه (الرضي) — 8591 Monoarthrite déformante (traumatique)

وأرجح : التهاب المفصل الواحد المشوِّه (الرضي) . وسبق للجنة أن خصصت التهاب المفصل ترجمة لـ (arthrite) وترجمها مجمع اللغة العربية في القاهرة بالرثية [١] .

٨٥٩٣ وحيد الأساس — 8593 Monobasique

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي القاعدة .

٨٥٩٤ وحيد الجِذْعة، ذو خلية أم واحدة — 8594 Monoblaste(cellule - souche du monocyte)

وأرجح وحيد الأرومة (الخلية الأم لوحيدة النواة) وسبقت ملاحظتي على لفظة (blaste) [٢]

٨٥٩٧ وَحيد الخلية — 8597 Monocytaire

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي الخلية .

٨٥٩٨ كرية موحدةالنواة، خليّة وحيدةُ النواةِ الكبيرة — 8598 Monocyte; grand mononucléaire

وأرجح وحيدة الخلية ، وحيدة النواة الكبيرة

٨٥٩٩ وَحيد الغَوْل — 8599 Monol

وجاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي وحيد الجُزَيء والوحيد الحمض ، وفي الترجمة الألمانية الغول الوحيد التعادل [٣] وأرجح اللفظة الأخيرة في الترجمة .

---

(١) الصفحة ٤٧٧ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٤٩ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) einwertiger, monatomic alcohol, monoacid Alkohol

٨٦٠٠ وَحيد النواة 8600 Mononucléaire

والصحيح وَحيدة النواة بالتأنيث ، لأن اللفظة إما أن تلحق بالخلية أو بالكريوة ، وكلتاهما مؤنثة .

٨٦٠١ وحدة الصّفحة أو الطِراز 8601 Monophasie

والصحيح ترديد الكلام أو نَمَطية الكلام[١] . فقد جاء في معجم ستدمان[٢] في شرح لفظة (monophasia) : حالة مَرَضية تمتاز بترديد الكلمة الواحدة أو الجملة الواحدة ترديداً مستمراً .

٨٦٠٢ شلل طرف واحد 8602 Monoplégie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : الشلل الطرَفي ، وسبقت الإشارة الى هذه اللفظة باطلاق الشلل المنفرد عليها[٣] .

٨٦٠٣ وحيد القيمة ، وحيد التعادل ، وحيد التكافؤ 8603 Monovalent, ente

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة أحادي التكافؤ .

٨٦٠٥ مَسيخ ، أكشم 8605 Monstre

٨٦٠٦ مَسْخ ، كَشَم 8606 Monstrosité

وأرى أن يقتصر على اللفظة الأولى (مسيخ ومسخ) ولأن لأكشم وكَشَم معاني غير المقصودة هنا[٤] .

---

(١) الصفحة ٥٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) Stedman's Medical dictionary 1966

(٣) الصفحة ١٠٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في لسان العرب : كشم أنفه دقّة وكشم أنفه يكشِمه كشماً جدعه ، والكشم قطع الأنف باستئصال، الى أن قال أيضاً : والكشم نقصان الخَلْق والحسَب والأكشم الناقص الخَلْق، رجل اكشم بيّن الكَشَم ، وقد يكون ذلك النقصان أيضاً في الحسب.

٨٦١٥ مَرَضي ، وَبِيل — 8615 Morbide

وأرى أن يقتصر على اللفظة الأولى وحدها[١] .

٨٦١٦ مَرَض ، وَبالة ، اسباب المرض — 8616 Morbidité

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مَرَضانية وجاء في الشرح : نسبة حدوث المرض في جماعة من الناس . كما أن لهذه اللفظة معنى آخر وهو حالة المرض كما جاء في معجم ستدمان[٢] .

٨٦١٧ مُمْرِض ، مُسْقِم — 8617 Morbifique

أفضل الأقتصار على اللفظة الأولى .

٨٦١٩ حَصْبي الشكل — 8619 Morbilliforme

حَصَباني ، كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٨٦٢٠ قِطْعة ، سبيخة ، لُقْمَة — 8620 Morceau, bouchée

وأرجح قطعة وكِسْرة للفظة الأولى ولُقْمة للثانية ، والسبيخة خاصة بالقطن والصوف[٣] .

٨٦٢٤ مَعْرِض الموتى ، مَشْرَحة — 8624 Morgue

وأرجح مَعرِض الجُثَث أو مستودعها تاركاً المشرحة ترجمة لـ (salle de dissection)

٨٦٢٥ مَسّ الثرثرة ، هَذَر — 8625 Moria

لهذه اللفظة (كما جاء في معجم ستدمان)[٤] معنَيان :(١) الخمول

(١) في لسان العرب : الوبيل من المرعى الوخيم ، وَبُل المرتــع وَبالة وَوَبالاً وَوَبلاً ، وأرض وبيلة وخيمة المرتع الى أن قال : والوبيل الذي لايستمرأ وماء وَبيل وَوَبي وخيم ، اذا كان غير مَريء وقيل هو الثقيل الغليظ جداً .

(٢) Stedman's Medical Dictionary

(٣) في لسان العرب : والسبيخ من القطن مايسبخ بعد الندف أي يلف لتغزله المرأة ، والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر .

(٤) لفظة moria في Stedman's Medical dictionary

والبلادة وفي الفهم خاصة ، (٢) حالة عقلية تمتاز بالطيش وبالميل الى الحركة ، وعدم النظر الى الامور نظرة جدية ، لذا ارجح ترجمة اللفظة بالبُلْدة في المعنى الأول وبالهَذَر بالمعنى الثاني (١) .

٨٦٢٨ نَمَش ، كَلَف مُنقّط ، تصلب الجلد المحدود السطحي أو الرّقي ، تصلب الجلد اللوْيحي — 8628 Morphée en gouttes, sclérodermie circonscrite superficielle ou par cheminée, sclérodermie en plaques

وأفضل قَشْعة (١) على هيئة القَطَرات ، قَشْعة محدودة سطحية (أو تصلب الجلد المحدود والسطحي) أو الرقيّ ، والقَشْعة اللويحية أو تصلب الجلد اللويحي . وسبق للجنة أن استعملت لفظة كَلَف ترجمة لِ (éphélides) (اللفظة ٥٠٣٧) .

٨٦٣٣ إدمان المُرْفين ، جِنّة المُرْفين — 8633 Morphinomanie

وأفضل هَوَس المُرْفين .

٨٦٣٥ عِلْم التَقْطيع ، عِلْم الأشكال — 8635 Morphologie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : علم التشكل بين مصطلحات علوم الأحياء ، كما سبق له أن أقر مورفولوجية في مصطلحات الطب والتشريح ، وأرجح الأولى .

٨٦٣٧ أسنان مِنْقاش — 8637 Mors d'une pince

وأرجح ساق مِلْقَط .

٨٦٤١ إصقاع ، مَوْت من البَرْد — 8641 mort par exposition au froid

وأفضل موت بالإصقاع أو بالصَقَع (٤) .

(١) في لسان العرب : البُلْدة ضد النفاذ والذكاء والمضاء في الأمور ، الهَذَر الكلام لايُعبأ به هَذَر كلامه هذراً أكثر في الخطأ والباطل .

(٢) الصفحة ١٠٤ في المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في لسان العرب : والصَقيع الذي يسقط من السماء بالليل شبيه بالثلج وصُقِعَت الأرض وأصقعت فهي مصقوعة ، الى ان قال أصقع الصقيع الشجر والشّجر صَقِيعٌ ومُصقَع .

٨٦٤٥ خُفُوت بتوقف القلب 8645 mort subite par arrêt du cœur
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الموت الفُجائي (غير المنتظر)
وسبقت النظرة الى هذه اللفظة[١] .

٨٦٤٦ موت بالغَرَق ، بالغَطْس 8646 mort par submersion
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة بالغَمْر[٢] .

٨٦٤٧ موت تُوتي 8647 mort thymique (dans l'asthme thymique)
(في الربو التُوتي)
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (thymus) بتوثة
(بالثاء) معرفاً اياها بأنها غدة في مقدم الصدر ، وسبق لي أن
اقترحت التعريب بالتيموس[٣]
وعليه تكون ترجمة اللفظة موت توثي أو تيموسي (في الربو
التوثي) .

٨٦٤٩ هاوِن ، جُرْن 8649 Mortier
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة هاوون - هون (هاوون)
وجاء في الشرح :
وعاء مجوّف يصنع من الحديد أو النحاس أو العقيق يدق فيه[٤]

---

(١) الصفحة ١٠٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في لسان العرب : غَمَره الماء يغمره غَمراً واغتَمَره عَلاه وغطّاه ، الغَطس في الماء الغَمْس فيه غَطَسه في الماء يغطِسه غطساً وغطسة في الماء وقَمَسه ومَقَله غمسه فيه .

الغرق : الرسوب في الماء

(٣) الصفحة ٥٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في لسان العرب : الهاوَن والهاوُن والهاوون فارسي معرّب ، هذا الذي يدق فيه . الجُرْن حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

٨٦٥١ تموت اللُّب — 8651 mortification pulpaire

وأفضل تموتُ لُبي .

٨٦٥٩ تحرُّك — 8659 Motilité

ودرجت على ترجمة اللفظة بحَراك[١] .

٨٦٦٢ خَوْتع ، ذباب أزرق ، ذباب اللحم . — 8662 mouche bleue, mouche à viande

وأفضل أن يقتصر في ترجمة اللفظة على ذبابة اللحم الزرقاء كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي ، وإن قال في ترجمتها خَوْمَع (فلعله خطأ مطبعي) ولخوتع معنى آخر[٢] .

٨٦٦٣ ذباب داجن — 8663 mouche domestique

ذبابة أهلية ، ذبابة بيتية في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي[٣] .

٨٦٦٨ مُنقّط مُرقّط ، مُبَقّع — 8668 moucheté, ée ; tacheté , ée

وأرقط في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي وجاء في الشرح : ذو رُقْطة وهي نكَت شعر أسود مبعثر في ثوب الفرس .

---

(١) في لسان العرب : الحَرَكة ضد السكون ، حَرُك يحرُك حَرَكة فتحرك وكذلك يتحرك وتقول : قد اعيا فما به حَراك .

(٢) في تاج العروس : والخوتع كجوهر ضرب من الذباب كبار وقيل ذباب الكلب وقال ابو حنيفة ذباب أزرق يكون في العشب ، والخوتع ولد الأرنب . أما الخومع فهو مفرد الخوامع أي الضباع اسم لها لازم لانها تخمع ، وخَمَع في مِشيته اذا عَرَج والخُماع العَرَج .

(٣) في لسان العرب : دَجَن في المكان يَدجن دُجوناً أقام به وألفه .

٨٦٧١ مَرقَدة ، مَصْهَر (أسنان) 8671 moufle cylindre (dent.)
بَوتقة ج بواتق في معجم مصطلحات تعويض الأسنان الدكتور ميشيل خوري[1] .

٨٦٧٢ بَلُولية ، رطوبة 8672 Mouillabilité
وأفضل الإقتصار على بلولية .

٨٦٧٣ صوغ ، افراغ في القالب 8673 Moulage
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (moulding) بين مصطلحات علم التوليد بالانصياع وأقر ترجمة (excessive moulding) بفرط الانصياع (الشكل). وجاء في الشرح : شدة انضغاط رأس الجميل في أثناء مروره بالحوض .
ولعلَّ لفظة قَوْلَبَة تفيد المعنى ويستساغ استعمالها .

٨٦٧٤ قالَب ، طابَع 8674 Moule
وأفضل الاقتصار على قالَب .

٨٦٧٥ نَاعِمَة مُنشَطِرة (أم الخلول) 8675 Moule (mollusque)
وجاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الأمير مصطفى الشهابي (وهو الأفضل) : ميدية ، بَلَح البحر (جنس مَحار من فصيلة الميدّيات فيه أنواع تربّى لتؤكل) .

٨٦٧٨ قالَب لصلب البارافين 8678 moule à paraffine
وأرجح قالب بالبارافين .

---

(١) وجاء في الشرح : أ علبة معدنية أو أنبوب معدني يستعملان في أعمال الكسو ويراد بالكسو غمس النماذج الشمعية بالمسحوق الكامي .
«ب» علبة معدنية مجزأة (sectional) يهيأ فيها قالَب مجزأ من الجِبْس الحجري أو جبس باريس لغرض حشو وضغط وتصنيع الاجهزة السنية وسواها من الأعواض (جمع عِوض) الاتنجية .

٨٦٧٩ مات جوعاً 8679 Mourir de faim

وأرجح تضور جوعاً بالمعنى المجازي ومات صبراً من الجوع .

٨٦٨٠ مات بَرْداً ، هَلَكَ بَرْداً 8680 Mourir de froid, périr de froid

وأفضل مات صَقَعاً ، وهلك أو تَلِف صَقَعاً .

٨٦٨٣ أسودُ البلاتين، اسفنج البلاتين 8683 mousse de platine éponge de platine

وأفضل زَبَد البلاتين في اللفظة الأولى، لأن ما تعنيه اللفظة كتلة من هذا المعدن تحوي في طياتها غازاً .

٨٦٨٤ بَعوض ، قَرْقس 8684 Moustique , cousin

وأرجح بَعوض، برغَش لأن للفظة قِرقِس (بالكسر) معنى آخر[1].

٨٦٨٥ أمّ الخَمَيرة 8635 Moût

والصحيح عصير العِنَب [2] كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي : عصير عصار وعصارة وجاء في الشرح : سائل سكري يستخرج من بعض الثمار كالعنب والتفاح والكمثرى ويُعد للاختمار .

٨٦٨٧ أم الجِعَة 8687 moût de bière

الجِعَة الحديثة الصنع كما جاء في شرح لفظة (beer wort) الواردة في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي[3] .

---

(١) في لسان العرب: القِرقِس البعوض وقيل البق والقِرقِس الذي يقال الجِرجِس شبه البق .

(٢) وكما جاء في معجم لاروس : عصير العنب الذي لما يتخمر قطعياً ، وكذلك في معجم ستدمان في لفظة Must : غير المختمر من عصير العنب وغيره من الثمر .

(٣) معجم سعادة (Saadeh's dictionary) .

٨٦٩٤ طِحْن — 8694 mouture

والصحيح طَحْن بالفتح[١] .

٨٦٩٦ حركة مشتركة ، حركة اشتراكية اشتراك الحركة — 8696 mouvement associé synergique , associé

ودرجت عن ترجمة اللفظة بالحَركة المشارِكة ،[٢] وحركة المشارَكة واشتراك الحَركة .

٨٦٩٧ حركة قبّانية ، حركة القبّان — 8697 mouvement de bascule

وأرجح التراوح أو حركة التراوح .

٨٦٩٨ نَغَشان بَرَوْني — 8698 mouvement brownien

وأقر المجمع اللغة العربية في القاهرة البَرَوْنية أو البُرُونِية .

٨٦٩٩ حَرَكة قَسْرية ، لا إرادية — 8699 mouvement forcé involontaire

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحركة الاضطرارية ترجمة لِ (mouvement involontaire)

٨٧٠٠ حركة تدوير القسم العلوي من الجسد القسرية اللاارادية — 8700 mouvement forcé involontaire, rotation de la partie supérieure du corps

وأفضل أن تكون الترجمة كما يلي : حركة قسرية ، اضطرارية ، إدارة القسم العلوي من الجسد .

٨٧٠١ حركة ترويضية — 8701 mouvement de manège

وأفضل حركة الترويض .

---

(١) المقصود هنا فعل الطَحن كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الاصلي (grinding) ففي لسان العرب: الطَّحْن الطحين المطحون والطَّحْن الفعل والطِحْن بالكسر الدقيق .

(٢) وهو ماأقره مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضاً .

8702 mouvement obsessionnel — ٨٧٠٢ حركة وسواسية

وأفضل حركة مُسْتَحْوِذة أو حركة مُلْزِمة ترجمة للفظة في الانكليزية (compulsive) كما جاء في المعجم الأصلي ولا أرى في الوسوسة ما يؤدي المعنى المطلوب[1] .

8703 mouvement d'opposition — ٨٧٠٣ حركةٌ مُضادّةٌ

وأرجح حركة المقاومة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] .

8704 Mouvement passif — ٨٧٠٤ حَركة مُنْفَعِلة ، تمرين منفعِل

exercice passif

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة الأولى بحركة إنفعالية وأرجح ترجمة اللجنة (منفعلة) .

8708 mouvement à resistance active — ٨٧٠٨ حركة بمقاومة فاعلة

وأفضل حركة ممانعة ذاتية ، وقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (active movement) بالحركة الذاتية وبحركة فاعلية .

8711 Moyen, enne — ٨٧١١ وَسط

وَسَط ومتوسط

8717 Muco - pus — ٨٧١٧ مخاط – قيح

وأرجح قيح مخاطي

8721 Mucosité, mucus, glaire — ٨٧٢١ مُخاطِيّة ، مُخاط ، مُغاط

وأفضل ترجمة لفظة (glaire) بالآح لا المُغاط[3] لأن منظر هذه المادة يشبه الآح تماماً

(١) في لسان العرب : الوَسْوَسة والوِسْواس حديث النفس يقال وَسْوَست اليه نَفسه وَسْوَسة ووِسواساً بكسر الواو ، والوَسواس بالفتح الاسم - والوسواس الشيطان.

(٢) defense movement

(٣) في لسان العرب : المَغْط مد الشيء وخص بعضهم به الشيء اللين كالمصران ونحوه مَغَطَه مَغْطاً .

٨٧٢٨ متعدد الحَمْل — 8728 Multigeste

والصحيح متعددة الحَبَل ، لأن الحَمْل خاص بالأناث اطلاقاً والحَبَل يرجح استعماله للنساء .

٨٧٣١ ضائنة — 8731 Multipare

وأقر مجمع اللغـة العربية في القـاهرة الضائنة – الولود (الكثيرة الولد) .

٨٧٣٦ جداري — 8736 Mural, ale

الأفضل حائطي وجداري لاسيما وأن اللفظة الاخيرة ترجمة للفظة (pariétal) (اللفظة ٩٨٥٩) .

٨٧٣٨ تُوتٌ بَرّيّ — 8738 mûres sauvages (des ronces)

وهو المعروف بالعلّيق .

٨٧٤٢ جُرْذي اللون — 8742 Murin, ine

والصحيح جرذي اطلاقاً لا للون وحده .

٨٧٤٣ حَفيف حُوَيْصلي ، نفخة حُوَيْصلية — 8743 murmure vésiculaire, souffle vésiculaire.

وأقر مجمع اللغة العربيـة في القاهرة ترجمة اللفظة الاولى باللغط الحويصلي .

٨٧٤٤ حَفيف حُوَيْصلي مُرتج خشن مقنع . — 8744 murmure vésiculaire saccadé, rude, voilé.

والأفضل لغط حويصلي مرتج في اللفظة الأولى .

٨٧٤٦ طِيبٌ ، جَوْزُ الطيب — 8746 muscade, noix muscade

والصحيح جوز الطيب جُوزبَوّى كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي وليس لطيب وحـده أن يدل على النبات المذكور .

٨٧٦٢ عَضَلَةٌ مُنْعِظَة، 8762 muscle érecteur, horipilateur, piloarrecteur

هنا أولاً غلط مطبعي في اللفظة الفرنسية والصحيح (arrecteur)
تبعه غلط في الترجمة والصحيح عضلةُ مُقفِّفة[1] أو ناصبة الشَعْر
لا مُنْعِظة[2]. واقتصرت الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي
على عضلة الشعر[3].

وقد وردت عضلة منعِظة (m. érecteur) في اللفظة ذات الرقم (٨٨٠١).

٨٧٦٣ عَضَلَةٌ ذاتُ رأسَين عَضُدية 8763 muscle biceps brachial

٨٧٦٤ عَضَلَة ذاتُ رأسَين فخذية 8764 muscle biceps crural

وأرجح العضلة ذاتَ الرأسين العضدية والعضلة ذات الرأسين الفخذية

٨٧٦٥ عَضَلَة عَضُدية أمامية 8765 muscle brachial antérieur

وأرجح العضلة العضدية الأمامية

٨٧٧٥ عَضَلَةٌ عُنْكولة الذَّقَن شبه المخروطية 8775 muscle conoïde de la houppe du menton

والأفضل العضلة الذقنية كما جـــاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي[4].

٨٧٧٦ عَضَلَةٌ عاصِرة البلعوم 8776 muscle constricteur du pharynx

والأفضل العضلة مُقبِضَة البلعوم لتخصيص لفظة عاصرة ترجمة لـ (sphincter)

٨٧٧٨ عضلة مُقَطِّبة حاجبية 8778 muscle corrugateur

(١) في لسان العرب: والقَفّة الرِعْدة وعليه قُفّة أي رِعْدة وقُشَعْريرة، وقفّ يقِف قُفوفاً أرغد واقشعرّ وقفّ شعري أي قام من الفزع.

(٢) في لسان العرب : نعِظ الذَكَرُ يَنْعِظ نَعْظاً ونَعَظاً ونُعوظاً وانعَظَ قام وانتشر، والانعاظ الشَبَق وانعَظت المرأة شَبِقت واشتهت أن تجامَع.

(٣) (hair muscle)

(٤) (m. mentalis)

وأرجح العضلة مُقَطِّبَة الحاجبين كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي[١] .

٨٧٩٣ عضلةٌ ذات بطنين — 8793 muscle digastrique

وأرجح العضلة ذات البطنين

٨٧٩٨ عضلة مشتركة رافعة أرنبة الأنف والشفة العليا — 8798 muscle élévatur commun l'aile du nez et de la lèvre supérieure

وأفضل العضلة رافعة الأنف والشفة العلوية معاً ، مجاراة للترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي[٢] .

٨٧٩٩ عضلة خاصة رافعة الشفة العليا — 8999 muscle élévateur propre de la lèvre supérieure

وكذلك العضلة رافعة الشفة العلوية الخاصة[٣]

٨٨٠٣ عضلة مشتركة باسطة الأصابع — 8803 mucsle extenseur commun des doigts

٨٨٠٤ عضلة مشتركة باسطة اصابع القدم — 8804 muscle extenseur commun des orteils

٨٨٠٥ عضلة خاصة باسطة ابهام القدم — 8805 muscle extenseur propre du gros orteil

٨٨٠٦ عضلة خاصة باسطة السبابة — 8806 muscle extenseur propre de l' index

٨٨٠٧ عضلة خاصة باسطة الخنصر — 8807 muscle extenseur propre du petit doigt

وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : العضلة باسطة الأصابع المشتركة والعضلة باسطة أصابع القدم المشتركة والعضلة باسطة ابهام

(١) (m. corrugator supercilli)

(٢) (m. levator nasi and labis maxilaris)

(٣) (m.levator labii maxillairis)

القـــدم الخاصة والعضلة باسطة السبابة الخاصة والعضلة باسطة الخنصر الخاصة .

8810 muscle fléchisseur commun des orteils ou tibial fléchisseur — ٨٨١٠ عضلة مشتركة قابضة أصابع القدم او ظُنْبوبية قابضة

8811 muscle fléchisseur commun superficiel des doigts — ٨٨١١ عضلة سطحية مشتركة قابضة الاصابع

8812 muscle fléchisseur profond commun des doigts — ٨٨١٢ عضلة عميقة مشتركة قابضة الاصابع

8813 muscle fléchisseur propre du gros orteil ou fléchisseur péronier — ٨٨١٣ عضلة خاصة قابضة ابهام القدم او قابضة شظوية

وأرجح أن تكون الترجمة كما يلي : العضلة عاطفة أصابع القـدم المشتركة او الظنبوبية العاطفة والعضلة عاطفة الأصابع المشتركة السطحية والعضلة عاطفة الأصابع المشتركة العميقة ، والعضلة عاطفة ابهام القدم الخاصة او العضلة الشظوية العاطفة .

8817 muscle grand complexe — ٨٨١٧ عضلة مُلْتَفّة كبيرة

والعضلة نصف الشوكية كما جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الاصلي[1] .

8818 muscle grand dentelé — ٨٨١٨ عضلة مُسنَّنة كبيرة

والعضلة المسنّنة الجانبية كما جاء في الترجمـة الانكليزية من المعجم الاصلي[2] .

8819 muscle grand dorsal — ٨٨١٩ عضلة ظهرية كبيرة

(١) (m. semispinalis)

(٢) (m. seratius lateralis)

والعضلة الظهرية المتسعة كما جاء في الترجمـــة الانكليزية من المعجم الاصلي(١) .

٨٨٢٠ عضلة البطن المستقيمة الكبيرة — 8820 muscle grand droit de l'abdomen

والعضلة المستقيمة البطنية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٢) .

٨٨٢١ عضلة الرأس المستقيمة الكبيرة الأمامية — 8821 muscle grand droit antérieur de la tête

وعضلة الرأس البطنية الكبيرة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣) .

٨٨٢٣ عضلة الرأس الكبيرة الخلفية — 8822 muscle grand droit postérieur de la tête

وعضلة الرأس الظهرية الكبيرة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٤) .

٨٨٢٤ عضلة البطن المنحرفة الكبيرة — 8824 muscle grand oblique de l'abdomen

وعضلة البطن المنحرفة الوحشية كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم لاصلي(٥) .

(للبحث صلة)

(١) (m. latissimus dorsi)

(٢) (m. rectus abdominalis)

(٣) (m. capitalis ventralis major)

(٤) (m. capitalis dorsalis major)

(٥) (m. obliqus externus abdominalis)

الأصالة والتجديد في المقال الأدبي

الدكتور شكري فيصل

مدخل :

عندما نتحدث عن المقـــال في التراث الأدبي نجد أننا نواجه سؤالين اثنين ينتصبان من أمامنا وكأنما يريدان أن يكون لهما في الدلالة على الطريق نصيب ، وفي تحديد جنبات الموضوع أثر .. أحدهمـا هو هذا السؤال الأول : ماذا تعني كلمة « مقال » في التراث العربي القديم ؟ والآخر : ماذا تعني هذه الكلمة عند المعاصرين ؟

ثم يكون السؤال الثـالث تتمة لهما في إطار الموضوع واستكمالا للحديث عنها ، وهو : ماهي عناصر الأصالة وظواهر التجديد في المقال الأدبي ؟ وما هي العوامل التي قادت اليهـا ، والأحداث التي ساعدت عليها ؟ إن الأسئلة الثلاثة تتضام لتكون بأجوبتها ، وبما يتفرع عنها من قضايا ،وبما تثير من وجهات النظر الصورة الأكمل ـ فيما يبدو ـ في معالجة الموضوع .

القسم الأول : المقال في التراث القديم

١ ـ في التراث العربي القديم قبل الإسلام ، لم يكن هنالك هـــذا الذي نصطلح على أن نسميه بالمقال أو المقالة .. كانت الكلمة تعني القول .. فإذا ذكر النـابغة في معلقته وهو يعتذر إلى النعمان ويحاول أن يرد التهمـة التي ألصقت به وأن يقذف بها أعداءه :

مقالة أن قد قلت : سوف أناله   وذلك من تلقـاء مثلك رائع

فإنما هو يعني القول .. وإذا قال الجاهلي أو العربي في صدر الإسلام : هذه مقالة صدق ، فإنما يريد مانريده اليوم من تعبيرنا : هذا قول صدق أو حق .

ولا نقع في القرآن الكريم ، ولا في الحديث الشريف ، ولا فيما أبقت لنا هذه الفترة المبكرة الأولى على غير هذا الاستعمال لهذه اللفظة .

المقال ، إذن ـ أو المقالة ـ في صميم هذا الاستعمال العربي لها ـ كلام شفوي .. إنها ترتبط أشد ماترتبط بالنطق .. فإذا ذكرنا المقالة بعد ذلك في العصور التي ازدهرت فيها الثقافة العربية وفي هذه العصور الأخيرة التي نحياها أو نحيا أطرافاً منها ، وأنها تعني الكلام المكتوب ، أدركنا أضخم الفروق التي طرأت على استعمال هذا اللفظ بين القديم والجديد .

وليس في وسعنا ، في مجال ضيق هنا ، أن ننصرف إلى دراسة دقيقة لتطور اللفظة .. ولكننا نجد أنها كانت في حياتنا الثقافية الأولى ، بهذا المفهوم ، جزءاً أصيلاً من هذه الثقافة .. كانت ثقافتنا ، في أكثرها ، تعتمد على الرواية ، فكانت المقالة كلاماً منطوقاً .. وكانت ثقافتنا في كثرتها المطلقة شعراً ، أو ما يتصل بالشعر من هنا أو هناك ، فلم يكن لدينا إذن إلا أقل النثر ، وهو نثر شفوي على كل حال : خطب أحيانا ، ومنافرات ومفاخرات أحيانا أخرى .

٢ – ومع الإسلام يتغير كل شيء في النفس العربية عقيدة وتطلعاً ورسالة ، وفي الحياة العربية التقاءً وتوحداً داخل الجزيرة ، وانسياحاً وافتتاحاً في خارجها .. ويتنزل القرآن الكريم ، كتاب الدعوة ، كتابا معجزاً ، ليس من الشعر وإنما يحمل على الشعراء ، ويتنزل نثراً جديداً ، ويوشك أن يكون جديداً في كل شيء ؛ في لغته ومصطلحاته ، وفي تعابيره وتكوين جمله ، وفي أغراضه وأفكاره .. وتقوم الدولة الجديدة فإذا هي في حاجة إلى النثر لأن الدولة لاتقوم على الشعر ، ولأن الشعر بكل ماتراكم فيه من رموز ومعان ، بكل أشكاله وروحه ، لايمكن

أن يكون كفاء هذه الحياة الجديدة ولا دليلها .

هذا الانصراف عن الشعر إلى النثر كان اتجاهاً نحو ازدهار الخطابة أول الطريق ، وكان ازدهاراً للكتابة بعد ذلك على طول الطريق .

ومن ازدهار النثر كان هذا اللون من الأدب الذي نسميه الرسائل :

هل تكون الرسائل التي وصلتنا شيئاً يشبه المقال ؟ هل تشبه رسالة عمر في العهد الراشدي إلى أبي موسى الأشعري في القضاء أن تكون مقالاً ؟ ورسائل عبد الحميد بن يحيى وابن المقفع في العصر الأموي هل تصلح أن تكون شيئاً يماثل ما نصطلح الآن على أنه المقال ؟

٣ــ قد لا يكون منتجاً أن نتقرّى وجوه الشبه أو وجوه الخلاف بينهما.. أو أن نتبارى في اقتناص الملاحظات حول وصل ما بين الرسالة بهذا المفهوم وبين المقالة في مفهومها المعاصر ، أو قطعه.. إنهما شكلان نثريان يلتقيان ويفترقان.. يحملان أوجهاً من الافتراق والتلاقي قد تتدانى أحيانا وقد تتباعد أحيانا..رسالة عمر في القضاء ، موضوع معين تطرحه الحيـاة الجديدة فيكتب به عمر هذه الصفحات ويبعث بها إلى عامله أبي موسى أو إلى عمـاله .. ورسالة عبد الحميد إلى الكتاب موضوع يفرضه تنظيم الحياة الجديدة ، فيجمع عليه عبـد الحميد آراءه وملاحظاته ثم يصوغه هذا الصوغ .. ورسالة عبد الحميد في الشطرنج ، إنما يثيرها أن الناس فتنوا بهذا البدع الجديد فتنة أوشكت أن تنصرف بهم عن أعمالهم فتضطر الدولة إلى أن تعالج هذا الموضوع وأن تكتب فيه.. ورسائل ابن المقفع في الأدب الصغير والأدب الكبير آراء وملاحظ وأفكار عنّت له من خلال المطالعة أو الترجمة أو ممارسة الحياة فكتب فيهـا .. ولكن رسالة عبد الحميد إلى أهله وهو منهزم مع مروان موقف ذاتي شخصي واجه الرجـل فكتب فيه هذه الرسالة المؤثرة التي تنوس بين الأمل واليأس ، أحدهما يصرع صاحبه في كل كلمة أو جملة .

إن هذه الرسائل قريبة من أن تكون مقالات . هي أحياناً مقالات مطولة توشك أن تكون دراسات لأفكار طارئة أو واقع جديد ، وهي أحياناً مقالات موجزة توشك أن تكون معالجة آنية لحدث يومي طارىء .. بعض هذه «الرسائل ـ المقالات» موضوعي، وبعضها ذاتي .. بعضها يغلب عليه أن تكون الفكرة وحدها هي التي تتحكم فيه ، وبعضها تتعاون فيه مقتضيات الفكرة وطرق الأداء لتصوغه على هذا النحو أو ذاك ...

ولكنها كلها ، أياً كان الحال ، أشياء مكتوبة ، ليست من بنات الشفاه، يلزمها ما يلزم الأشياء المكتوبة من أن تكون أثراً لشيئين : للتروية وللتحلية .. يتأنى فيها الكاتب : عقله وأداؤه على السواء .. إنها خطوة واسعة جداً على طريق المقالة المعاصرة : فيها الموضوع الذي يشغل الذهن ، أو الحادثة التي تملأ القلب .. وفيها التفكير في هذا الموضوع أو الانفعال بالحادثة بما يقود إليه الانفعال في الحياة الوجدانية والحياة العقلية .. وفيها الخلاص من ذلك إلى التعبير عنه بنوع من الأداء ـ يجمع أو يجب له أن يجمع ـ بين غنى الفكر ومتعة النفس وجمال العرض .. ويطول ذلك أو يقصر تبعاً لكثير من الظروف والمناسبات .

أكانت هذه بداية المقال المكتوب ؟ وهل ولد المقال العربي في أحضان هذه الرسالة ؟ أكان هو إياها ؟.

٤ ـ ومع حركة الثقافة الإسلامية وتقدمها تنمو « الرسالة ـ المقالة » من نحو .. وتنشأ المقالة غصناً جديداً في شجرة النثر من نحو آخر .

أ ـ أما نمو « الرسالة ـ المقالة » فنلاحظه في اتجاهين :

اتجاه « الرسالة ـ الفكرة » سواء كانت هذه الفكرة مجردة أو سياسية أو اجتماعية ، كما في رسائل الجاحظ .. وهي الرسالة التي تتخذ منطلقها وهدفها موضوعاً تعالجه أو فكرة تدرسها .

واتجـاه « الرسالة ـ الذات » وهي الرسـالة التي تنبع من حياتنا الذاتية ، والتي تكون في النثر العربي مجرى الرسائل الإخوانية .

ب ـ أما الغصن الجديد الذي نشأ يحمل اسم المقالة بوضوح فذلك هو هذه الأشياء التي كان يكتبها أصحاب المذاهب المختلفة ، يعرضون آراءهم ، ويظهرون دعوتهم ، ويتعرضون فيها إلى خصومهم بشيء من النقص أو بشيء من التزييف . إن في ثقافتنا الإسلامية أمثلة كثيرة لهذه « المقالات » : مقالات الأشعريين ، ومقالات المعتزلة و ...

والمقالة هنا ، في هذا الشكل الجديد الذي تتلبسه ، توشك أن تكون قاصرة على الآراء والمذاهب والفرق ، أعني على النطـاق الفكري البحت الذي يتصل بالعقائد : عرضها ، والدفاع عنهـا ، والمحاججة في سبيلها ... ولكنها تدل على شيء جديد آخر ذلك هو الذيوع أو القصد إلى الذيوع ...

من قبلُ ، لم تكن الرسالة الموضوعية أو الذاتية تضع الذيوعَ العريض الذي يتناول الكتلة الكبرى من الناس ويتصل بالجماهير ، هدفاً رئيسياً لها ـ باستثناء رسـائل الدولة التي كانت تقصد بها الى عامة الناس ـ ولكن المقالة التي تتصل بالمذهب ، كان من أهدافها هذا الذيوع أو الشيوع .

ومن هنا يرتبط في الحياة العملية ما بين المقالة وبين الذيوع .. وتأخذ المقالة، مقالة الفرق والمذاهب ، تمد ما بينها وبين بعض صفات المقالة المعاصرة : الوصول إلى الناس أو الى أكثر من تستطيـع أن تصل إليهم من الناس .

٥ ـ وإلى هنا ونحن مع عصور الازدهار ، في ساحة المقـــالة أو ما يشبه المقالة .. ولا تضيف متابعة الطريق الى بداية عصر النهضة شيئاً جديداً على هذا .. ولعل اللفظة تبدو أقل انتشاراً ، ولكن مدلولها لا يخرج عن هذه الأشكال التي أشرت إليها ، دع عنك ما كان أصاب هذا المدلول من ضمور أثراً للضمور الثقافي في جملته .

٦ — ومع العصر الحديث تتلامح آفاق جديدة واسعة .. المطبعة ، هـذا الكشف الرائع ، هي التي استنبتت هذه الآفاق ، والصحافة هي التي جلتهـا . وارتباط ما بين الطبـاعة والصحافة في الغرب ، وانتقال ذلك إلى الشرق هو الذي أعطى المقال مدلوله الجديد ، ووهبه صفاته الخاصة وحدوده المتميزة .

إن البدايات الأولى للصحافة في الوطن العربي بدايات نشأت في ظلال الحكومات ؛ « الوقائع المصرية » مثلا كانت جريدة رسمية تنشر ما يتصل بالحكومة ، « المبشر» الجزائرية ، كانت الجريدة التي أنشأتها فرنسا في الجزائر .. ومع ذلك فلم تقتصر الوقائع أو المبشر أو مثيلاتهـا على القرارات والقوانين ، وإنما جاوزتها إلى أن تنشر بعض المقالات عن العلم أو عن المدارس: « المبشر» ، وبعض القصائد « شوقي في الوقائع » . إن أشياء من ذلك نجدها فيهذه الصحيفة أو تلك ، وكأن المقال العربي بالمعنى المحدث لهذا اللفظ ، كان يبدأ طريقة على صفحات هذه الصحافة الرسمية ليجد مكانه بعد ذلك في الصحافة الحرة .

إن ارتباط ما بين الصحافة والمقـال يوشك أن يكون ارتباطاً كاملاً ، عضوياً .. الصحافـة قادت إلى المقال ، والمقال هو أحـد الجوانب الرئيسية من الصحافة .. إنه أبرز ما فيهـا في نطاق الرأي ، وفي نطاق الخبر أيضاً ... لأن الخبر التافه تذروه الرياح ، والخبر القيم هو الذي يُنْبط المقال فيقوم عليه .

هل في وسعنـا أن نقول إن المقال الأدبي قـد ولد ولادة جديدة مع نشأة الصحافة ، وإنه ذاع مع ذيوعها .. وهل نمضي مع هذا الترابط لنقول إنه كذلك تأثر بها وخضع لها وكان لها عليه سلطان كبير ؟..

إننا سنتبين ذلك بعد . . ولكننا نريد قبل أن نقف عند هـذا الوافد القديم ـ الجديد .. إنه بعض هذه الأشياء التي جاءتنا من الغرب .. فما هو مفهوم المقال في الحياة الغربية ؟..

القسم الثاني ــ مفهوم المقال

ا ـ في كثير من الإيجاز أحب أن أشير إلى أن لفظ مقال Essaie يدل في الأصل على « التجربة » .. إنه يومىء إلى هـذه الممارسة لفكرة ما ، مخالطتهـا ومناقشتها وعرضها ... أو بتعبير آخر طرحها على الملأ ، **على الناس** ، في تجربة غايتها أن تصل هذه الفكرة إلى الاكتمال ، بما يتعاقب من حديث حولها أو تجديد لمعالجتها ، نقداً أو قبولاً أو إغناء أو تشذيباً .

إن المقال إذن في أبسط التعابير ، بعيداً عن حدود التعريف ، تعبير عن موقف ، عن فكرة مستوحاة من حدث ، مستخلصة منه أو معالجة له .. تجاوز ذات الكاتب إلى مجتمعـه ، إلى جمهوره الذي يقرؤه ، ويراد أن يكون هـذا الجمهور طرفاً في هذه الفكرة ، بثاً لها عنده ، أو مشاركة له فيها .

ب ـ إننا هنا في الحق أمام عنصرين : الموقف ـ الفكرة .. والقـارىء ـ الجماعة أو الجمهور ... ولا نستطيـع أن نتمثل مقالاً من غير فكرة يدعو إليها أو موقف يبتعثه ، كما لا نستطيـع أن نتمثل مقالاً من غير جمهور أو جماعة يتجه إليها .

جـ ـ ولكن هذا المقـال لا يمكن أن يساق أو أن يعرض خلواً من بعض شروط الأداء .. إنه لا بد له من لبوس أدبي يكتسيه .. لا بد فيه من الإثارة إلى جانب الفكرة ، ولا بد فيه من المتعة إلى جانب الرأي .. لا بد لهذا الرأي أو لهذه الفكرة من أن تجد مسالكها إلى النـاس عن طريق القلب قدر ما تجد ذلك ، ولعلها فوق ما تجد ذلك ، عن طريق العقـل ... إن الشكل الأدبي هو اللبوس المميز لهذا المقـال وهو إن تخلى عنه تخلى عن سمة أساسية فيه وطبيعـة رئيسية من طبائعه .

د ـ إن هذا اللبوس الأدبي يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة .. ليس من الحق في شيء أن يكون هذا اللبوس الكامل ... أن يكون فيه كل عناصر الأدب ،

وأن تغطي هذه العناصر كل جمل المقال ومقاطعه .. أن يكون كله أخيلة وصوراً مزوّقة، وتراكيب وأساليب مُعْجِبة، وعواطف وأحاسيس متقدة، وأن يداخل ذلك كل كلمة منه وكل فقرة فيه .. قد يكون ذلك بعض مافعله كتاب المقال الأدبي، أول الأمر، متأثرين بثقافاتهم الأولى وبالإيحاء الذي خلفته الرسائل القديمة والمقامات .. وقد يكون ذلك، أو بعضه، هو الذي غلب على فترة من الفترات التي مر بها المقال الأدبي .. ولكن المؤكد أنه لكي يكتسب المقال هذه الصفة، لكي يكون مقالا أدبياً، فإنه يكفي فيه عنصر ما من هذه العناصر التي تكسب الأثر هذه الصفة الأدبية : التناول الجديد، أو العرض المصقول، أو العاطفة المشبوبة، أو التهكم الخفي، أو التخيل المثير .. بعض ذلك، أو بعضٌ من كل ذلك، يجزيء في أن يمنح المقال هذه الصفة .

هـ - وأخيراً هل نحن في حاجة إلى أن نقول إن **المقال الأدبي لا يعني إذن بحال المقالَ الذي يتحدث عن الأدب، ولكنه يعني المقال الذي يقال في أي شأن من شؤون الحياة**، في أي غرض من أغراضها، في أي ميدان من ميادين السياسة أو الاجتماع أو الخلق أو الدين، **مغموساً في الحوض الأدبي**، أو في جانب منه، متحلياً بشارة من شاراته أو شية من شياته .

إني أقصد قصداً في هذا الذي أقوله عن المقال الأدبي إلى تجاوز التعريف الضيق والحدود الصارمة .. لا لأن ذلك عسير فحسب، بل لأن المقال الأدبي، في الغرب حيث نشأ، وفي البلاد العربية حيث غلب وذاع ؛ لا تضبطه تعاريف محددة . . إن أطرافاً من مفاهيمه تختلف بين الكتاب أنفسهم، وبين الكتاب الفرنسيين والكتاب الإنجليز .. وتختلف مع بداية نشأته ومع التطور الذي آل إليه .. ويختلف مثل ذلك أو نحو ذلك في الحياة العربية .. وتاريخه هذا الطويل خلال هذين القرنين بكل هذه الظروف التي أحاطت به والتي لا حصر لها، يجعل من الخير في مثل هذا البحث أن نقتصر على هيكله الأساسي الذي أشرنا إليه :

الموقف ـ الفكرة ، والقارىء ـ الجماعة ، واللبوس الأدبي الذي يكسو معالجة هذا الموقف أو طرح هـذه الفكرة على الجمهور ... إنه أدبي في صيغ أدائـه ، ولكنه سياسي أو اجتماعي أو ديني أو اقتصادي في مضمونه .

القسم الثالث ــ عناصر الأصالة ومظاهر التجديد

هذا المقال الأدبي في شكله القديم الذي عرفناه به أو في شكله الجديد منذ بدأ على صفحات الصحافة الرسمية أول الأمر ثم جاوزها بعـد ذلك إلى الصحافة الحرّة ـ قطع رحلة طويلة .. إن مسيرته هذه جديرة بدراسة خاصة،الحيز المفترض لهذا المقال لايتسع لها بجال .. ولكننا نستطيـع ، تحقيقاً لغاية البحث ، في تتبـع متأنٍ ونظرة فاحصة ، أن نلاحظ عناصر الأصالة فيه ، ومظـاهر التجديد التي طرأت عليه ، متجاوزين التفاصيل متغافلين عن ربط هذه التفاصيل بالخط التاريخي المفصل ، ملتفتين إلى الروح العامة التي تتجلى في هذه العناصر والمظاهر .

١ ــ خط التطور العريض : التنازع والتكامل بين الفكرة والأداء

إذا كان قد استقر عندنا أن المقال الأدبي يقوم على محورين أساسيين: الفكرة من نحو واللبوس الأدبي أو الصياغة من نحو آخر ..فإن التطور الذي حكم المقال الأدبي هو التطور الذي حكم هذين المحورين واتجـه بهما هنا وهناك .. إن محصلة الاتجاهات في هذين المحورين هي صورة المقال الأدبي في عناصر أصالته الأولى ومظاهر التطور الجديدة .

وفي وسعنا أن نقول دون أن نتهيب التعميم، هذا المنزلق الخطر ، إنه كان هنالك دائماً في المقال الأدبي على طول هذا الخط التاريخي الطويل هذا التنازع بين الفكرة وبين اللبوس أو هذا التكامل بينهما .. آثارنا كلها في هذا النحو ، المحدثة والقديمة ، البعيدة الموغلة في البعد ، والحديثة النضرة الحداثة .. كلها تخضع لهذا التنازع أو هذا التكامل .. بعض منشئينا مشدود إلى الفكرة شداً يصرفهم عن

العناية بالملبوس الأدبي .. وعند بعض المفكرين المنشئين أو المنشئين المفكرين ضعف في الأداء أو قصور عنه .. وبعض منشئينا مشدود إلى هذا الملبوس حريص عليه مغلب له على ما سواه .... وهناك أولئك الذين استوى لهم أن يمسكوا بالقيادين، وأن يدفعوا بحصاني المركبة، في توازن ذكي، إلى أبعد الحدود آفاقاً وتجديداً .. إن آثارنا كلها - ولعل آثار سوانا كذلك - مرتبطة على نحو من الارتباط، بهذين : بالتنازع أو بالتكامل .. أولئك الذين وفقوا إلى هذا التكامل كانوا من أعلام المقال الأدبي - بالمعنى الواسع له - على مدى تاريخنا الفكري .. وأولئك الذين خضعوا لهذا التنازع وقفوا في هذا الصف أو ذاك، ولأمر ما كانت أولى المشاكل النقدية التي أثارها البيان العربي قضية اللفظ والمعنى، منذ كان النقد انطباعاً مبهماً أو جزئياً إلى أن كان مع الجاحظ وابن قتيبة عرضاً للمشكلة، إلى أن اتخذت المشكلة بعد ذلك أبعادها كلها .. ولعله، للأمر نفسه، كانت بعض أوجه الخصومة الشكلية منذ البدء بين القرآن وبين الشعراء .. بين الموقف - الفكرة التي تطوّع الأداء ثم يسمو بها هذا الأداء إلى حد الإعجاز، وبين الشعراء الذين يسقطون الفكرة ليتغنوا بالمواقف على نحو من الغنائية التي يخالطها هذا التضخيم والتمجيد والذاتية .

٢ - عناصر الأصالة

إذا صح لنا هذا الخط العريض الذي يبدو للمتأمل في سير البيان العربي - والمقال الأدبي شكل من أشكال هذا البيان - فكراً وتسجيلاً، عرضاً وأداءً، موقفاً وتعبيراً، وأغلب الظن أنه صحيح، فإن عناصر الأصالة في المقال الأدبي - الأصالة بمعناها الاصطلاحي الجديد ومعناها اللغوي القديم - يمكن أن تتلخص بأنها تتناول الفكرة والأداء .

١ - الفكرة :

بمعنى أن تكون الفكرة ليست شطراً من المقال منضافاً اليه، بل أن تكون صلبه، وأن تكون هي منطلقه .. إننا نقول بعد أن نفكر ..

ونكتب بلغتنا هذه بعد أن نكتب مرات هذه الكتابة الداخلية فيما بيننا وبين أنفسنا .. نكتب للناس بعد أن نكون استمعنا إلى هذا الذي نكتبه ، هديراً داخلياً متصلاً ، ونسمعه قبل أن نُسمعه للناس أو أن نحمله حملاً على آذانهم .

ولكن الفكرة يجب أن تكون مصاحبة بشيئين :

أ - أولهما : **الوضوح** : فلا تكون الفكرة فكرة إلا أن تكون واضحة في ذهن صاحبها .. ووضوحها هو الذي يفتح أمامها هذا الطريق ذا الشعبتين :

طريق وضوح التعبير عنها وسلامة هذا التعبير .

طريق وصولها إلى أذهان الآخرين .

إن فقدان الوضوح هو الذي أعطى نتاجنا الفكري في بعض الفترات هذه الألوان المعتمة، وهذه الصورة التي تتداخل فيها الخطوط والظلال حتى لا تكاد تستبين .. إن ذلك هو الذي يسم قدراً صالحاً من نتاج العصر العباسي في نطاق الثقافة الجديدة التي خالطت الفكر العربي .. قد تكون جدة الثقافة هي السبب في ذلك ، ولكننا لانناقش ، هنا ، الأسباب قدر مانفكر في الآثار التي تتخلف عن غياب الوضوح .

ب - والآخر : **الإيمان بالفكرة** : فالفكرة لا تكون فكرة إلا حين تكون إيمانا بها أو في طريق الإيمان بها بكل مايحمله لفظ الإيمان من قناعة داخلية ، واطمئنان نفسي ، ووثوق عقلي . . والأفكار التي لاتكون موضع ايمان، أو قصد إيمان عن طريق عرضها ومناقشتها ، لايجوز أن تطرح .. إنها حين ذاك تكون موضع تجارة .. وليس أقسى من تجارة الأفكار .. إنها الفتنة الكبرى التي تخرج بالناس عن محاور حياتهم إلى حياة من غير محاور .. إلى حياة تنسخ الحياة في خيوطها الأصيلة لتنسج بديلاً لها خيوطاً موهومة أو كاذبة .. إنها تُخرج الناس إلى مانصطلح عليه في مصطلحاتنا بالضلال .

٢ – الأداء :

الأفكار من غير أداء نقود مختزنة .. والأداء أو التواصل الفكري هو عصب

الحضارة ، سواء في ذلك حضارتنا أو الحضـارات الاخرى التي كانت تجعل من طلب العلم فريضة ، ومن الاستجابة إلى هذا الطلب فريضة ..إننا مطالبون بهذا الأداء على كل صوره وأشكاله حين تتوفر لنا الفكرة ووضوحها ، والإيمان بها.

والحديث عن الاداء ينشعب في اتجاهين :

أ ــ أولها : **صحة الأداء**

ذلك أن الأفكار تؤطرها اللغة وتصوغها .. واللغــــة جملة من الأدوات والقواعد..وأي استخفاف بها أو تجاوز مقصود لمعاييرها أو انحراف عن خطوطها لاينال اللغة فحسب ، فليست اللغة وحدها شيئاً ـ وإنما ينـال الفكرة التي نريد التعبير عنهـا والتبشير بها .. إنه زعم باطل أن نتصور أن أي أداء هو وسيلة مقبولة.. فلكل شيء طريقه في الحيـاة المادية والمعنوية على السواء ، في الفكرة التي نتقبلها ، في الجملة التي نسكبها ، في اللفظة التي ننطق بها ، في الصوت الذي يصل بيننا وبين الآخرين ـ أياً كان الاختلاف أو الاتفاق على حدود هذا الطريق تضييقاً أو توسعة .

وفي تاريخ الجماعات كلها توشك أن تكون صحة الأداء هي الأصل .. وإذا كانت الفكرة هي القطب النواة فإن صحــة الأداء هي القطب الآخر .. وليس هنالك أفكار من غير أداء ، أريد من غير أداء صحيح .

ب ــ والآخر : **جمال الأداء**

وجمال الأداء هو الذي يهب المقال طعمه الأدبي . . إننا نأخذ الأشيـاء أو نؤخذ بها ولكننا نحب أن نؤخذ بها أو أن نأخذها في صورة جمالية . . إن الجمال هنا ليس عنصراً إضافياً ولا لصيقاً بالفكرة وأدائها ولكنه جزء من ذلك كله . . إنه الجمال في قبالة الحق الذي هو الفكرة ، وفي قبـالة الهدف الذي هو الخير . . إن هذه الثلاثة قطعة نسيج واحد: اللحمة والسدى والأصباغ..ولسنا نستطيـع أن نتصور الألوان من غير خيوط ،وقطعة النسيـج من غير لحمة وسدى..

إن كل نتاج فكري ترك آثاراً في حياة الجماعة كان متصلاً بهذا الجمال نوع اتصال: براعة العرض جمال ، وروعة الابتكار أو الكشف جمال ، والنفاذ النافذ إلى الحقيقة جمال . . هذا إلى غير ذلك من العناصر الكثيرة التي تؤلف الجمال الأدبي.

٣ ـ الإيجاز :

وهناك في الثقافة العربية ، بالقياس إلى المقال الأدبي عنصر ثالث من عناصر الأصالة غفل عنه تاريخنا الطويل وعدت عليه العوادي حتى كاد ينسى . . ذلك هو الإيجاز . . وأنا أفرد الإشارة اليه على أنه جزء من الأداء لمكانته الأصيلة في تقاليدنا الأدبية .

ويبدو أن الإيجاز يغيب في مطاوي التطور الثقافي . . كأنما هذا الغنى الثقافي يستدعي مجانبة الإيجاز والاندفاع نحو التطويل . . وعند كتابنا ، وفي مقالاتنا ورسائلنا على مدى تاريخنا الأدبي ، كان الأمر يتراوح بين الإيجاز والتطويل أو الإطناب كما نسميه . . ولكننا حتى في العصور الأولى المزدهرة ، تجاوزنا ـ تحت تأثير عوامل كثيرة لا سبيل إلى أن نعددها هنا ـ آصل خصائصنا في التعبير ، وفي التعبير النثري بخاصة ، وفي التعبير النثري المكتوب على نحو أخص ، وذلك حين تجاوزنا الإيجاز إلى هذا الهذر الكثير الذي أصبح جزءاً من كياننا وحياتنا اليومية : كياننا النفسي وكياننا التعبيري .

إن سمة من السمات الأساسية في الحياة العربية الأولى هي الإيجاز . . وكأنما كان هذا الإيجاز هو الذي غلّب عندنا، في بداية الحركة الإسلامية ، جانب العمل على جانب القول . . كانت تكفي عندنا الجملة الموجزة والتعبير المركز . . ورسالة عمر في القضاء جملة من القوانين ، وخطب الخلفاء الأوائل برنامج عمل . . ورسائلهم إلى القواد والولادة والعمال صورة لهذا الإيجاز الذي تكتمل فيه الفكرة والأداء وضوحاً وجمالاً وبساطة . . ولأمر ما بدأ التطويل مع عبد الحميد في نهاية العصر الأموي وبدايات الاشتباك بالحضارات الأخرى

فقيل عنه إنه أول من طول الرسائل . . ولأمر ما أراد الجاحظ الإمتاع والجمال فأراد الذين جاؤوا بعده التطويل والهذر من غير جمال ولا إمتاع .

إني أوشك أن أجمع بين الإيجاز وبين الخصيصة الأصيلة في المقال الأدبي .

٣ - مظاهر التجديد

وإذا كانت هذه هي عناصر الأصالة في المقال الأدبي، فما هي إذن العوامل الطارئة عليه سواء أسمينا ذلك عوامل تجديد أو عوامل تبديد ؟

في الحق ان المقال الأدبي حقق منذ النهضة قفزة طيبة فوق عصور الانحطاط.. كان فكر ابن خلدون وأسلوبه المطلق في عصور ما بعد بغداد هما المنارة التي انتشلت هذا المقال الأدبي من وهدته ، على حبالها تعلق ليجاوز ذاته وعصره ، وليلتحم بالعصور المزدهرة السابقة.. واستطاع المقال في الصحافة المصرية وبالتالي في الصحافة العربية أن يوفر القيمتين : الفكرة واللبوس الأدبي على تفاوت في حظوظ أصحابه من هاتين القيمتين ، وعلى تفاوت في تناسب مقاديرهما في المقال الواحد.. هناك الذين أغنوا جمالية المقال ، والذين أغنوا فكرته ، والذين أغنوا إبداعه الفني والفكري على السواء..ولاسبيل هنا إلى الاستشهاد ولا إلى التعداد.

غير أن ذلك لم يستقم بعد ، أو لنقل إن هذا التطور لم يمض مباشرة إلى غايته التي كان يجب أن يمضي إليها . . إنه اتخذ بعض المظاهر الإيجابية وبعض المظاهر السلبية .

أولاً : المظاهر الايجابية

تتبدى المظاهر الإيجابية في :

١ - طواعية اللغة :

فقد اتسعت اللغة للكثير الجديد في نطاق الفكر النظري والتطبيقات العملية ، وطوعتها المقالة الجديدة لا في المفردات فحسب بل في التراكيب وصور الأداء . . لقد قدم النثر في المقال الأدبي ، للغة العربية في هذه الفترة

ساحات خصبة ، واستنبت فيه براعم وورودا ذات عرف ونباتات ذات نفع .. إنه فجر فيه كلمات وتعابير وأساليب ، وأطلقه في الآفاق التي رادها،في الهواء وفي الفضاء ، على مجاهل الأرض وفي الكواكب . . إننا مدينون لهذا المقال الأدبي في الصحيفة اليومية أو في المجلة الأسبوعية أو الشهرية ، في وصل جماهير الناس بالحضارة ومعطيات العصر : آرائه وأفكاره وأدواته وآلاته ، وتشوقه وتطلعاته . . بل لعله ليس من المبالغة أن يقول الإنسان إنه لا شيء يربطنا بالحضارة إلا هذا المقال الأدبي ، ما دمنا لا ننتجها ولا نشارك في إنتاجها ،ولا نعرف منها إلا جانبها الاستهلاكي . . إن تطلعنا لها ومواكبتنا النظرية،مدينة له ، مدينة لهذا المقال الأدبي الذي استطاع أن يكون ـ عن طريق تطويع اللغة من جهة والاستفادة من خصائصها التعبيرية والاشتقاقية وروحها الغني العتيد وأصالتها الأصيلة ـ هو الخيط الذي يربط الجمهور العربي بالحياة المعاصرة،بانتظار أن يكون هذا الربط عن طريق المشاركة والممارسة .

٢ ـ يسر الأسلوب وتبسيطه :

فقد غلب على الأساليب التبسيط واليسر . . بعض ذلك عائد إلى طبيعة الأبحاث ، وبعضه عائد إلى طبيعة الكتاب ، وأكثره عائد على كل حال ، إلى هذا الارتباط بين المقال والجمهور . . فلم يعد المقال رسالة للخاصة ، بحكم هذا التطور الاجتماعي والنزعات الحرة، ولكنه أضحى كلاماً يوجه إلى جماهير الناس، يوجه في الجريدة اليومية والمجلة الأسبوعية وفي المجلة الشهرية . . ويكتب ليذاع على كل موجة ويدخل كل سمع .. وإذن فلا بد له من أن يلجأ إلى اليسر ، وأن يكون اليسر طابعه ، وإلى البساطة وأن يكون التبسط عماده . .ولقد أكسب ذلك المقالَ الأدبي خصائص جديدة عند عديد من الكتاب .

والغريب أن يكون أكثر ذلك عند الذين يعنون بالجانب العلمي .. على حين يغيب كثير من هذا اليسر والبساطة عند الذين يعنون بالجانب النظري ..

وكأن الوضوح الذهني عند (العلميين) قاد إلى اليسر ، وكأن الغموض الذهني عند (النظريين) قاد إلى شيء من التعقيد والغموض .

٣ ـ الاقلاع ، دون ردّة ، عن الزخرف اللفظي

فقد كان هناك بقايا من هذه الزخارف اللفظية قبل الحرب العالمية الثانية.. ولكن أساليب مابعد الحرب قضت على ذلك فيما يشبه أن يكون قضاء نهائياً فلم يعد في المقال الأدبي منه إلا بقايا رشيقة على أقلام متميزة ، أو بقايا كابية على أقلام ضعيفة ، ولكنها بقايا على كل حال .

ثانياً : المظاهر السلبية

إن هذه المظاهر الإيجابية لاتستقيم دائماً ... وإذا كنا نتحدث عن طواعية اللغة ويسر الأسلوب وغياب الزخارف ، فإنه لابد لنا من أن نرى الوجه الآخر لهذا الذي نسميه المقال الأدبي .. لابد لنا أن نلاحظ أن التطور ، بعامة ، في الوطن العربي لم يمض ، في كل ميدان ، الى غايته .. إن كل شيء في هذا التطور ينكسر أو يتقطع أو يتخاذل ، يمتد في نحو ويقصر في نحو آخر ، وهو لذلك لم يستطع أن يعطي ثمرة صحيحة لا في الميادين السياسية ولا في الميادين الاجتماعية ولا في الميادين الفكرية .. ولعل مثل هذا التطور في المقال الأدبي من الأمثلة الحية على فقدان التوازن والتكامل في هذا التطور .. إن المظاهر السلبية شديدة الوضوح ، وهي تتمثل في هذا التعثر في الفكر ، أو هذا التعثر في الأداء ، أو هذا التعثر فيهما ، ونوشك أن نغادر كثيراً من مظاهر الأصالة التي أشرت إليها عند عدد من الكتاب في عديد ضخم مما نقرأ من المقال الأدبي دون أن نظفر دائماً بمظاهر التطور الإيجابية . ولا بد من أن أوضح ذلك في النقاط التالية :

أ – في الفكر

من المؤكد أن هنالك ثروة فكرية متدفقة على الذهن العربي تريد أن تغنيه أحيانا وتريد أن تغزوه أحيانا أخرى – وتلك قضية أخرى وإن لم تكن منفصلة وإن للحديث عنها لمجالاً آخر – .. ولكن من المؤكد أن هذا الدفق الفكري لم يرافقه هذان العنصران اللذان لايكون الفكر فكراً إلا بهما ، عنيت الوضوحَ والإيمان . إن جدة هذه الأفكار من ناحية ومواطنها التي نشأت فيها بعيداً عن مواطن الحياة العربية ، ذلك كله حمّلها قدراً من الغموض لم يستطع كثرة من أصحاب المقال الأدبي أن يغادروه أو أن ينجوا منه ، فإذا هناك هذا التعقيد فيما كتب – وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية – .. وإذا هناك – أثراً لعدم الإيمان بالأفكار ، واستثمار القادرين المتسلطين الذين يستطيعون صوغ الأفكار دون إيمان بها – إذا هناك هذه التجارة الفكرية الخاسرة التي تستخدم كل ما في التجارة من أضواء وإغراء ، ومن استثمار واستغلال .

ب – في الأداء

وأما في الأداء فإن سلسلة من الأسباب التي تبدأ بفشل برامج التعليم أحيانا ، وتنتهي بمشاعر الرفض للحدود والقواعد ، وأشياء أخرى كثيرة بين ذلك ، جنبت الأداء صحته وشوّهت أحياناً جماله ، أو أضفت على هذا الجمال أنواعاً من الغموض ومن التعقيد جعله أقرب إلى أن يكون إحساساً به غير مكتمل ، منه إلى أن يكون تذوقاً كاملاً له ، وتأثراً به واحتمالاً للعدوى الفنية منه .

ج – في الايجاز

وأما الإيجاز – وأنا ، على أنه أسلوب من أساليب الأداء ، أفرده للتأكيد عليه – فقد أضحى عدواً لكثير من ألوان المقال الأدبي ، باستثناء هذا البرعم

الصغير الذي هو شكل جديد للمقال الأدبي: الخاطرة، الذي نصادفه في هذه الزاوية أو تلك من هذه الصحيفة أو هاتيك .. وأضحى التكثر والتطويل، من غير داع أو ضرورة أو مسوغ ، سمة .. تلاحظ في عديد من المجلات في بعض الأقطار .. إنه تطويل مقصود أحيانا كأنه إطالة للشباك ، أو تطويل يأتي نتيجة للعجز عن الوضوح ، أو محاولة لإثبات الذات .

ثالثاً – عوامل وراء هذا التطور

وهكذا يبدو واضحاً أن هذا التطور الذي لا تتوازن خطاه ، والذي يتراءى نكسة مرة وقفزة مرة .. ردة حيناً وتطلعاً حيناً ، لابد فيه من بعض الضبط .. ومحاولة الضبط التي نهدف إليها تضطرنا إلى معرفة العوامل وراء هذا التطور في وجهيه الإيجابي والسلبي .

إن معرفة هذه العوامل جديرة ببحث مستقل ، وكان من الممكن أن نتجاوز الوقفة عندها لولا أننا نريد من هذا البحث ، ومن مثله ، أن يخرج عن حدود الوصف الى حدود التنهيج او الى حدود الدلالة حتى يعطي ثمرته .. ولذلك سأكتفي هنا في الحديث عنها بما يشبه أن يكون تعداداً لها .

١ – الترجمة :

الترجمة أضخم مشاكل الثقافة المعاصرة، وأبرز العوامل وراء هذا التطور .. إنها – لهذا الظمأ الفكري الذي يستبد بأجيالنا ، ولهذا الخصب الثقافي الذي تشارك فيه المجموعة الانسانية كلها – مشكلة الفكر العربي الأولى .

إنها – من حيث هي أفكار تلقى وأساليب تمارس ، وقضايا تطرح – تفرض وجودها على كل مثقف .. ولو كان العرب الذين يقودون الحياة العربية على اهتمام بما وراء الأفق القريب، لو كانوا من ذوي النفس الطويل ، لكانوا أولوا

الترجمة شيئاً أكثر من عنايتهم بالعديد من المظاهر الفارغة .. إنها نافذتهم على الحضارة إذا نظرنا الى المستقبل ، وإرادة الحفاظ على أصالتهم اللغوية إذا نظرنا الى الماضي ، وطريق سلامتهم الفكرية إذا أرادوا المشاركة من غير تبعية ، والاسهام من غير ذوبان .. وهي اقتصاد رائع لطاقاتهم الذهنية ، وتحويل لها نحو الابداع إذا نظرنا الى صلتها بموضوع دراسة اللغات الأجنبية في المدارس .. إني أكتفي هنا بأن اشير الى التجربة الصينية للذين يريدون فعلاً أن يفكروا في أوطانهم ، وأن يعملوا لها عملاً مفيداً .

والذي يحز في النفس أن الترجمة أضحت باباً لشرين كبيرين : الدعاية والتجارة .. وماذا يبقى من الجماعة حين يستبد بها ، من حيث لا تشعر ، أفكار يراد أن تتلبسها ، وتجارة فكرية لا يخشى كسادها ؟!.

٢ ـ الصحافة ، الجرائد والمجلات :

الصحافة هي الوعاء المادي للمقال الأدبي .. كل حديث عن تأثير هذا المقال وتطوره متصل بالحديث عن الصحافة وتطورها .. إنها إذن الوعاء والغذاء .. ولقد كان لها فضل أي فضل .. إن سلطانها عظيم ولذلك فان الاهتمام بها يجب أن يكون فوق سلطانها .. ولا بد لها من قدر متوازن غير مكتوب ، من الحرية ومن الرقابة .. حرية ورقابة ذاتيتين .. أما كيف يكون هذا التوازن فتلك مسألة اخرى،ولكن أبرزملامح وجودها أنها يجب أن لا تخرج عن شرائط الأصالة التي تحدثت عنها حتى لا يتبدد أثرها وحتى لا يذهب شرُّها بخيرها .

٣ ـ الاذاعة والتلفزة :

وجهان آخران للصحافة .. والحديث عنها هو الحديث عنها .

٤ ـ الخطب السياسية :

شهد الوطن العربي في الفترات الأخيرة تطوراً في الخطبة السياسية .. كانت

هـذه الخطبة من قبلُ عنـد كثرة من رجال السياسة الذين يمارسون الخطابة – تخضع لكثير من العناية حتى تكتسب سلامتها اللغوية من نحو وجمالها الفني من نحو آخر .. وكان العديد الأكبر من الذين يمارسون الخطابة السياسية على حظ كبير من الثقافة اللغوية والأدبية والفكرية .

غير أنه نشأ بعد ذلك في الأمة العربية رجال من الطراز الأول في الحياة السياسية ... آثروا تحت تأثير أنبل الدوافع وأصدق المشاعر وأصح الاتجاه أن يتحدثوا إلى الناس وأن يخطبوهم حيناً بعد حين باللغة اليومية .. إن هذه الخطب السياسية التي قُدّر لها ، بحكم حصافة أصحابها وذكاء لبهم وعظيم تأثيرهم وسمو مكانتهم ، قدر كبير من الانتشار أباحت للعامية أن تنزل منزلاً جديداً ما كان لها أن تنزله من قبل ، بل لقد سجلت بعض هذه الخطب في الصحف على هـذا النحو ، ونفذت الى الناس ، عقولهم وقلوبهم ، على هذا النحو ... وهو اتجاه قد يكون له ما يغفره في نطاق الأهداف الكبرى والظروف الآنية ، وعلى لسان زعيم موهوب وقائد فذ .. ولكن ليس له ما يغفره إن هو أضحى سنة مبتدعة متبعة .. لأن أثره بعد ذلك على المقال الأدبي ، استشهاداً به او ببعض فقراته واحتذاءاً له في بعض المرات وتيسيراً للطريق أمام العامية – لا يغتفر .

وهـذا دون أن ننسى أن هذه الخطب السياسية كان لها من نحو آخر أثر ضخم في تفتيح الأفكار ، وإشاعة بعض المفاهيم وإذاعة بعض التراكيب وتمهيد السبيل أمام بعض صيغ الأداء في مجال الفكر السياسي والاجتماعي مما ساعدها على أن تدخل في الاساليب اليومية وأن تضحي جزءاً من الذخيرة الانشائية عند بعض رجال الصحافة والتعليم .. ولذلك ، لا شك ، أثره في لغة المقال الادبي ، قدر ما كان من أثره في الفكر الشائع في هذا المقال .

٥ - نزعات أخرى متماثلة في نطاق لغة المقال الادبي :

هذا الى نزعات اخرى تتماثل فيما بينها وتنطلق هنا وهناك ، تتصل كلها بلغة المقال الادبي .. إن هناك كثيرين اتجهوا إلى العامية يريدون الاستمداد منها.. أما أولئك الذين أحيوا الفصاح منها ، ألفاظاً وتعابير فإن عملهم كان ضوءاً منيراً على طريق الحياة اللغوية .. وأما الذين دعوا إلى استعمالها ، استعمالاً جزئياً او كلياً ، فإن عملهم كان لا بد له أن يترك أثره على أقلام الكتاب وفي نتاجهم..

ولعل أبرز ذلك أن يستقر في الذهن شيء من هذا التمجيد للعامية وادعاء قدرتها ، أو قدرة بعض ألفاظها ، وهو شيء لا نشك فيه في الأصل ، ولكننا نخشى أن يساء استعماله على نحو من الأنحاء ، بحيث يؤدي ، في لحظة من لحظات الضعف في حياة الجماعة ، إلى أن يسلك بها مسالك تقطع ما بينها وتودي بها ، وحدات صغيرة ، في مهاوي التيه ومضلات الفناء .

هذا دون أن أشير إلى هذه الدعوة التي يزدوج فيها الخطر : العامية واستعمال الحرف اللاتيني ، إن خطر ذلك قدر خطله .. وفوق ما يستطيع المحذرون أن يحذروا .

رابعاً : أحداث وانعكاسات

تلك جملة من العوامل التي وقفت وراء هذا التطور وساعدت عليه .

وترتبط هذه العوامل بسلسلة من الأحداث تنتج عنها جملة من الانعكاسات :

أ - أما عن الاحداث فمن المؤكد أن الحرب العالمية الثانية كان لها في ذلك أثر كبير .. كان هدف الإعلام الغربي أن يقرب إلى أذهان الناس أشياء وأن يبعدهم عن أشياء.. أن يضعهم في صورة وأن يبعد عنهم صورة أخرى ، وكانت

اللغة بعض سبيله إلى ذلك ، اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة .. وكانت أكداس النشرات والكتب التي تصدر عن هذه الدار أو تلك ، وسلاسل البرامج التي تنبعث من هذا البلد أو ذاك تصل إلى كل عين ، وتدخل كل أذن ، وكانت من الكثرة بحيث يجدها الإنسان حيث سار .. عند الطبيب إذا انتظر الطبيب ، وفي النادي إذا دخل النادي ، وفي الحوانيت المترفة والفقيرة و .. كان يجدها الرجل والطفل والمرأة على السواء .. وما أكثر ما يصادفها في دكان حلاق فيتسلى بها ينتظر دوره .. أو في دكان بقال يشتري من عنده ما يشتري ، فاذا البقال يغلف ذلك بهذه النشرات .

وتجاوز الأمر ذلك إلى صحف ومجلات راقية كانت تصدر حين كان الورق مادة عزيزة نادرة، وتوزع على أوسع نطاق.. على حين كانت المجلات الأصيلة تحتجب أو تضمر ، تضؤل أو تختفي .. وحين يقارن المرء بين ما كان آنذاك من ضمور «الرسالة» و«الثقافة» ، وبين انتشار مجلات أخرى أقرب إلى الدعاية ، فإنه يدرك من ذلك ما قد يخفى عليه .. لقد كانت « المختار » مثلا واحدة من أبرز ما ظهر في هذه الفترة وانتشر وترك أثره أقوى الأثر في بعض المفاهيم بل في تجديد النظرة إلى المقال الأدبي وبنائه هذا البناء ، المغاير على حرص على سلامة اللغة شديد وعناية بالأداء واضحة .

ب - وقد كان هنالك أحداث أخرى نكتفي بالاشارة اليها . . ان ثورات الشعوب واستقلالها على طول الوطن العربي وقيام سلسلة من الانظمة - كل ذلك أدى إلى خلق نوع من الفكر السياسي الجديد وهو فكر كان لا بد له كذلك من أن يسلك إلى الأداء مسالك فيها بعض الجدة ، وأن تكون له لغته وتعابيره وطرائقه وأن يكون له نفاذه إلى الجماهير وأثره في هذه الجماهير .

جـ - ووراء الفكر السياسي كان هنالك هذا الفكر الاجتماعي الجديد الذي اقترن به والذي غطى الحياة العربية كلها أو أكثرها .. إن هذا الفكر كان له

كذلك آفاقه ومصطلحاته ، وقضاياه التي طرحها ومعالجاته التي قام بها وكان له من كل ذلك فيض من المقالات التي لاشك في أن لها لغتها وتراكيبها وممارساتها.

د ـ واقتران مابين الفكر السياسي والاجتماعي يدعونا أن نقف عند الآفاق الثقافية الجديدة التي أتيحت للوطن العربي .. كان هذا الوطن يعرف من الثقافة الغربية أكثر مايعرف الفرنسية والإنجليزية .. وقلائل أولئك الذين كانوا على صلة بالثقافة الالمانية أو الروسية أو الأميركية .. ولكن الحرب أتاحت له أن يعرف أطرافاً من الفكر الأميركي عن طريق بعض المجلات وفي سلاسل من الكتب التي صدرت بعد .. ثم أتاحت له كذلك نتائج هذه الحرب أن يتصل بالثقافة الروسية : أدبها أولاً عن طريق مجموعات أدبية قامت بنشرها بعض دور النشر على أسوأ صورة ترجمةً وطباعة ، ثم فكرها المذهبي وعقيدتها الاشتراكية وعملها السياسي ودعوتها العالمية .. وكان مؤتمر باندونغ منعطفاخطيراً في ذلك ، في صلات مابين الوطن العربي والشعوب السوفيتية .. ثم اتسعت الصلات وامتدت على نحو ما نرى .

هل من شك في أن ذلك كله كان له في المقال الأدبي في مادته بخاصة وفي تنويع هذه المادة وإغنائها ، وفي طريق معالجاته وأساليب أدائه ، وفيما خالطه من رأي ومازجه من اتجاه ، أثرٌ كبير ؟

هـ ـ وإذا نحن وقفنا عند الحرب العالمية الثانية وعندما كان بعدهامن الفكر السياسي والفكر الاجتماعي، من الفكر الشرقي ومن الفكر الغربي ، فان ذلك لايعفينا من أن نذكر ما كان قبلها في بداية الحركة الفكرية ، في مصر بخاصة ، مصر التي كانت تمثل بؤرة النشاط الثقافي ومركز الإشعاع الفكري .. كانت الحركة الفكرية تتفتح آنذاك في شيء من البطء لأن تفاعلها مع الحياة الغربية أو الشرقية كان تفاعلاً ضعيفاً ، ولكنه كان تفتحاً ذاتياً لا إكراه فيه .

وإن ذلك لايعفينا أيضاً من أن نشير إلى أحداث ما بعد الحرب وهذه النكبات التي تركزت في فلسطين . . إن قضية فلسطين وحدها خلقت نوعاً من المقال الأدبي ، وخلّفت فيه ، في مادته ونبرته وروحه ، شيئاً لم يكن من قبل .

هذا عن الأحداث،أما عن منعكساتها فمن واجب الباحث أن يرصد حركة الصحافة العربية ، جرائد ومجلات أسبوعية وشهرية ، وحركة النشر في الكتب والسلاسل والمجاميع.لقد أشرت على سبيل المثال إلى المختار وإلى مجموعات الأدب الروسي .. ولكن لابد من حركة متابعة دقيقة .. إن جريدة المصري مثلاً بعد الأهرام ومعها ، وجريدة أخبار اليوم مع المصري وبعدها ، كانت ، في جملتها، دعوة صارخة إلى جديد في المقال الأدبي ، جديد في أدائه وجديد في لغته .. والذين عاصروا هذه الفترة يدركون بوضوح أي أثر خلفته هذه الحركة الصحفية في الأساليب وجددته فيها .. وإذا كان هنالك هذا الخط المتصل المتطور في المقال الأدبي ، فإن هنالك هذا الخط المتطور الذي يسبقه أو يدعمه ، متقدماً عليه أو موازياً له ، في النثر الصحفي .

وفي الصحافة ، في أنهرها وحقولها ،يجب أن نلتمس كثيراً من العوامل التي كانت وراء تطور المقال الأدبي في الجوانب التي أشرت إليها .

إن المقتطف والهلال والفتح والزهراء، ثم الرسالة والثقافة والمجلة والمجلة الجديدة والطليعة والأديب والآداب ، وغير ذلك مما لم أذكر ... إن هذه الصحافة الأدبية التي تمثل المقال الأدبي تتواكب في تطورها وتلتحم بالأهرام والمؤيد والمقطم والمصري والزمان والمسلمون واخبار اليوم والمساء والجمهورية.. وفي ادارات الصحف نشأت أقلام ونضجت شخصيات وتبدت تأثيرات لاحصر لها . . وهي ، كلها ، جديرة بدراسات متأنية مستقلة .

الخاتمــــة

وبعد، فتلك خطوط من مظاهر الأصالة وظواهر التجديد في المقال الأدبي .. إنها كلها تضعنا أمام القضية الكبرى في هذا المقال : كيف نستطيع أن نوفر له هاتين القيمتين الكبريين ، قيمة السلامة اللغوية وقيمة الجمال الفني .

أ ـ إن أي اتجاه في التطور يجب له أن يراعي هاتين ... وليس في وسعنا ، أياً كانت الدعوات والتأثيرات والتجارب الأخرى، أن نتخلى عن السلامة اللغوية .

إن اللغة ، لغتنا العربية المشتركة هــذه هي مادة وجودنا وهي التي تختزن جوهر هذا الوجود وتفصح عنه وتتيح له التعبير عن ذاته . . وكل انحراف عن هذه اللغة او ابتعاد عنها ، بالحركة او الحرف او الكلمة، هو انحراف عن خط الحياة السليمة . . وليس لنـا كبير عمل ولا طويل يد في هــــذا الشأن إلا في جانبين :

أما احدهما فذلك هو أمر التبسيط والتيسير في الأدوات . . على أن تبقى اللغة هي اللغة في أصولها وروحها، وخط التواصل الذي يربط بين ماضيها وحاضرها.

وأما الآخر فذلك هو امر التعريب في المصطلحات : التعجيل بها ، والعمل على إقرارها والأخذ بها في كل مدارج التعليم .

إننا لسنا مع اللغة في خيار . . إنها اختيار متأصل. . بدأ مع وجودنا القديم إن كان هناك وجود قديم وجديد . . بل إنها نوع من الجبرية التي لامعدى عنها لأننا نعيش في لغتنا كما نعيش في جلودنا ، وتسري فينا لغتنا كما تسري دماؤنا . . والانحراف عن اللغــة يشبه أن يكون انسلاخاً من الجلود، ومن الذي يستطيع ذلك . . والعبث بهذه اللغة نوع من تسميم الدم ، وليس من يرضاه .

من أجل ذلك يجب أن ينقطع ، انقطاعاً كاملاً وإلى الابد ، كل صوت يريد أن يغالب هذه اللغــة على وجودها أو يخرج بها عن طريقها ، عن حروفها وحركاتها ، عن أصولها وقواعدها .. إن تلك لا شـك هجمة ضارية من هجمات

الأعداء ، فطن لذلك أصحابها أو لم يفطنوا . . وحسبنا هجمات الأعداء التي نوزح تحتها .

ب والقيمة الأخرى قيمة الجمال الفني لا بد لها من أن تكسو المقال في نوع من الصقل الجمالي لنفوسنا وأرواحنا .. غير أن مجالات هذا الصقل لا تخضع لحدود .. إلا حدود الذوق والموضوعية والعقلانية .. إننا نقبل أي تطور فيها تسيغه الأصول .. بل إننا نسعى وراء هذا التطور ونتمنى أن ينبثق المقال الأدبي عن رؤى جمالية جديدة ، وأن يسبح في فضاء فني جديد .. ولكننا نحترس في أن يرتبط هذا الجمال بغير القيم الكبرى الخالدة في الحياة الانسانية أو أن يأتي متنافياً مع القيم الأصيلة في حياتنا الثقافية .

ج ـ ولا شك أن وراء هاتين القيمتين وحولهما ومعهما الفكر الذي يحملها .. إن القيمة الفكرية للمقال الادبي هي منطلقه ، وهي كذلك استمرار حياته وإلا لم يكن مع الرحى طحن .. وذلك يعني أننا في حاجة إلى هذا الفكر : أن ننفتح له ، بل وأن نتفتح عليه ـ أردت أن يكون ذلك في عمل إرادي ـ من غير إكراه على لون معين منه او اتجاه محدد فيه ..

إننا في الوطن العربي نملك قدرة فائقة بحكم إرثنا الحضاري على أن ندرك الأشياء ، وأن نتفاعل معها ، وأن نغنى بها وأن نغنيها .. فلنترك لهذا التفاعل أن يتم حراً طليقاً ،لأن كل تدخل فيه هو حد من قدراتنا الموروثة والمكتسبة ، وهو كبت لتطلعاتنا الجادة، وقتل لكل ماخلفت فينا القرون من استعداد وما يخلفه التحدي الحاضر من قدرات .

إن فرق مابين الشعوب العربية وبين عديد من الشعوب الأخرى النامية إنما هو إرثها الروحي والفكري الذي لا يضطرها أن تبدأ الطريق من ملامسة السطح .. وإنما هي قادرة على أن تتجاوزه قفزاً حتى تصل إلى مقدمة الركب إن هي حيل بينها وبين التبديد والانحراف والتضليل .

إن وجود الفكر ،الوجود الصحيح للفكر الصحيح، في المقال الأدبي يطرح قضايا خطيرة في الثقافة والمجتمع : قضايا الحرية ، والفكر العالمي ، والترجمة .. وليس إلى تجاوزها من سبيل .

وإذا استطاع المقال الأدبي أن يضمن الفكرة التي يقوم عليها ، والسلامة التي يقوم بها ، والجمال الذي يتحلى به ، فذلك يعني استواء الطريق إلى أن نضع بين يدي الانسان العربي الغذاء الذي يجمع بين الصحة والذوق ، بين النمو والجمال .

* * *

وددت لو أن هناك مجالاً لأتحدث عن نحو آخر .. هو وضع المقال بالقياس إلى وسائل التثقيف الأخرى في الثقافة العربية المعاصرة ، وبخاصة بالقياس إلى الكتاب .

لقد أعطيت المقال حقه ، ولكني لم أعطه مكانته .. إن قيمة المقال تبقى ، ويجب أن تبقى ، قيمة جزئية في دورتنا التثقيفية.. ولا بدّ من الكتاب أولاً، ومن الكتاب آخراً .. ومن أن يكون المقال بينهما وسيطاً ـ يوجز ويثير،ويدلّ ويشير..يستبقي مايبقى من الكتاب القديم،ويبشر بالكتاب الجديد ويدعو له.

إن طورنا الثقافي الذي نعانيه : طور الاقتباس واختطاف الأفكار أحيانا دون وعي،وفقدان حركة ترجمة منظمة ،واضطراب نظم التعليم بين الازدواجية في اللغة أو الثنائية أو الوحدانية .. وانهيال المعارف الجديدة وتدفقها كما تنهال الثلوج كتلًا متسارعة ، أو كما تتدفق الينابيع أنهراً هادرة ـ كل ذلك يجعل المقال ، الآن ، أداة أولى .. ولكنه لايجب أن يكون كذلك ، أو أن يبقى كذلك .

إن المقالات وبخاصة حين تكون غير محكمة ـ إنما تعطي جوانب من

الفكرة وزوايا من زواياها .. ولكنهـا لا تغطي ولا يمكن أن تغطي الموضوع من أطرافه .. ولهذا يحسن أن لايعدو المقال طوره : وساطة وإثارة وتبشيراً .. وأن لايكون البداية والنهاية .. لأن الكتاب في مجال الهدف البعيد : التثقيف، هو البداية والنهاية .

ترى كيف نستطيع أن نضبط هـذه العلاقات بين المقـال والكتاب حتى لاتكون كتبنا مقـالات وأفكارنا جزئيات ، ومعرفتنا التقاطات ، وثقـافتنا زوايا ضيقات متفرقات ؟!

* * *

هل في وسعنا أن نفعل في ذلك كله ، شيئاً ذا بال ؟..

من المؤكد أن الأمور في الوطن العربي لاتجري على سنن واضح ، وليست لها قيادة واحدة .. تلك مشكلتنا الكبرى . ومع ذلك فإن أحداً لا يحول بيننا وبين أن نقول الكلمة الصحيحة .

إن المقال الأدبي ـ أيا كانت مادته ـ هو طريق رئيسية من طرائق التثقيف .. والتثقيف هو وسيلتنا إلى مواكبة الحضـارة .. وأي جهد يبذل نحو أن يكون هذا المقال أصيلاً ومبدعاً في آن ، هو جهد محمود .

إن رؤانا بعيدة ولكنها لن تثقل أجفاننا كما لن تثقل الهموم كواهلنا .. ولا بد لنـا من أن نتيح للحرف العربي أن تكون له مطلاته الواسعة ، السليمة ، الجميلة .. إن هذا الحرف يشبه أن يكون السيف الذي يثقله قرابه ولا بد له من أن يخرج من هذا القراب حراً طليقـاً .. إن معركتنـا في صميمها ، تبدأ بهذا الحرف وتدور حوله .. أترى كانت بداية بعض السور في القرآن الكريم بهذه الحروف تكريماً لها وبيانا لشأنها ؟!..

وصدق الله العظيم

شكري فيصل
أستاذ كرسي الأدب العربي في جامعة دمشق

مخطط البحث

مدخل

القسم الاول : المقال في التراث القديم
من الجاهلية الى العصر الحاضر

القسم الثاني : المفهوم الجديد للمقال

القسم الثالث : عناصر الأصالة ومظاهر التجديد
١ ـ خط التطور العريض
٢ ـ عناصر الأصالة : ١) الفكرة (الوضوح ـ الايمان)
٢) الأداء (الصحة ـ الجمال)
٣) الإيجاز

٣ ـ مظاهر التجـــديد

أولاً ـ المظاهر الإيجابية :
١ ـ طواعية اللغة
٢ ـ يسر الأسلوب
٣ ـ الإقلاع عن الزخرف اللفظي

ثانياً ـ المظاهر السلبية :
أ ـ في الفكر
ب ـ في الأداء
جـ ـ في الإيجاز

ثالثاً ـ عوامل وراء هذا التطور :
١ ـ الترجمة
ـ ٢ الصحافة
٣ ـ الإذاعة والتلفزة
٤ ـ الخطب السياسية
٥ ـ نزعات أخرى في لغة المقال

رابعاً ـ أحداث وانعكاسات

خاتمة

اللغة العربية في كتب المبشرين الأولين

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

— ١ —

أصدرت المطبعة الأمريكية رسالة ، بمناسبة مرور مئة سنة على نقلها من مالطة إلى بيروت ، جاء فيها أن المطبعة « تخصصت بخدمة اللغة العربية » في وقت كانت فيه صناعة الطباعة « مجهولة في البلاد » وأن المطبعة « كانت العامل الأول في اليقظة من ذلك الرقاد الطويل والنهضة الأدبية في الشرق الأدنى »[١]. وكتب أحد رؤساء الجامعة الأمريكية في بيروت أن هذه المطبعة ، مع غيرها من نتائج نشاط المبشرين الأمريكان ، قد عملت على إحياء الثقافة العربية التي كانت على زعمه منسية في الغالب[٢].

تتكرر هذه المزاعم في كثير من الكتب في الشرق والغرب ، مع أنها لا ترتكز على أساس من الحقائق ، كما يظهر لكل من ينقّب في سجلات المبشرين أنفسهم المحفوظة في مكتبة جامعة هارفارد وفي مقر جمعياتهم في مدينة بوسطن ونيويورك . والغريب أنه لم يُنسب شيء من الفضل في إحياء التراث العربي أو خدمة اللغة العربية إلى المبشرين البريطانيين رغماً عن أنهم سبقوا الأمريكان بتأسيس مطبعة خاصة باللغة العربية في مالطة نشرت عدداً غير قليل من الكتب الدينية والمدرسية .

---

(١) العيد المئوي لنقل المطبعة الاميركانية إلى بيروت ١٩٣٤ ص ٢ ، ١٥ .

(٢) Stephen Penrose, The Story of thc American University of Beirut (New York, 1941) p. 5.

بحثنا هذه المسائل في مواضع مختلفة من كتابين نشرناهما باللغة الانكليزية[١]. ثم لخصنا الشواهد في كتاب ثالث أيضاً باللغة الإنكليزية[٢] . وأخيراً عرضنا ما يختص باللغة العربية منها في مقالات نشرت في هذه المجلة أولها « نصوص وحقائق لم تنشر عن أصل النهضة العربية في سورية » [٣] وآخرها « القس إلاي سمث ورسائله في اللغة العربية »[٤] . والغرض من هذه المقالة درس بعض الكتب التي نشرها المبشرون الأولون من البريطانيين والأمريكان في مالطة وفي بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، لتعيين قيمتها مادةً ولغةً ، وتقدير أثرها في النهضة الأدبية ، ثم درس المزاعم نفسها فيما يتعلق بكتب اللغة العربية والأدب العربي .

وتمهيداً لذلك لا بد من تجريح ما قيل : إن الطباعة كانت مجهولة عندما أسس الأمريكان مطبعتهم في بيروت ، إذ المشهور أن الطباعة بأحرف عربية قد ظهرت لأول مرة في بلدة فانو في إيطاليا في القرن السادس عشر ، ثم انتشرت في بلدان مختلفة في أوروبا . وكانت الغاية منها دينية تكاد تقتصر على نشر الكتاب المقدس . ثم انتقل فن الطباعة إلى عاصمة السلطنة العثمانية وسورية. وأقدم المطابع في هذه كانت في حلب ولبنان ، استخدمتها بعض الطوائف النصرانية لأغراض دينية في الغالب .

أما في إستانبول فكانت أول المطابع كذلك في أيدي النصارى واليهود .

---

(١) British Interests in Palestine 1800-1901 ; American Interests in Syria 1800-1901 (Oxford, 1961-1966)

(٢) A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine (London, 1969)

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية : م ٤٠ ، ج ٤ (ص ٧٧٥ – ٧٩٣)

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية : م ٤٦ ، ج ٤ (ص ٧٥٢ – ٧٦٧)

ولم يسمح لمسلم بإنشاء مطبعة إلا بعد صدور إرادة سلطانية وفتوى من شيخ الإسلام ، اشتُرِط فيها عدم جواز طبع القرآن أو التفسير أو الحديث أو ما شابه ذلك . ولم يطبع القرآن والتفسير والحديث إلا بعد نظر وتحقيق وصدور إرادة سلطانية جديدة وفتوى أخرى . وكان ذلك كله قبل نهاية القرن الثامن عشر وقبل حملة نابليون على مصر عندما أسست أول مطبعة باللغة العربية في القاهرة زالت بزوال الاحتلال الفرنسي . وأول مطبعة حديثة بعد ذلك أسسها محمد علي باشا في بولاق سنة ١٨٢٠ ، وفيها طبعت كتب كثيرة ، من دينية ولغوية وأدبية وعلمية ، باللغة العربية والتركية وغيرهما .

فإذا استَثْنَيْنا ما كان متداولاً بين الطوائف النصرانية حتى ابتداء القرن التاسع عشر من الكتب المقدسة وكتب الصلوات المطبوعة في أوروبا أو في أديرة سورية ، فإن معظم الكتب الأخرى باللغة العربية كان صادراً من مطابع إستانبول والقاهرة ، وبعضها من مطابع الآداب الشرقية في أوروبا . وظلت هذه المطابع وحدها تغذي بلدان الشرق الأدنى بالكتب أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر . ولم يصدر من المطبعة الأمريكية ولا من المطبعة اليسوعية في ذلك الوقت شيء من كتب اللغة العربية وآدابها أو من كتب الثقافة العربية أو الدين الإسلامي .

- ٢ -

بعد هذا الإيضاح ندرس الآن قيمة ما وصلنا من الكتب التي طبعت في مالطة أو بيروت في النصف الأول من القرن التاسع عشر . وهذه الكتب غير موجودة في المكاتب العامة ، وقد عثرنا على بعضها أثناء التنقيب في سجلات المبشرين في إنكلترا وفي أمريكا ، فأخذنا ما عندنا منها بإذن أصحابها وهي :

(١) كتاب تعليم القراءة إلي (كذا) الأطفال الصغار (طبع في مالطة سنة ١٨٢٨) .

(٢) مثل الابن الضالّ المهتدي (طبع في مالطة سنة ١٨٣١) .

(٣) كتاب تواريخ مختصر (طبع في مالطة سنة ١٨٣٣) .

(٤) خبرية أسعد الشدياق (طبع في مالطة سنة ١٨٣٣) .

(٥) كتاب تعليم مسيحي (طبع في بيروت سنة ١٨٤٣) .

(٦) كتاب ذخيرة الإيمان (طبع في بيروت سنة ١٨٤٣) .

(٧) كتاب تعليم القراءة (طبع في بيروت سنة ١٨٤٦) .

(٨) نبذة المرأة على البير (لا ذكر لمكان الطبع أو سنته) .

يتضح من العنوان والمادة أن الكتب : الثاني والخامس والسادس مخصصة لأمور دينية . وأما الكتاب الرابع فهو لبيان كيفية اعتناق أسعد الشدياق مذهب البروتستانت وسبب تركه مذهب أهله . والكتاب الثامن مخصص للقصة المذكورة في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا . أما الكتاب الأول والسابع فظاهر عنوانها لا يدل على مادتها ، إذ هما في الحقيقة من الكتب التي تستخدم القراءة لأغراض دينية . وكان المنتظر أن يكون الكتاب السابع أقل التزاماً لهذه القاعدة من الكتاب الأول لمرور نحو عشرين سنة ولما كان بين البريطانيين والأمريكان من تعاون أثناءها . لكن الواقع أن الكتاب لا يحتوي بعد الصفحة العاشرة إلا على نخبة من أقوال موسى وسليمان والمسيح ، ونص الصلاة الربانية والوصايا العشر والمزامير .

وهنا يحسن إيضاح المقصود بقولهم: كتاب كذا ، من جهة الحجم فقط ، إذ كل هذه المطبوعات لا ينطبق عليها قولنا : كتاب . أما أصغرها وهو آخرها ،

فعدد صفحاته لايزيد عن ست عشرة ومعدل عدد الكلمات في الصفحة نحو الستين وسنفصل القول الآن عن كتابين فقط :

(١) **كتاب تعليم القراءة إلى الأطفال الصغار** (سبعون صفحة)

« أيها القاري الأكرم * .

« ان القراة هي أصل المعرفة المفيدة لأنها تجعلنا بأن نعرف كلام الغيرولين
« كانوا بعيدين عنا ونستطيع أن نتعلم كل شي مفيد خاصة الاشيا اللازمة
« لخلاص نفوسنا ، وقد نجد بسبب واحد كثيرا من الناس جهلا اشرارا وذلك
« لعدم استطاعتهم علي ان يقراوا كتب الناس الحكما وكتب الله المقدسة .
« ثم اننا اذا اردنا ان نتعلم القراة فيجب علينا ان نبتدي بتعليم الحركات
« والحروف ثم بالهجا ، واخيرا بتعليم الكلام وتركيبه ، وقد اخترت وضع
« الحركات اولاً لانها اصوات يستطيع علي لفظها الاطفال بسهولة اكثر من
« صوت اخر ، وايضاً لانها اصل صوتنا كلنا . ثم اني اخترت بعد ذلك الحروف
« السهلة للفظ الاطفال، واذا امكنهم ان يتعلموا هذه فيتعلمون الحروف حسب
« قواعد النحو سريعا ... »

اما مادة الكتاب فهي تعريف الحركات والحروف والفعل والاسم والحرف في نحو عشرين صفحة ، ثم تخصص الصفحات الباقية وهي معظم الكتاب لبعض الأقوال من الكتاب المقدس وبعض الأمثال السائرة ، ثم بعض القصص القصيرة كهذه : « حمار اشتكى بان لا قرون له فاشتكى القرد ايضاً بان لا ذنب له ، فقال لهما الخلد اما تنظراني بلا عينين هذا يعلمنا بانا اذا لم نقنع بحظنا فننظر اوليك الذين لهم أقل منا فنصير قنوعين . »

وفي الكتاب قصص أخرى تدل مادتها وأسماء الأعلام فيها على أنها مترجمة

* يعرض النص كما جاء في الأصل .

عن الانكليزية . وفي الكتاب كله عظات مبثوثة في القصص أو موضوعة عند النهاية. وفيه أيضاً قصص عن موسى وسليمان والمسيح ، وينتهي بشعر هذا نوعه :

هذا الرقيع بعده   جنات عدن ظاهره
دار السلام والهنا   لكل نفس طاهره
هناك اخلاص الوداد   والوجوه الناضره
ثم البنون الافضلون   في حيوة فاخره
كذلك الخطاة يثوون   جحيماً ساجره

(٢) كتاب تواريخ مختصر ينبي عن ممالك وبلاد عديدة (مئة وست وثلاثون صفحة)

« المقدّمة

« اعلم ان هذا الكتاب يتضمن أخبار ممالك وبلاد متنوعة عن أزمنة قديمة « وحديثة . وبما ان مقصودنا به ان يكون مختصرا فما أمكننا ان نخبر عن كلما « جرى بتدقيق ، ونوضح عن كل قيل ومقال ، لكننا استقطفنا أزهار ما كتب ، « واستنتجنا نفايس ما نسب ، ولما كان ذا الايجاب فدرجناه مابين سوال وجواب « حتي تنتفع منه الفتيان وتتنشط بواسطته الصبيان ... فواجب علي كلمن هو « ملتزم في تعليم الغير وتهذيبهم انه يوضح للذين يرتشدون منه اخبار تواريخ « العالم كل آن في اوانه ، لان هذه التواريخ هي امر عظيم وضروري لتهذيب « الانسان وتعقله ، لاسيما ان ساير العلوم تدور داخل دايرتها ومرتكنة على « اعمدتها وانصبتها ، وخلاها لا يستطيع احد ان يكسب معرفة تامة « عن ادنى علم ... »

يبدأ الكتاب كما تقول المقدمة ، على طريقة السؤال والجواب ، بمملكة بابل ، وينتهي بتاريخ بريطانيا واميركا . خذ مثلاً على مادّته ومقدار ما فيها من التشويه والغرض الجزء الخامس الخاص بسورية (ص ١٨ — ١٩) ، فالسؤال

الوارد هنا هو « متى رفعوا يدهم الرومانيون من هذه المملكة » وهذا جوابه : « في سنة ستماية واربعين لما غزوا عليها العرب ، لكنهم ما قدروا علي امتلاكها « من أجل أن نصاري اهل تلك البلاد اشتعلوا حمية وقاموا عليهم وضربوهم « وخلصوا القرا من اياديهم ، وفي انتها الدهر الثاني عشر اجتهدوا وفكوا « اورشليم من يدهم . وفي سنة الف وسبعماية وثمان عشر مسيحية انثنوا عليها « ايضاً العرب بقوة سلاطينهم وفتحوها ، وتسلطوا عليها ، وبعد ذلك تسلط « عليها آل عثمان ، والآن خاضعة لمملكة مصر . » (طبع هذا الكتاب في سنة ١٨٣٣ عندما كانت سورية تحت حكم محمد علي باشا والي مصر) .

والجزء السادس خاص بتاريخ فلسطين (ص ١٩ – ٢٢) . والسؤال الوارد على الصفحة الأخيرة هو هذا « ماذا ذكر في اخبار بلاد فلسطين المتداولة عن خراب اورشليم . » وهذا الجواب عليه : « لما ضعفت قوة الرومانيين واضمحلت « مملكتهم انطلقوا اليها جيوش آل عثمان وفتحوها . ولاجل انهم جاروا علي « نصاري تلك البلاد وظلموهم ارسلوا ملوك اوروبا جيوشا وافرة صحبة كودفري « رئيس العساكر الذي اختار فيما بعد وصار ملكا علي مدينة اورشليم ، « وضربوهم واخرجوهم من تلك البلاد بالكلية، وكان خروجهم منها في سنة الف « وتسع وتسعين مسيحية وفي سنة الف وثمان وستين التفتوا اليها وحاصروها « وتملكوا عليها والآن هي تحت حكم مملكة مصر . »

والجزء السابع عشر خاص بتاريخ بلاد العرب (ص ٣٦ – ٤٠) . ومن الأسئلة الواردة فيه « ماذا ذكر عن عمر بن الخطاب » والجواب على ذلك هو « انه غزا علي برّ الشام وفتحه ، ثم ملك أرض فلسطين كلها وبر مصر ومملكة العجم وجزيرة قبرص، وفي سنة سبعماية وتسع مسيحية قام الوالد (كذا)الاول وملك افريقية وقسما واسعاً من مملكة صپانيا »

الغريب في هذا « التاريخ » أنه لا ذكر لمحمدأو الإسلام فيه ، إلا في هامش صفحة ٣٩ عند الجواب على هذا السؤال «متى ظهروا الوهابيون » يقول الكاتب إن الأمير الوهابي « غزا علي مكا (كذا) وفتحها في اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان سنة الف وثمانماية وثلاث مسيحية ... » ففي الهامش يقول الكاتب إن مكة مدينة مشهورة في الحجاز « اليها ينطلقون الحجاج فيحجون ... لاجل انها ارض ميلاد النبي محمد ... » وأما المدينة فيعرفها هامش آخر على الصفحة نفسها بأنها « مدينة صغيرة ... موصوفة لاجل ان النبي محمد مات ودفن فيها . »

- ٣ -

يتضح من هذا كلّه أن الكتب المذكورة أعدت للاستعمال في مدارس أولية ، وأنه ليس بينها ما يصلح لمستوى أعلى من ذلك . وهذه الكتب كثيرة الأغلاط اللغوية والإملائية ، ولغتها سقيمة عندما تخلو من هذه الأغلاط . أما كتاب التاريخ ففيه أغلاط شنيعة بعضها سببه جهل ، ولكن سبب معظمها تعصب ظاهر في تجاهل الحقائق أو طمسها بتشويش التسلسل التاريخي . لهذا يصح القول : إن ضرر هذا الكتاب كان أكثر من نفعه في المدارس وبين القراء إجمالاً .

لكنه من الإنصاف أن نذكر أن هذا الكتاب وأمثاله استعمل في مدارس طائفة البروتستانت فقط ، وأن معظم الطوائف النصرانية الأخرى أعرضت عن هذه الكتب لما كان بين هذه الطوائف والمبشرين البروتستانت من الخصام ، وخاصة في الوقت الذي صدرت فيه هذه الكتب . أما مدارس المسلمين فمن المؤكد أن هذه الكتب لم تصلها . وعليه فأثرها مهما كان شراً أو خيراً لم يشمل الأكثرية الساحقة من النصارى والمسلمين في البلاد .

ولما كانت الأشياء ، كما قال الشاعر ، تتميز بضدها (أو نظيرها) نذكر الآن بعض ما أصدرته مطبعة بولاق من الكتب المطبوعة في اللغة العربية في

المدة نفسها أي منذ تأسيسها حتى أواسط القرن التاسع عشر . فقد وقفنا أثناء بحثنا في السجلات الرسمية المصرية على قوائم من هذه الكتب أرسلت إلى سورية في سنة ١٨٣٩ أثناء الحكم المصري بناء على طلب القراء في عدة مدن منها حلب ودمشق واللاذقية وطرابلس ويافا وغزة . والقوائم مكتوبة بخط غير واضح ، ولا تذكر عنوان الكتاب كاملا ، وقلما تذكر اسم مؤلفه أو مترجمه . ولكنها تذكر اسم كل من طلب عدداً من هذه الكتب ومهنته ، فيسهل أن نرى أن من طلبوا الكتب كانوا من المسلمين والنصارى على السواء ، وكان بينهم أعضاء المجالس الاستشارية وموظفو الحكومة وضباط الجيش ورجال الدين والأطباء والصيادلة والمعلمون والوجهاء . وفيما يلي أمثلة من عناوين الكتب مبوبة بعض التبويب :

كتاب الحكمة . كتاب الجراحة . كتاب فسلوجيه . كتاب بتلوجيه . كتاب الطاعون . تطعيم الجدري . تشريح بشري . القانون البيطري . اقرباذين .

كتاب الطبيعة . كتاب جر الأثقال . كتاب المعادن ، قانون الصناعة . قانون الزراعة . أصول الهندسة . الهندسة الوصفية . عقرب الساعة . الجغرافية الطبيعية . علم الحساب . اللوغارتمه .

متن الألفية. الكفراوي . ابن عقيل . ابن مالك . جملة النحو . أجرومية. القاموس [غالباً المقصود هو الفيروزابادي] . كليلة ودمنة . كتاب المنطق . رحلة الشيخ رفاعة [الطهطاوي] . إنشاء العطار [غالباً المقصود هو الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر] .

تاريخ مصر . تاريخ اسكندر . تاريخ بونابرته. تاريخ بتزو [غالباً المقصود بطرس الأكبر] . تاريخ ايتاليه . تاريخ أمريقا . تاريخ قدماء الفلاسفة . التاريخ العام (واصف) . تاريخ الأديان .

وتوجد في القوائم بعض الكتب التركية والفارسية . ويوجد كتاب

بعنوان « شرح مثنوي » لا يتضح هل هو بالفارسية أو العربية . وهناك كتاب بعنوان « سير حلبي » والظاهر أنه السيرة الحلبية[١] .

هل يحتاج الباحث إلى كثير من النظر والمقابلة بين كتب مصر وكتب المبشرين حتى يقرر أيها كان أكثر تنوعاً وشمولاً ، وأحب إلى قلوب العرب إجمالاً ، وأجدر أن يكون عاملاً في إغناء اللغة العربية وبعث نهضة أدبية وعلمية بين أهلها ؟ ولئلا يظن أن ما ذكر أعلاه قد لا ينطبق على النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، نقول كلمة في ذلك إتماماً للبحث .

– ٤ –

يمتاز النصف الثاني من القرن التاسع عشر على النصف الأول في ميدان التبشير بإصدار ترجمة عربية للتوراة تحت إشراف المبشرين الأمريكان وإصدار ترجمة عربية أخرى لها تحت إشراف اليسوعيين . ويمتاز أيضاً بما دار أثناءه من المهاترات بين الطائفتين من المبشرين ، واستخدام المطبعة الامريكية والمطبعة الكاثوليكية في بيروت لنشر ذلك . ويمتاز زيادة على ذلك بأن حاجة الكلية السورية الإنجيلية (التي تعرف الآن بالجامعة الأمريكية في بيروت) قد استدعت طبع عدد من الكتب العلمية والطبية في اللغة العربية بعد سنة ١٨٦٦ .

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية منذ القرون الوسطى ، وفي الأزمنة الحديثة ظهرت ترجمات مطبوعة في باريس ولندن . ولكن أشهر الترجمات تلك التي ظهرت في روما سنة ١٦٧١ للميلاد ثم أعيد طبعها مراراً . وعلى هذه الطبعة اعتمد المبشرون البروتستانت في أول عهدهم ، فأعادوا طبعها بعد حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة ، مما سبب كثيراً من المشاحنة بين الطرفين في سورية ،

(١) القوائم المذكورة موجودة في دار الوثائق التاريخية القومية في القاهرة . قصر عابدين . محفظـة رقم ٢٥٧ – كتاب مؤرخ في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٥ هـ من شريف باشا حاكم سورية .

وآل أخيراً إلى إصدار ترجمة يسوعية تشمل تلك الأسفار المحذوفة ، جـاء في مقدمتهـا :

« لا يخفى أن جماعة المبتدعين من الشيعة البروتسطانية منذ دخلوا البلاد السورية ما زال جل همهم مناصبة الإيمان الكاثوليكي . . . وقد لفقوا في الدين كتباً شتى شحنوها بالقدح في حق البيعة المقدسة وتخطئة تعليمها الصحيح . . . ثم إنهم لم يكتفوا بذلك حتى مدّوا أيديهم إلى الأسفار الإلهية بالتحريف والحذف وترجموها إلى اللسان العربي . . . »[١] .

وقد راجعنا البيانات السنوية لكل من المطبعة الأمريكية واليسوعية وهي محفوظة في المتحف البريطاني في لندن ، فعجبنا لمقدار اهتمام كل منها بالمهاترات ، واستغربنا قلة الاهتمام بكتب اللغة العربية وآدابهـا ، فمثلاً نشرت المطبعة الأمريكية رسالة بقلم ميخائيل مشاقة الذي اعتنق مذهب البروتستانت ، هاجم فيها عقائد مذهبه القديم ، فردت المطبعة اليسوعية على ذلك برسالة عنوانها « موسى الحلاقة في ذقن مشاقة » . وفي سنة ١٨٧٦ طبعت المطبعة الأمريكية رسالة وصفها حاكم بيروت التركي بأنها طعن وسب لا يليق أن يوجه مثلها إلى البطريرك الماروني . وفي بيان المطبعة الكاثوليكية لسنة ١٨٨٣ توجد ثلاث صفحات ملأى بعناوين كتب جدلية عنوان أحدها « تعليم المجادلات الدينية » وخاصة ماله علاقة بطائفة البروتستانت .

أما طبع الكتب العلمية والطبية باللغة العربية فلم تنفرد به المطبعة الأمريكية كما هو الشائع ، بل طبع عدد منها في المطابع الأهلية . والسبب في ذلك أن ذوي الشأن في أمريكا أرادوا استمرار تخصص المطبعة في نشر الكتاب المقدس

(١) راجع رأي الأب لويس شيخو اليسوعي في الترجمتين الأمريكية واليسوعية في كتابه « الآداب العربية في القرن التاسع عشر » (بيروت ، ١٩٠٨) ص ٧٥ . قابله برأي جرجي زيدان في الهلال (السنة الثانية) ص ٥٩٣ ، ٦٦٢ ، ٧٣٤ .

والكتب الدينية وبعض الكتب التي تحتاجها مدارس المبشرين، كما هو واضح من الأمر الصادر في سنة ١٨٦٨ : « يجب حصر عمل المطبعة بما هو خاص بالعمل التبشيري ، فلا تطبع كتاباً لا تكون فائدته ظاهرة لنشر الإنجيل[١] » .

فإذا استثنينا الكتاب المقدس والكتب الدينية الصرفة ، رأينا أن المطبعة الأمريكية لم تطبع حتى تلك السنة سوى خمسة كتب مدرسية في قواعد اللغة العربية ، والحساب ، والجغرافية ، والجبر ، والهندسة. وأول كتاب من مستوى أعلى من ذلك كان في الكيمياء ألفه الدكتور فان دايك ، وقد طبع في تلك السنة على نفقة مؤلفه. ثم تلاه كتاب في التشريح وآخر في الفسيولوجيا تأليف الدكتور يوحنا ورتبات . وهنا يجدر بنا أن نتذكر ما طبع من هذه الكتب في مصر قبل ثلاثين سنة ففضله لايجوز تجاهله لأن السابق مهّد للاحق على الأقل في ترجمة المصطلحات .

وقد أحصينا الكتب العلمية والطبية التي نشرت في بيروت لاستعمالها في الكلية السورية الإنجيلية في مقالة مطولة نشرت في « كتاب العيد »[٢] ، ويمكن هنا وصفها إجمالاً بأنها لا تشمل شيئاً في اللغة العربية أو آدابها أو غير ذلك من التراث العربي والإسلامي ، فالفضل في طبع كتب في هذه الفنون كان للمطابع الأهلية في بيروت ، فقد خلفت مطابع استانبول وشاركت مطابع مصر في ذلك . فصدر منها جميعاً ، من جملة ما صدر ، كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، وكتاب الأمثال

---

(١) كتابان مؤرخان في ٣ و ١٤ حزيران سنة ١٨٦٨ محفوظان في مكتبة جامعة هارفارد ABC : 16.8.1,vol. vii(2)

(٢) American University of Beirut Festival Book (Festschrift), edited by Fuad Sarruf (Beirut, 1967) p. 257-284

للميداني ، وكتاب مقدمة ابن خلدون ، وديوان المتنبي وغير ذلك[١] .

- ٥ -

أنصف جرجي زيدان عندما قال ، بناء على حقائق ثابتة : إن مصر سبقت المبشرين الأمريكان والكلية السورية الأنجيلية بنقل كتب مختلفة في العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها إلى اللغة العربية لأجل استعمالها في المدارس[٢] ولكنه أخطأ عندما قال ، دون الاعتماد على حقائق ثابتة : إن الكلية امتازت « بإحياء الآداب العربية وخدمة الجامعة العربية لأنها كانت منذ نشأتها تعلم العلوم باللغة العربية[٣] » .

فأما إحياء الآداب العربية فالبحث السابق لا يثبته ، خصوصاً لأنه لم ينشر أحد من أساتذة الكلية شيئاً من كتب الأدب العربي ، والمشهور أن الكلية لم تعلّم مادة الأدب العربي أثناء القرن التاسع عشر . وأما خدمة الجامعة العربية فغير واضح المعنى ، فإذا كان المقصود بذلك من الناحية السياسية فالكلية لم تعلم شيئاً من علوم السياسة أو الاقتصاد أو الإدارة أو الاجتماع في المدة المذكورة ، بل كان همها الأول خدمة التبشير وإعلاء شأن المذهب البروتستانتي . وأما التعليم باللغة العربية فكان من سنة ١٨٦٦ إلى سنة ١٨٧٩ في الدائرة العلمية وإلى سنة ١٨٨٤ في الدائرة الطبية ، إذ بعد ذلك صار التعليم باللغة الإنكليزية . ونتج عن ذلك أن قلّ الاهتمام بتأليف الكتب في اللغة العربية أو ترجمتها إلى تلك اللغة .

---

(١) نشرت مجلة المشرق ج ٣ ص ١٧٩ ، ج ٤ ص ٨٦ ، ج ٥ ص ٦٩ قوائم بالكتب التي صدرت من هذه المطابع .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية (القاهرة ، ١٩١٤) ج ٤ ، ص ١٨٤ ، ٢١٧

(٣) الكتاب والجزء نفسها ، ص ٥١

لا شك أن الكلية قد خدمت سورية بما أخرجت من شبان أصبح كثير منهم من زعماء البلاد في ميادين السياسة والعلم والأدب ، ولكن جل هؤلاء إن لم يكن كلهم ، في المدة التي تتناولها هذه المقالة ، كانوا من النصارى دون المسلمين. ولا شك أن المطبعة الأمريكية لها فضل كبير بما أخرجته في اللغة العربية من كتب دينية وخاصة ترجمة التوراة . ويمكن قول مثل ذلك في تقدير خدمة الكلية اليسوعية والمطبعة الكاثوليكية .

ولكن الذين ينسبون الفضل في النهضة الأدبية أو السياسة إلى هذه المعاهد الأجنبية يغالون في قيمتها ويقللون من شأن العوامل الوطنية الأهلية كما يظهر مما سبق في بيان خدمة المطابع الأهلية في نشر كتب اللغة العربية وآدابها . وكذلك يمكن عند ذكر المدارس الأجنبية التنبيه إلى قيمة المدارس الأهلية كمدرسة عين ورقة المارونية والمدرسة الوطنية لمؤسسها بطرس البستاني وعدد من المدارس المشابهة التابعة للطائفة الأرثوذكسية ولطائفة الروم الكاثوليك .

عثرنا في سجلات الجامعة الأمريكية في بيروت غير المبوّبة على قائمة تاريخها ١٨٦٩ أعدها المبشرون تذكر أسماء مدارس مختلف الطوائف في المدينة وتبين المباحث التي عُلمت في كل مدرسة ومستوى ذلك كله في كل منها . والناظر في هذه القائمة يرى أن بعض المدارس كان داخلياً ومن درجة عليا ، وأن اللغة العربية كانت تعلّم على مستوى عالٍ ، وأن الفرنسية والإنكليزية واليونانية والتركية كانت تعلم أيضاً . وفي القائمة ذكر لثلاث مدارس إسلامية وهي القادرية والأحمدية والرشدية (وهذه غالباً مدرسة رسمية عثمانية) .

لا ذكر في هذه القائمة لمدارس الجوامع أو المدارس التي كانت قائمة في أبنيتها الخاصة تنتفع من أوقاف حبست عليها . حتى المدارس السلطانية العالية التي أسستها الحكومة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لا ذكر

لها في الكتب التي وقفنا عليها . وقليلون الذين يقدرون قيمة دروس اللغة العربية التي ألقاها الشيخ محمد عبده في المكتب السلطاني في بيروت أثناء مدة إقامته في المدينة ، أو الدروس الدينية التي ألقاها في الجامع الكبير في تلك المدينة وحضرها بعض النصارى مع إخوانهم المسلمين ، أو كتابته وهو في تلك المدينة لأصول « رسالة التوحيد » وشرح « نهج البلاغة » و « مقامات البديع ».

فما هو السبب في إصرار الأجانب من الكتاب ، ومحاكاة بعض كتاب العرب لهم ، في نسبة الفضل في النهضة إلى الأجانب وتجاهل نصيب العنصر الوطني الأهلي في ذلك ؟

— ٦ —

أصل الوهم مبالغة عظيمة في أثر حملة نابليون على مصر واعتبارها عاملاً أساسياً في النهضة في القرن التاسع عشر . وأصل هذا الرأي فرنسي نشره في الشرق بعض من تعلموا في المدارس الفرنسية أو من كانوا غافلين فبهرتهم مدنية أوروبا وأخجلهم تأخر الشرق .

فإذا نظرنا في الحقائق التاريخية الثابتة تبين لنا أن حملة نابليون على جنوب سورية دامت نحو أربعة أشهر ، كان من نتائجها ، إضافة إلى خسارة البلاد في الأرواح والأموال ، إثارة التعصب بين المسلمين وإخوانهم النصارى . أما في مصر فقد دام الاحتلال الفرنسي مدة تقل عن ثلاث سنوات انقضى بعضها في الحرب وبعضها في إخماد الثورات . وفي أثنائها اضطهد شيوخ الأزهر واضمحل شأن الجامع إجمالاً بتشرد عدد من علمائه وطلابه .

بالغ بعضهم بتقدير قيمة المعهد الفرنسي الذي أسس في القاهرة ، وغاب عنهم أن المعهد كان لمنفعة الفرنسيين لا المصريين ، وأن علماءه ازدادوا معرفة

بمصر وزادوا معرفة أهل أوروبا بهــا ، ولكنهم لم يزيدوا معرفة المصريين لا بأنفسهم ولا بالتمدن الأوروبي . وما ذكره الجبرتي من « عجائب » التجارب العلمية التي شاهدها هو وغيره من علماء المصريين لم يكن أكثر من ألعاب تعرض أمام الأطفال ، فأثرها على عقول من رآها كان عجباً لا عملاً ولا فكراً . ولو لم يَفُزْ محمد علي باشا بالسلطة على مصر بعـــد جلاء الفرنسيين لعادت مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال . فهو الذي بدأ النهضة بعد سنوات من جلاء الأجانب ، مستعيناً بهم ، مشابهاً ومتابعاً ، ما بدأه السلطان في إستانبول .

لم أر بين الذين يكررون القول دون تحقيق أن الحملة الفرنسية كانت عاملاً في النهضة ، مَنْ يؤكد قوله بالشواهد المحسوسة فيذكر على وجه التعيين لا التعميم معنى كلامه . والغريب في أمر هؤلاء أنهم يتعصبون للبلد الذي ينتسبون إليه أو المدرسة التي تعلموا فيها أو الأمة الأجنبية التي أحيوا آدابها . فاللبناني مثلاً يقدم للبنان وينسى باقي البلاد السورية ، والذي تعلم عند اليسوعيين ينسب إحيـاء آداب اللغة العربية إلى مدارسهم ومطبعتهم ، والذي تعلم عند الأمريكان ينسبه إلى الكلية السورية الإنجيلية والمطبعة الأمريكية . ولكنهم جميعاً ينسون المدارس الوطنية من إسلامية ونصرانية ، وينسون المطابـع الأهلية . ولو بحثوا لأنصفوا وقالوا إن النهضة تعود إلى جميـع هـذه العوامل وإنه يصعب تقسيم الفضل بينها قسمة عادلة .

عبد اللطيف الطيباوي

القلقشندي والمناخ في صبح الأعشى

الأستاذ صباح محمود الحلي

مقدمة :

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تسدد الضربات القاصمة لجيوش الفرنجة ، حيث تأكد النصر النهائي تحت راية صلاح الدين الأيوبي ، اندفعت الخيل المغولية تنهب الأرض نهباً متجهة نحو المشرق العربي ، نحو بغداد حاضرة الخلافة العباسية ، لتدك بسنابكها كل أثر حضاري قائم لها . وأي بيئة قاسية تلك البقعة من العالم (وسط آسيا) التي ترعرعت فيها قبائل التتار (على أعمال العنف والتحايل على أسباب العيش واكتساب صفات خلقية واجتماعية شاذة جعلتهم أخطر أساتذة العالم الذين عرفهم التاريخ في ميدان التخريب والتدمير)[1] وكان المشرق العربي آنذاك مقسماً إلى دويلات وإمارات صغيرة مفككة ، تتصارع فيما بينها ، مما سهل الطريق لتلك الجحافل البشرية الجائعة لتدميرها ونهب خيراتها والسيطرة عليها .

وإذا كانت مصر قد لعبت دوراً طليعياً — على عهد الدولة الأيوبية — في صد جيوش الفرنجة وطردها وتحرير البقاع العربية من سيطرتها ، لكونها موحدة ومتماسكة ، بخلاف الجناح الشرقي للمشرق العربي — الذي كما ذكرنا تسوده الفوضى والاضطراب — فإنها مؤهلة لأن تلعب الدور نفسه في وقف المد التتري الجارف وتحطيمه ، على عهد الدولة المملوكية التي خلفت الأسرة الأيوبية في حكم مصر والشام .

---

(١) الدكتور إبراهيم أحمد العدوي — العرب والتتار — دار القلم ١٩٦٣ ص ٢٥ — ٢٦

تمتد الفترة التي حكم فيها المماليك[١] من عام ٦٤٨ هـ حيث انتهى حكم الاسرة الأيوبية وحتى الفتح العثماني لمصر عام ٩٢٣ هـ . وقد انقسمت دولة المماليك خلال تلك الحقبة إلى دولتين ، الأولى : الدولة البحرية ، والثانية : الدولة الجركسية.

وكانت الدولة البحرية ذات قوة ونفوذ ، فقد انتصرت على التتار في معارك عديدة ، ووصل نفوذها إلى شواطىء الفرات والجزيرة شرقاً ، وبلاد المغرب غرباً ، إضافة إلى بلاد الشام والجزيرة العربية . وقد انتهت هذه الدولة عام ٧٨٤ هـ ، وبدأ عهد الدولة الجركسية على يد برقوق بن آنص الجركسي ، وقد انتشر الفساد والظلم في المجتمع العربي إبان حكمها ، حتى انتهت بنهاية الملك الأشرف (طومان باي) وابتدأ الاحتلال العثماني لمصر[٢] .

وقد عاش مماليك مصر عيشة إقطاعية مترفة ، (ويعتبر مجيئهم شراً على البلاد والعباد .. لسوء أخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم)[٣] .

ولم يقتصر ذلك على مصر وحدها ، بل شمل جميع الأمصار التابعة لهم . فهذا المؤرخ ابن طولون الدمشقي الصالحي يروي لنا في كتابه (إعلام الورى) ما جرى في دمشق أيام الدولة الجركسية فيقول : (وفي هذه الأيام ورد إلى دمشق مماليك أجلاب جراكسة وزاد بسببهم وقوف حال الناس ، وغلقت أسواق وحوانيت كثيرة من خطفهم ما يحتاجون إليه وغيره من الأطعمة والأقمشة ، ويقفون في الطرق يأخذون عمائم المارّين أو شدودهم ويأخذون ما يرونه على الدوابّ من الأثاث وغيره .. وغالب هذه المماليك الأجلاب كبار

---

(١) راجع عن أصل المماليك كتاب محمود رزق سليم (عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي) ج ١ - ١٩٤٧ مصر - ص ١٤ - ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧ - ٧٩ .

(٣) د. نظير حسان سعداوي - صور ومظالم من عصر المماليك - مصر ١٩٦٦ ص٦

بذقون ويبيعون ما يخطفونه لمن يشتريه منهم)[١] .

كل هذا يدل دلالة أكيدة على ما وصل إليه الحكم المملوكي من فساد وانحلال وتفش لكثير من الأمراض الاجتماعية كالرشوة وشهادة الزور وغير ذلك . وهذا الظلم الاجتماعي والفرضى السياسية لا بد وأن يؤدي إلى قيام ثورات وانتفاضات شعبية ، كانت تقابل بكل عنف وقسوة ، وتخنق كل الأصوات الثائرة المطالبة بالإصلاح والعدل بين الرعية[٢] .

الحركة الفكرية في عصر المماليك

وبالرغم من أن عصر المماليك عصر ظلمة وتأخر اجتماعي وفوضى سياسية ، فإنه من الناحية الأخرى يمثل عصر تفوق مصر الفكري ، لكونها قد خرجت من صراعها مع المغول والفرنجة ظافرة منتصرة ، فكانت بذلك الوارث الوحيد للأدب العربي في المشرق . في حين كان التتار قد قضوا (على بغداد أدبياً وسياسياً في وقت معاً . . وفتحت مصر أبوابها للاجئين إليها من العلماء والأدباء والفضلاء)[٣] .

(١) محمد بن طولون الصالحي الدمشقي – إعلام الورى – تحقيق محمد أحمد دهمان – دمشق ١٩٦٤ ص ١٨٩ . وقد كتب المستشرق الفرنسي بوليناك عن (طابع حكم المماليك الاستعماري) في مجلة الدراسات الإسلامية عام ١٩٣٥ وعن (إقطاعيات المماليك) في المجلة الآسيوية البريطانية عام ١٩٣٧ – راجع نجيب العقيقي – المستشرقون – مصر ١٩٦٤ – ج ١ ص ٢٥٤ . وللأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور رسالة دكتوراه موسومة بـ (دراسات في الحياة الاجتماعية في مصر على عهد سلاطين المماليك) من جامعة القاهرة – كلية الآداب ١٩٥٤ .

(٢) ممن كتب عن تلك الثورات أيضاً – المستشرق بوليناك في مجلة الدراسات الإسلامية (الثورات الشعبية في مصر على عهد المماليك وأسبابها الاقتصادية) ١٩٣٤ – المستشرقون ص ٢٥٤ – وللأستاذ حفني محمود خطاب رسالة عن (الحركات الداخلية في الدولة المملوكية الأولى) كلية الآداب جامعة القاهرة – ١٩٤٩ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة – الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول مصر ١٩٦٨ ص ٣١٥ .

وقد شمر العلماء والأدباء عن سواعدهم ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الثقافة العربية الإسلامية ، فصنفوا الموسوعات الثقافية الكبرى التي تميز بها العصر المملوكي ، وقد تضمنت هذه الموسوعات معلومات في الأدب والجغرافية والإدارة والحضارة والتاريخ وجميع فروع المعرفة الأخرى ، فاهتم بمطالعتها جميع المثقفين ، ومن أشهر تلك الموسوعات المملوكية ، نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، وصبح الأعشى للقلقشندي[١] .

القلقشندي :

هو أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ، وقد ذكره البغدادي باسم علي بن أحمد [٢] أما جرجي زيدان فقد نقل ما ذكره صاحب شذرات الذهب وذكر اسمه الموجود في صدر كتاب قلائد الجمان هكذا (شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله سليمان بن اسماعيل القلقشندي ، المصري ، الشافعي ، الشهير بابن غده) [٣] وهو ما جاء مثبتاً أيضاً في أول كتاب نهاية الأرب .

وقد ذكر الأستاذ كراتشكوفسكي بأنه لا يوجد اتفاق تام بين المصادر العربية فيما يتعلق باسمه ، والخلط بينه وبين ابنه الذي كان من رجالات الأدب أيضاً . وقد ناقش هذه المسألة أيضاً الدكتور عبداللطيف حمزة في كتابه عن

(١) كراتشكوفسكي - تاريخ الأدب الجغرافي العربي - ترجمة صلاح الدين عثمان - القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٤٠٥ وما بعدها. والدكتور حمزة - المصدر نفسه ص ٣١٥ - ٣١٧ والدكتور محمد عبد السلام كفافي - الأدب الموسوعي عند العرب في العصور الوسطى - مجلة الكتاب العربي - ع ٤٦ - ١٩٦٩ ص ١٥ - ٢٦ .

(٢) إسماعيل باشا البغدادي - هدية العارفين - استانبول ١٩٥١ - ج ١ ص ٧٢٦ .

(٣) جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ دار الهلال - مصر ص ١٤٤ وما بعدها .

(القلقشندي) وكذلك الأستاذ إبراهيم الأبياري في مقدمة كتاب نهاية الأرب الذي قام بتحقيقه [١].

ولد القلقشندي في عام ٧٥٦ هـ في قلقشندة ، من قرى القليوبية ، قرب القاهرة وقد ذكرها ياقوت الحموي بالراء (قرقشندة) [٢]. ووردت في كتاب قوانين الدواوين باسم قلقشنده ، وكذلك في كتاب نهاية الأرب وصبح الأعشى [٣]. وينتمي القلقشندي إلى قبيلة فزارة العربية ، وبنو فزارة - كما ذكر في كتاب النهاية - بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية ، كانت (منازلهم) بنجد ووادي القرى وقد سكنت هذه القبيلة مصر منذ الفتح العربي .

نشأ القلقشندي في دار علم وأدب ، وما إن صلب عوده ، حتى ولّى وجهه شطر الإسكندرية ، لينهل العلم على أكابر علماء عصره ولما أبداه من علم وذكاء وتفتح ، فقد أجازه الشيخ سراج الدين أبو حفص عمرو بن أبي الحسن المشهور بـ (ابن الملقن) ، بالفتيا والتدريس على المذهب الشافعي وبأن (يروي كل ما جازت له روايته كالكتب الصحاح الستة ومسند الشافعي ومسند أحمد بن حنبل وغير ذلك من الكتب التي هي أصول الفقه الإسلامي [٤]

ومنذ عام ٧٧٨ هـ اشتغل القلقشندي بتدريس الحديث النبوي والفقه وغيرها

---

(١) كراتشكوفسكي - المصدر نفسه ص ٤١٦ - ٥ . عبد اللطيف حمزة - القلقشندي (أعلام العرب ١٢) مصر ص ٣٥ - ٣٧ .

(٢) ياقوت الحموي - معجم البلدان - مطبعة السعادة مصر ١٩٠٦ ج ٧ (قرقشندة: قرية بأسفل مصر ولد بها الليث بن سعد بن عبد الرحمن المصري الفقيه..) ص ٥٨

(٣) الأسعد بن مماتي - قوانين الدواوين - جمعه وحققه عزيز سوريال عطية - مطبعة مصر - ١٩٤٣ ص ١٦٧ ونهاية الأرب للقلقشندي - تحقيق علي الخاقاني - بغداد ١٩٥٨ ص ١٦٦ و ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤) الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٤٢ .

من العلوم الدينية ، ثم التحق بديوان الإنشاء الذي كان يرأسه وقتذاك القاضي بدر الدين ، أحد أقرباء ابن فضل الله العمري صاحب موسوعة (مسالك الأبصار) . وبقي يعمل في ديوان الإنشاء حتى وفاته عام ٨٢١ هـ[١] وبالرغم من أنه عاصر علماء مشهورين كابن خلدون وغيره ، فقد كانت له منزلة عالية بينهم ، فيذكر السخاوي بأنه (كان أحد الفضلاء ممن برع في الفقه والأدب وكتب الإنشاء .. مع تواضع ومروءة وخير .. وقال آخر إنه برع في العربية وعرف الفرائض وشارك في الفقه وسمع الحديث ونظم ونثر وأرخ) وذكره جرجي زيدان فقال (تفقه في الأدب وكان قوي الحافظة وعى في ذاكرته أهم علوم الأدب في عصره)[٢] .

مؤلفاته : أما تصانيفه وتآليفه فهي :

١ - نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب - وقد قام بتحقيقه والتعليق عليه الشيخ علي الخاقاني (صاحب البيان) عام ١٩٥٨ مع مقدمة مسهبة في (الأنساب عند العرب) . أما في مصر فقد قام بتحقيقه الأستاذ إبراهيم الأبياري وقد نُشرت النهاية عام ١٣٣٢ هـ في بغداد بعناية سليمان الدخيل (صاحب الرياض) . أما النسخ الخطية فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة الدولة ببرلين ، وثالثة في المتحف البريطاني ، ورابعة في إحدى خزائن النجف الأشرف على ما يذكره الخاقاني ، وخامسة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وسادسة في سوريا وسابعة في مكتبة صوفيا[٣] .

---

(١) الخاقاني - المصدر نفسه ص خ - ذ . والدكتور نقولا زيادة - الجغرافية والرحلات عند العرب بيروت ١٩٦٢ ص ١٠٣ .

(٢) السخاوي - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع - ج ٢ - مصر ١٣٥٤ هـ ص ٨ وجرجي زيدان المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٣) الخاقاني - ص ظ . وابراهيم خوري - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية دمشق ١٩٧٠ ص ١٤٤ - ويوسف عزالدين - مخطوطات عربية - بغداد ١٩٦٨ ص ١٣٥

وقد أكمل وزاد على النهاية ، العلامة السويدي عام ١٢٢٩ هـ في كتابه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) المطبوع على الحجر في بغداد [١] . والكتاب بمثابة معجم في الأنساب ، رتب القلقشندي فيه القبائل والبطون على أحرف الهجاء .

٢ – قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان : توجد منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية وأخرى في النجف الأشرف في خزانة الشيخ حسن الدخيلي ، على ما حكاه الشيخ الخاقاني وقد نسبه صاحب كشف الظنون لوالد القلقشندي . رُتب على الحروف الأبجدية حسب تفرع القبائل .

٣ – حليـــة الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم : رسالة أنشأها القلقشندي للمقر الزيني ابن يزيد الداودار الظاهري ، في الإنشاء والأدب منها نسخة خطية في دار الكتب المصرية .

٤ – الغيوث الهوامع ، في شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع ، في فقه الشافعي : ذكره الخاقاني وزيادة ، والذي يبدو أنه شرح لجامع المختصرات في فروع الشافعية للمدلجي [٢]

٥ – ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر : وقد طبع الجزء الأول منه في مطبعة الواعظ بالقاهرة عام ١٣٢٤ هـ [٣] وهو مختصر لكتابه الكبير صبح الأعشى . منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .

٦ – وله مؤلفات أخرى على شكل رسائل صغيرة منها : شرح لكتاب الحاوي الصغير في الفروع للقزويني ، وشرح على قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير أسماه (كنه المراد في شرح بانت سعاد) وله مقامة في تقريظ القاضي

---

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ – زيدان ص ١٤٦ .
(٢) الخاقاني ص ض – زيادة ص ١٠٣ – الدكتور حمزة – القلقشندي ص ٤٣
(٣) الخاقاني – المصدر السابق .

بدر الدين بن فضل الله ، أسماها (الكواكب الدرية في المناقب البدرية)[١].

٧ – صبح الأعشى في صناعة الإنشا :

موسوعة كبرى في مختلف فروع المعرفة ، اشتغل القلقشندي في تأليفها مايقارب العشرين عاماً[٢] جمع فيها فأوعى كما يقول السخاوي . وقد طبع منها ثلاثة أجزاء عام ١٩١٣ في كليـــة اكسفورد عن النسخة الخطية الموجودة في خزانتها ، ونشرت هذه الأجزاء الثلاثة في مجلد واحد بدار الكتب ببولاق عام ١٣٢٣ هـ ، ثم قامت بطبعه بعد ذلك دار الكتب المصرية كاملاً[٣].

أما النسخ الخطية من هذا الكتاب فتوجد واحدة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة زكي باشا على ماذكره جرجي زيدان في تاريخه .

وقد اهتم بدراسة (صبح الأعشى) الكثير من المستشرقين ، فنشر الأستاذ سوفير في مرسيليا عام ١٨٨٦ – ١٨٨٧ (ملخصات من كتاب صبح الأعشى) ، ونشر الأستاذ فيستنفلد (جغرافية مصر للقلقشندي) في جوتنجين عام ١٨٧٩ وكتب الأستاذ مارتن هارتمان بحثاً عن (الفصول المتعلقة بالجغرافية الإدارية من صبح الأعشى) تحقيقاً ومتناً وترجمة في المجلة الآشورية – ٥٠ – ١٩١٦ ، وكتب الأستاذ كانار عن (الصلات السياسية بين بيزنطة ومصر في صبح الأعشى) في مؤتمر المستشرقين (١٩) لعام ١٩٣٥[٤].

وقد تناول القلقشندي في موسوعته هـذه (جميع المعارف التي يحتاج إليها الكاتب المثالي ابتداء من التوجيهات الفنيـة بالكلام عن المداد والقلم والورق والخط إلى المعلومات الواسعة في محيط الجغرافيا والتاريخ والأدب والبلاغة ،

---

(١) الدكتور حمزة – المصدر السابق ص ٤٣ – ٤٥

(٢) المصدر السابق ص ٤٦

(٣) الخاقاني – المصدر السابق .

(٤) العقيقي – المصدر نفسه ج١ ص٢٠٧ وص ٣٠٤ – ج٢ ص٧١٤ وص٧٢٦

وهو يقدم وصفاً لنواحي مصر والشام ، بل ولجميع الدول التي لها أدنى علاقة بمصر مما يجعل من كتابه مصدراً أساسياً بالنسبة للتاريخ والإدارة والحياة الاجتماعية للعالم الإسلامي والأقطار المتصلة به في اوائل القرن الخامس عشر)[(١)]

أما المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي في تأليف موسوعته ، فكثيرة جداً منها : كتاب الأم للشافعي ، الملل والنحل للشهرستاني ، قوانين الدواوين لابن مماتي ، المثل السائر لابن الأثير ، البيان والتبيين للجاحظ ، عجائب المخلوقات للقزويني ، نزهة المشتاق للشريف الإدريسي ، تقويم البلدان لأبي الفداء ، القانون المسعودي للبيروني ، مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، كتاب العزيزي للمهلبي ، وإلى غير ذلك من أمهات الكتب العربية[(٢)] .

المعرفة الجغرافية عند القلقشندي :

اعتمد القلقشندي في جمع مادته الجغرافية وعرضها في صبح الأعشى على موسوعة ابن فضل الله العمري (مسالك الأبصار في ممالك الامصار) فاحتلت المعلومات المقتبسة من هذه الموسوعة المكانة الأولى لديه ، وتأتي بعد ذلك كتب الجغرافيين الأوائل أمثال : ابن خرداذبة وابن حوقل والمسعودي والهمداني والمهلبي والسمعاني والبكري والإدريسي والغرناطي وابن سعيد وياقوت الحموي وأبي الفداء وغيرهم بالإضافة إلى كتب الزيجات والكتب الفلكية أمثال : كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني[(٣)] .

وقد احتلت المادة الجغرافية ، المقالة الثانية من الموسوعة وتحت عنوان (المسالك والممالك) بالإضافة إلى ماعرضه من معلومات تاريخية بحتة في ثناياها وخاصة الباب الثاني من المقالة بما تضمنه من معلومات عن الخلافة والخلفاء .

(١) كراتشكوفسكي ص ٤١٦ - ٤١٧ الدكتور زيادة ص ١٠٤
(٢) الدكتور حمزة - القلقشندي ص ٥٢ - ٥٣
(٣) كراتشكوفسكي ص ٤٢٠

أمـا الباب الاول من المقالة ، فقد تضمن معلومات تقليدية عن شكل الارض وجهاتهـا الاربع وأقاليمها السبعة ، ثم يعرج الى ذكر البحار وكيفية استخراج البلدان .

وقد سرد في الباب الثالث الذي قسمه إلى فصول ،جغرافية الممالك والأمصار. فتناول في الفصل الاول منه ، بلاد مصر منذ الفتح العربي الإسلامي حتى عصر المماليك ، إضافة إلى المادة التاريخية الخاصة بمصر . وقد نشر المستشرق فيستنفلد بحثاً خاصاً عن (جغرافية مصر للقلقشندي) في غوتنغن عام ١٨٧٩ كما ذكرنا آنفاً وتعتبر مادته التي كتبها عن النيل ، وتلك التي نقلها عن غيره ، من المصادر المهمة في موضوع النيل ، وخاصة في العصر المملوكي .[١]

أما الفصل الثاني من الباب الثالث ، فقد تضمن وصف بلاد الشام ، محاسنها وعجائبها ، بحيراتها وأنهارها ، وجبالها وزرعها ، إضافة إلى عرض تاريخي لملوك الشام من الجاهلية حتى عصر المماليك . وقـد تناول موضوع وصف الشام عند القلقشندي الاستاذ غودفروا ديمومبين عام ١٩٢٣[٢] .

وبعد مقدمة تاريخية ، يتكلم القلقشندي في الفصل الثالث ، عن جبال الحجاز وعيونه ، ومحاصيله ومواشيه ، ثم يفصل الكلام عن مكة ويثرب والطائف ، في سرد تتداخل فيه الحكايات التاريخية مع المادة الجغرافية .

وقد احتلت إمبراطورية المغول (مملكة إيران ومملكة توران) وما جاورها ، ثم الاجزاء الاخرى من شبه جزيرة العرب (اليمن والبحرين واليمامة) وبلاد السند والهند ، والبلدان الواقعـة إلى الغرب وإلى الجنوب من مصر ، الفصل الرابع من الباب الثالث .

وتجد في الفصل الاخير ، وصفاً لبلاد الروم (آسيا الصغرى) وبلاد الالمان

---

(١) الدكتور محمود رزق سليم – النيل في عصر المماليك – دار القلم ١٩٦٥ ص ١١

(٢) كراتشكوفسكي ص ٢٠ ؛

ومملكة البنادقـة والجنويين وروميـة وفرنسا والجلالقة (غاليسيا) ولمبارديا ، ثم يتحدث عن سكان جنوب شرقي أوربا كالبلغار والصرب والصقالبة وغيرهم من الشعوب الأوربية (وتتسم معلوماته عن هذه الشعوب الأخيرة بالإيجاز كما وانها لاتخلو من الاضطراب في بعض مواضعها)[١] . وهكذا تنتهي المقـالة الثانية التي تضمنت المادة الجغرافية عند القلقشندي في كتابه صبح الاعشى . وسنقتصر في الصفحات القادمة على دراسة المادة الجغرافية المتعلقة بالارض والمناخ وتحليلها .

الأرض : شكلها وتقسيمها [٢]

إن المعلومات التي أوردها القلقشندي عن شكل الأرض وأقاليمها والبحار المحيطة بها وإلى غير ذلك مما يتعلق بوصف الأرض ، إنمـا هي عرض لمعلومات الجغرافيين العرب وآرائهم حول الأرض ، ولذلك فهو كثيراً مايكرر عبارة (وقيل)و (قال في تقويم البلدان) و (قال المسعودي) و (قال الشريف الإدريسي) و (قال في الروض المعطار) وهكذا . ثم يذكر أنه قـد تقرر في علم الهيئة (الفلك) بأن الارض كروية الشكل وهو الذي عليه أغلب الجغرافيين العرب[٣] وهي مسطحة الشكل وقيل كالترس وقيل كالطبل .

ويذكر القلقشنـدي أن خط الاستواء ينصف الأرض إلى نصفين ؛ نصف شمالي ونصف جنوبي ، ثم هناك خط آخر ينصفها إلى نصفين ؛شرقي وآخر غربي ، ويسمى هذا الخط (خط نصف النهار) لمسامتة الشمس له في نصف النهـار ، ثم يذكر بعد ذلك أن (ما بَعُدَ عن خط الاستواء المقـدم ذكره يعبر عنه بالعَرْض فإن كان في جهـة الجنوب فالعرض جنوبي وإن كان في جهـة الشمال

(١) كرانشكوفسكي – المصدر نفسه ص ٤١٩

(٢) القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا – النسخة المصورة عن الطبعة الأميرية ـ الجزء الثالث ص ٢٢٣ – ٢٥٠

(٣) Nafis Ahmed : Muslim Contribution to the Geogvaphy - Lahor- 1964 - P. 115

فالعرض شمالي) ويقصد القلقشندي هنا خطوط العرض الجنوبية وخطوط العرض الشمالية .

أما مايسمى في الجغرافيا بخط الطول الرئيسي ، فقد ابتدأه القدماء بجزر الخالدات [١] (في المحيط الأطلسي بجوار الساحل المغربي ، جزر الكناري) ومنهم من ابتدأه بالساحل المغربي نفسه ، والذي على أساسه يحسب الزمن .

ويذكر القلقشندي أن النصف الشمالي من الأرض أكثر عمارة من النصف الجنوبي ، ويتركز المعمور من النصف الجنوبي بالقرب من خط الاستواء في بعض بلاد الزنج والحبشة . ويمتد المعمور في النصف الشمالي بين خط الاستواء والدائرة القطبية الشمالية (٦٦,٥° شمالاً) .

ثم يسرد القلقشندي بعد ذلك الكلام عن الأقاليم السبعة للأرض ، بتحديد درجات العرض والطول لكل إقليم ، وهو التقسيم المثبت عليه بين الجغرافيين العرب ، ويشذ عن ذلك الجغرافي المقدسي الذي جعل الأقسام رباعيات مبرراً ذلك بقوله إن الكتب أربعة والطبائع أربع والفصول أربعة وأركان الكعبة أربعة والأشهر الحرم أربعة [٢] .

المناخ عند القلقشندي : الرياح [٣] :

قال القلقشندي إن كلمة الريح مؤنثة وتجمع على رياح ، ويذكر هنا

---

(١) اتخذ بطليموس خط زوال الجزائر السعيدة (الخالدات) والتي يظن انها جزر كناري ، الخط الأساس في القياس راجع Nafis «op.cit» P. 113 ودكتور يسري الجوهري – الكشوف الجغرافية – دار المعارف ١٩٦٧ ص ٥٨

(٢) صباح محمود – الوصف المناخي عند المقدسي – مجلة الأقلام – السنة الخامسة ع ١٠ – ١٩٦٩ ص ٢٣

(٣) صبح الأعشى ج ٣ص ١٧٥ – ١٧٧ ، وابن الأجدابي – الأزمنة والأنواء=

ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة من أن لفظ الريح في القرآن الكريم لم يأت إلا في الشر ، والرياح لم يأت إلا في الخير ، مستشهداً ببعض الآيات القرآنيـة كقوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) والصرصر الريح الشديدة ذات الصوت على ما حكاه ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن . وقال تعالى في الرياح (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) إلى غير ذلك من الآيات الكريمات ، ويروي كذلك الحديث النبوي الشريف (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) .

أما سبب حدوث الرياح فيذكر القلقشندي أنه (دخان يرتفع من الارض فيضربه البرد في ارتفاعه فيتنكس ويتحامل على الهواء ، ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح) ولا ندري ماذا يقصد القلقشندي من كلامه هذا ، ولعله يريد بأن ارتفاع درجة الحرارة يؤدي الى تمدد الهواء وصعوده الى أعلى على شكل تيار هوائي يشبه عمود الدخان وبالارتفاع تنخفض درجة حرارته ، فيهبط مرة ثانية ، وهذا ما يسمى بالتيارات الهوائية الصاعدة والهابطة ، أما عبارته الأخيرة (ويحركه الهواء بشدة فيحصل الريح) فهي عبارة غامضة لأن حركة الهواء بذاتها تسمى ريحاً .

أنواع الرياح :

الرياح عند العرب أربع : الصَّبا والدَّبور والشَّمال والجَنوب ، فالصبا تأتي من المشرق من مطلع الثريا إلى بنات نعش على ما حكاه ابن الأعرابي ، وتسمى بالقبول لأنها تأتي من قِبَل الكعبة . أما القلقشندي فيقول إنها سميت بالقبول لأنها مقابلة مستقبل المشرق ، وقيل إنما سميت قبولاً لأنها استقبلت

= دمشق ١٩٦٤ ص ١٢٦ - ١٣٣ ، والمرزوقي - الأزمنة والأمكنة - حيدر آباد ١٣٣٢ هـ ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٨ وج ٢ ص ٧٤ - ٨٤ ، والثعالبي - فقه اللغة وسر العربية - مصر ١٩٣٨ ص ٤٠٣ - ٤٠٤ وص ٥٧٣ .

الدّبور ، وقال المبرّد سميت قبولاً لأنها لطيبها تقبلها النفوس ، وأهـــل مصر يسمونها الشرقية ، وهي التي نصر بها النبي (ﷺ) حيث قال (نصرت بالصبا).

أمّا الدّبور فمهبها من مغرب الشمس إلى حد القطب الجنوبي ، وعلى رأي ابن الاعرابي على مسقط النسر إلى مطلع سهيل ، وعند خالد بن صفوان مابين مسقط الشرطين إلى القطب الأســـفل . وسميت دبوراً لأن مستقبل الشرق يستدبرها . ويقال سميت بذلك لأنها تأتي من دبر الكعبة . وتسمى أيضاً الريح الغربية لهبوبها من جهة المغرب ، ويقال لها محوة لمحوها الآثار بشدة عصوفها على ما ذكره ابن الأجدابي .

أما الشمال فيقال فيها شمأل وشامل وشمل وشميل وشمول . ومهبها من حد القطب الشمالي إلى مغرب الشمس ، وعند ابن الأعرابي من بنـات نعش إلى مسقط النسر الطائر ، وعند ابن صفوان ما بين القطب إلى مسقط الشرطين . وسميت شمالاً لأنها على شمال من استقبل المشرق ومن أسمائها الحدواء والمسع .

أما الجنوب فمهبها من حدّ القطب الأسفل إلى مطلع الشمس ، وعند ابن الأعرابي من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، وقيل ما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين . ويقال لها الريح اليمانية لأن مهبها مما يلي بلاد اليمن ، ومن أسمائهـا الازيب والنعامي والهيف . وتسمى في مصر (القبلية) وتسمى أيضاً المريسية ، ومريس[١] قرية بأرض مصر ، ومريس أيضاً جنس من السودان من بلاد النوبة أسفل مصر ، وتأتيهم في الشتاء ريح من ناحية الجنوب يسمونها المريسي ، فهي تهبّ على مصر في كانون الأول ولمدة أربعين يوماً ، ويذكر القلقشندي أنهـا أردأ الرياح عند أهل مصر .

أما النكباء : فهي كل ريح تهبّ بين مهبي ريحين ، وسميت بالنكباء

---

(١) شهاب الدين أحمد الخفاجي – شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيـل – ١٣٢٥ هـ – مطبعة السعادة – مصر ص ١٨٨

لتنكبها عن المهاب المعروفة والجمع نكب ، وتميل في طبعها إلى الريح التي هي أقرب إليها في مهبها.

ثم يختصر القلقشندي ما ذكره الثعالبي في فقه اللغة (في تفصيل الرياح عن الأئمة) فيذكر أنه إذا جاءت الريح بنَفَس ضعيف وروح فهي النسيم ، وإن ابتدأت بشدة قيل لها النافجة ، وإن حركت الأغصان تحريكاً شديداً وقلعت الأشجار ، فهي الزعزع ، فإذا جاءت بالحصباء فهي الحاصبة .

أما الإعصار فهو هبوب الرياح من الأرض نحو السماء كالعمود ، والعامّة تسميه الزوبعة أو التنين[1] أما الصرصرفهي الريح الباردة ، وأما الريح التي لم تلقح شجراً ولم تحمل مطراً فتسمى بالعقيم .

والذي يلاحظ على ما كتبه القلقشندي عن الرياح ، أنه مختصر جدّاً وذلك لعدم اعتماده على كتب الأنواء مثل كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي وغيرها ، ومع أن القلقشندي قد اعتمدعلى كتاب الانواء للدينوري ، حيث ذكره في مواضع عدّة ونقل عنه بعض المعلومات ، إلاّ أن هذه المعلومات تتميز بالاختصار وقلةالأهمية في الموضوع . ثم إن اختصاره لبعض الكتب كفقه اللغة للثعالبي مثلاً - أبعده أيضاً عن ذكر المعلومات ذات الأهمية في موضوع الرياح . وله عذره في ذلك فلو كان قد ذكر جميع الأشياء المتعلقة بالرياح من هذا الكتاب وذاك لجاءت موسوعته تضم كتباً وليس معلومات متنوعة عامة يستفيد منها كاتب الإنشاء،مقتطفةمن أمهات الكتب العربية .

السحاب :

لقد عرف القلقشندي السحب بأنها الأجرام التي تحمل المطر بين السماء

(١) صباح محمود الحلي - التنين في المصادر العربية - مجلة التراث الشعبي - العدد الرابع - السنة الاولى ١٩٦٩

والأرض ، وأورد كذلك التعريف العلمي الصحيح لها ونسبه إلى بعض الحكماء حيث قال إنه بخار متصاعد من الأرض يرتفع من الطبقة الحـــارة إلى الطبقة الباردة فيثقل ويتكاثف ويتعقد فيصير سحاباً[١] . ثم ينقل عن الثعالبي أن أول ما ينشأ من السحاب هو النشء، فإذا انسحب في الهواء فهو السحاب وإذا تغيرت له السماء فهو الغمام[٢] ، وإذا نشأ في عرض السماء فلا تبصره ولكن تسمع رعده من بعيد فهو العقر ، فإذا أظل السماء فهو العارض ، أما المخيلة فهي السحابة التي يظن فيها المطر ، وإذا كان السحاب أبيض فهو المزن ، فإذا هراق ما فيه قيل جهام . وهنا نعود أيضاً ونقول إن معلوماته عن السحاب مختصرة قليلة الفائدة ، فهناك الكثير من أسماء السحاب التي ذكرها الثعالبي في فقه اللغة الذي اعتمدعليه القلقشندي ، ولكن لم يوردها في موسوعته ، وكذلك كتاب المطر للأنصاري وغيرها من الكتب الأخرى ، فمن أنواع السحاب الأخرى العراص والنمرة والقزع والكنهور والنشاص والطخاء والرباب إلى غير ذلك[٣] .

الرعد :

يقول القلقشندي إن الرعد حدوث هـائل يسمع من السحاب ، ويكتفي بذلك ، ثم يروي بعض معتقدات العامّة حوله ، حيث قيل إنه صوت أحـد الملائكة ، وقيل إنه صوت الإمام علي (ع) ، ثم ينسب إلى بعض الفلاسفة قولهم إن الرعد هو دخان يتصاعد من الأرض ثم يدخل خلل السحاب ويبرد ،

---

(١) يتألف السحاب من تجمع عدد كبير من عناصر دقيقة هي في ذاتها قطيرات من الماء أو بلـورات من الثلج أو مزيج منها – د. و. بيري – فيزياء السحب – ترجمة عزيز ميلاد – مصر ١٩٦١ ص ١ .

(٢) عن الفرق بين السحاب والغمام راجع مقالنا «تعقيب على تعريب» مجلة الأقلام – العدد الرابع السنة الرابعة – ١٩٦٧

(٣) أبو زيد الأنصاري – كتاب المطر (البلغـــة في شذور اللغة) – بيروت ١٩١٤ ص ١٠٩ – ١١١ .

ثم يصير ريحاً وبحركته ينتج صوتاً شديداً يطلق عليه الرعد . وفي كتاب المطر للأنصاري معلومات جمة ومفيدة عن الرعد،فالارزام هو صوت الرعد غيرالشديد أما الرجس والرجسان فهو صوت الرعد الثقيل ، والجلجلة صوت يتقلّب في جنوب السحاب ، أمّا تتابع صوت الرعد في شدة فيقال له القَعْقعة . ويضيف الثعالبي أن الدوي هو صوت النحل والأذن والمطر والرعد ، والقصيف صوت الرعد والبحر وهدير الفحل ، وقد جعلها الثعالبي ضمن باب الأصوات المشتركة.

أما حقيقة الرعد من الناحية العلمية ، فيحدث نتيجة لوجود فروق حرارية بين الهواء الملاصق لسطح الأرض وطبقات الجو العليا ، ويتم ذلك إما بتسخين الهواء السطحي أو بتبريد الهواء العلوي وأغلب ما تنشأ عواصف الرعد نتيجة لتسخين الهواء السطحي، أو نتيجة لمرور تيار هوائي بارد تحت آخر ساخن رطب ودفعه إلى أعلى[1] .

البرق :

يعرف القلقشندي البرق بأنه ضوء يرى من جوانب السحاب،ويسرد كذلك بعض معتقدات العامة ، من أنه يمثل ضحك ذلك الملك الذي يزجر السحاب ، وقيل إنه ضحك الإمام علي (ع) . وينقل عن بعض الحكماء قولهم إن البرق ناتج عن احتكاك الهواء بالدخان ، ويلاحظ على ما أورده القلقشندي من معلومات أنها مبتورة لا تفي بالمرام ، فنراه هنالم يفصل في الكلام على البرق ، ولم يرجع إلى كتب الأنواء كما فعل في مواضيع أخرى ، فالدينوري في كتابة الأنواء ، يعرض لنا معلومات طريفة وقيمة عن كيفية الاستدلال بالبرق ، فيذكر أن العرب « كانوا يشيمون البرق فإذا لمعت سبعون برقة انتقلوا ولم يبعثوا رائداً لثقتهم بالمطر ، وإذا كان البرق عندهم وليفاً وثقوا بالمطر ، والوليف الذي يلمع

(١) ايفان راي ثاينهيل – الجو وتقلباته – ترجمة محمد جمال الدين الفندي – مصر ١٩٦١ ص ٦٩ .

لمعتين ، وإذا تتابع لمعانه كان مخيلاً للمطر[١]. أما الأنصاري فقد فصّل الكلام عن البرق وأسمائه ، فبرق الخلب هو الذي ليس فيه مطر ، وقالت العرب في الأمثال (إنما هو كبرق الخلب) أي السحاب الذي يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف وينقشع ، والوميض: الضعيف من البرق ، إلى غير ذلك من تفصيل وفوائد .

أمـــا من الناحية العلمية فالبرق عبارة عن تفريـغ كهربائي بين الشحنات المختلفة في السحابة نفسها ، أو بين سحابة وأخرى قريبة منهـــا أو حتى بين السحابة والأرض .

المطر :

ثم يأتي القلقشندي على ذكر المطر وكيف أنه يتصاعد من الأرض على شكل بخار نتيجة للحرارة ، فتعمل الرياح على جمعه فتسوقه حتى يتلاحق بعضه مع بعض ، فإذا ما وصل إلى طبقات الجو العليا الباردة تكاثف وصار ماءاً فينزل إلى الأرض ويكثر المطر في فصول ويقل في أخرى. ثم ينقل القلقشندي ما ذكره الدينوري في كتاب الأنواء الكبير عن معنى النوء ، وكان من الأفضل له أن يفصل الكلام عن النوء في مقدمة المقالة ، لأن الرياح والسحاب والرعد والبرق وكل ما يدخل ضمن المناخ ، يندرج عند العرب في موضوع الأنواء . والنوء النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواء ونوءان ، ويقال إن النوء هو سقوط نجم في المنازل في الغرب مع الفجر وطلوع رقيبه وهو نجم آخر يقابله من ساعته في المشرق ، وقيل إنما سمي (نوء) ، لأنه إذا سقط الغارب ناء الطالع ، وذلك الطلوع هو النوء ، وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد. وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط من النجوم وقيل إلى الطالع منها . وقد جاء في الحديث الشريف (ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب والنياحة والأنواء) وقيل إنما غلّظ النبي (ﷺ) فيها لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر الذي

(١) الدينوري – كتاب الأنواء – ص ١٧٧ – ١٧٨ .

جاء بسقوط نجم هو فعل النجم ، وكانت تنسب الأمطار اليها[١] . وقد رتب العرب نزول المطر وعدمه على أنواء الكواكب التي هي منازل القمر وجعلوا لكل منها نوءاً ينسب إليه ، وعددها (٢٨) نوءاً ، منها نوء الشرطين ونوءالبطين ونوء الثريا ونوء الدبران وغيرها. أما ترتيب المطر فقد أورد القلقشندي ما ذكره ابن قتيبة في أن أول المطر الوسمي ثم الربيع ثم الصيف ثم الحميم ، أما عندالثعالبي فأول المطر الخريف ثم يأتي الوسمي فالربيع ثم الصيف ثم الحميم . ويلاحظ أن القلقشندي قد ترك الفصل الخاص بأسماء المطر وأوصافه في فقه اللغة ، ولم يشر إليه مع أنه ذو فائدة كبيرة[٢] . أما الأنصاري فيذكر أن أول المطر الوسمي ثم الشتوي ثم الجبهة وهي آخر الشتوي وأول الدفيء ثم الصرفة وهي فصل بين الدفيء والصيف،ثم الصيف ثم الحميم، وكل مطر من الوسمي إلى الدفيءربيع، ثم يورد الأنصاري بعد ذلك أسماء المطر فيأتيك بالفرائد والفوائد التي لم يذكرها الثعالبي أو الدينوري أو ابن قتيبة وغيرهم ممن اعتمد القلقشندي على كتبهم .

الثلج والبرد (الحالوب)

ثم يذكر القلقشندي أن الثلج ينزل كالقطن المندوف على أعالي الجبال ، وتذهب حرارة الشمس بعضاً منه ، أما في المناطق الباردة فيبقى الثلج على قمم الجبال طول أيام السنة . أما سبب تكوينه فينقل القلقشندي ما ذكره بعض الحكماء أنه بخار يتصاعد من الأرض إلى طبقات الجو العليا فيتكاثف على هذه الصورة (ثلج) نتيجة للانخفاض الكبير في درجات الحرارة . ويجعل الأنصاري الضريب والصقيع والجليد والثلج مترادفة، لكنه يفرق بينها في زمن الحدوث ، فيقول إن الضريب والصقيع والجليد لايكون إلا بالليل ، والثلج بالليل والنهار

---

(١) صباح محمود الحلي ؛ الأمثال المناخية العربية – مجلة التراث الشعبي – العدد التاسع السنة الاولى ١٩٧٠ ص ٢٦ .

(٢) الثعالبي – فقه اللغة ص ٤١١ – ٤١٣ .

في الغيم ،وهن لايكن إلا في الصحو [١] . أما القزويني فيقول إنه إذا كان صعود البخار بالليل والهواء شديد البرودة منعه من الصعود وأجمده أولاً فصار سحاباً رقيقاً ، وإن كان البرد مفرطاً أجمد البخار في الغيم وكان ذلك ثلجاً فينزل إلى الأرض برفق فلا يكون له وقع شديد كا للمطر والبرد (الحالوب) [٢] .

أما البرد (الحالوب) فإنه لا يقع إلا في الخريف والربيع ، وأما سبب تكونه فيقول القلقشندي إنه بخار يتصاعد من الأرض ويرتفع في الهواء فلا تدركه البرودة حتى يجتمع قطرات مائية، ثم تدركه حرارة من الجوانب فتنهزم برودتها إلى مواطنها فتنعقد برداً (أي تتجمد) . ويظهر من كلام القلقشندي أن هناك فرقاً في درجات الحرارة بين السحابة والوسط المحيط بها ، ولكنه يذكره بالعكس حيث إنه من الناحية العلمية الصحيحة ، تكون السحابة أسخن مما حولها فتنشأ تيارات حمل ، تحمل معها نقط الماء فوق المبرّد المتكونة داخل السحابة إلى ارتفاعات شاهقة تنخفض فيها درجة الحرارة إلى القيم التي تسمح بتكون البرد [٣] . بينما قد أخطأ القلقشندي حيث جعل الوسط المحيط بالسحابة أسخن من السحابة نفسها . ويقال للبَرَد ، حب الغمام ، وحب المزن وحب قر [٤] .

الظاهرات الضوئية (قوس قزح والهالة) : يقترب القلقشندي في تفسير هذه الظاهرات الضوئية من التفسير العلمي لها ، وهو أن هذه الظاهرات التي تشاهد حول الشمس أو القمر في السحب التي تتكون من بلورات الثلج ، ناتجة عن انكسار الضوء في تلك البلوريات ذات الأشكال المنشورية السداسية التي تطفو في الهواء [٥] ويذكر القلقشندي أن (قزح) اسم للشيطان ولذلك يقال

(١) الأنصاري – كتاب المطر ص ١٠٥ .
(٢) القزويني – عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات – البابي الحلبي ١٩٥٦ ص ٦١
(٣) د. محمد جمال الدين الفندي – الطبيعة الجوية – مصر ١٩٦٤ ص ٢٠٠ ومابعدها
(٤) ابن منظور – لسان العرب – مجلد ١ ، ٢ ، ٣ بيروت ١٩٥٥ ص ٢٩٣
(٥) فيزياء السحب ص ١٦٨ .

قوس الله ولا يقـال قوس قزح . ويذكر ابن منظور أن دارة القمر والشمس تسمى النـدأة وهي حمرة تكون في الغيم إلى غروب الشمس أو طلوعهـا ، وفي التهذيب إلى جانب مغرب الشمس أو طلوعها[١] .

طبائع الفصول الأربعة :

لقد اختلف العرب في تقسيم السنة إلى فصول وكذلك في تسميتها وترتيبها وتحديد أوقاتها. فأول الأزمنة عندهم الربيـع ويسمى أيضاً الربيـع الأول والعامة تسميه الخريف . أما الصيف فعامة الناس تسميه الربيـع الثاني ، ثم القيظ الذي يسميه الناس الصيف .

وهناك من يقسم السنة إلى فصلين ، الشتـاء والصيف ، ويقسم كل منهما إلى ثلاثة أزمنة ، ويسمى كل زمن باسم الغيث الواقع فيه . فأزمنة الشتـاء هي ، الوسمي ثم الشتاء ثم الربيـع . أما الصيف فأزمنته ، الصّيف (بتشديد الياء) ثم الحميم ثم الخريف[٢] .

أما طبائع تلك الفصول، فيذكر القلقشندي أن فصل الربيـع يتميز بحرارته ورطوبته لهبوب ريح الجنوب ، بمـا يؤدي إلى ذوبان الثلوج في أيامه . والعرب تسمي المطر الذي ينزل في الخريف (ربيعـاً)[٣] ، ويقال للأرض التي يصيبهـا الربيـع (ربعية)[٤] .

أما الصيف فيتميز بحرارته وجفافه (يبوسته) ، وتهبّ فيه رياح الصبـا ، وللعرب في هذا الفصل وغرات ، وتسمى الرياح التي في هذه الوغرات (بوارح)،

(١) ابن منظور ص ١٦٦ وابن الأجدابي ص ٨٧ ويقول الثعالبي (الهالة للقمر كالدارة للشمس) ص ٤٨ .

(٢) ابن الأجدابي ص ٩٦ – ٩٨ .

(٣) الدينوري ص ١٧٥ .

(٤) ابن منظور ص ١٥١ .

وهي الشمال الحارّة وتكون في الصيف . وقال الفرّاء ، البوارح الرياح الصيفية وسميت بذلك لأنهـا هي السموم التي تأتي من الشمال [١] . وتسمى كذلك المؤتفكات ، وهي ذات عجاج [٢]. ويذكر القلقشندي أنها سميت بذلك (بوارح) لأنها تأتي من يسار الكعبة كما يبرح الظبي إذا أتاك من يسارك ، وتقول العرب في أمثالها (نوءان شالا محقب وبارح) والحقب احتباس المطر ، ويضرب المثل به في قلة الخير [٣] .

أما الخريف فيتميز ببرودته وجفاف هوائه وتهب فيه الرياح الشماليـة . والخريف عند العرب المطر الذي يأتي في آخر القيظ ولا يكادون يجعلونه اسماً للزمان ، ويذكر الدينوري أن مطر الخريف يسمى ربيعاً وخريفاً وكذلك وسمياً لأنه يسم الأرض بالنبات ، وهو أول أمطار الخريف [٤] ويظهر من كلام الدينوري أن الأمطار تسقط في فصل الخريف على عكس ما يذكره القلقشندي من أنه (بارد يابس). وأما الشتاء فهو بارد رطب ، تهب فيه ريح الدبور ، وهي أقل الرياح هبوباً وتسمى الريح العقيم ، لأنها لا تستدر السحاب ولا تلقح الشجر. ويقال للمطر الذي يسقط في أيامه (الشتى) ويذكر الانصاري أن هبوب النكباء في أيام الشتاء أكثر . ومن رياحه أيضاً الحرجف والبليل .

الوصف المناخي في صبح الأعشى :

وفيما يتعلق بالوصف المناخي للأقاليم والمواقع الجغرافية في صبح الأعشى فإنه يمكن تدوين الملاحظات التالية :

١ ـ يتبين لنا من قراءة ما كتبه القلقشندي في موضوع المسالك والممالك ،

---

(١) المرزوقي ج ١ ص ٢١٧ - ابن الأجدابي ص ١٣٥ .

(٢) الدينوري ص ٨٨ و ص ١٦٨ .

(٣) الحلي - الأمثال المناخية العربية ص ٦٩ .

(٤) الدينوري ص ١٠٤ و ص ١١٢ - ١١٦ .

وما عرضه من مادة جغرافية تخص الاقاليم والمواقع الجغرافية ، أنه يندر أن يأتي القلقشندي بآراء جغرافية تخصه ، إلا فيما يخص مصر وبمعلومات مختصرة لكونه أحد أبنائها . وإنك تجد في الصفحة الواحدة معلومات مقتبسة من مصادر جغرافية عدة ، وعلى الأخص كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري .

٢ – أما فيما يخص الوصف المناخي ، فإنه يأتي عابراً وضائعاً بين الصفات الجغرافية والتاريخية الأخرى ، مثال ذلك قوله عن مصر (أعظم الاقاليم خطراً ، وأجلها قدراً ، وأفخمها مملكة ، وأطيبها تربة ، وأخفها ماء ، وأخصبها زرعاً ، وأحسنها ثماراً ، وأعدلها هواء ، وألطفها ساكناً)[١] فيلاحظ هنا أن الصفة المناخية لمصر (الهواء المعتدل) جاءت محشورة مع بقية الصفات الأخرى ، وبدون تفصيل .

٣ – ثم إن القلقشندي قد يذكر الصفة المناخية لموقع جغرافي ، ويهمل الكثير من المواقع الأخرى بدون تبيان الحالة المناخية لها . ومن المواقع التي لم يذكر لها صفة مناخية برقة ومكران وطوران وصعدة وباديس وغير ذلك .

٤ – هناك مصطلحات مناخية غامضة لا تعطي فكرة واضحة عن الحالة المناخية للأقاليم ، كمصطلح الهواء الصحيح ، كصفة مناخية لغزة وحمص وكفر طاب وطرابلس ونيسابور وأغمات . وقد يطلق القلقشندي هذه الصفة (الصحيح) على التربة أيضاً بالإضافة الى الهواء ، كما في قوله عن كازرون من أعمال فارس عن ابن حوقل (وهي صحيحة التربة والهواء)[٢] .

ويوضح القلقشندي في مكان آخر هذا المصطلح في قوله عن كفر طاب (وأرضه صحيحة الهواء ومن سكنها لا يكاد يمرض)[٣] ونستطيع أن نستنتج من

(١) صبح الأعشى – الجزء الثالث ص ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق – الجزء الرابع ص ٣٤٥ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٥ .

هـــذا أن الهواء الصحيح هو الهواء المعتدل الطيب ، وقد ورد مصطلح الهواء المعتدل كصفة مناخية لمدينة صنعاء ، وكذلك الهنـد نقلاً عن العمري حيث يقول (وهي بلاد معتدلة لا تتفاوت حالات فصولهـا ، ليست مفرطة في حرّ ولا برد ، بل كأن أوقاتها ربيـع ، وتهب بها الأهوية والنسيم اللطيف)[١] .

أما مصطلح الهواء الطيب فقد ورد كصفة مناخية لمدينة الطائف ، وكما قلنا إن الهواء الطيب ، هو الهواء المعتدل ، ولكن القلقشندي يستدرك فيضيف – عن مدينة الطائف – قوله (إلا أنها شديدة البرد) ولا ندري لم هذا التناقض في ذكر الحالة المناخية. وقد يرد هذا المصطلح مرتبطاً بالهواء والتربة معاً ،فيقول عن مرو الروذ (وهي طيبة التربة والهواء) .

٥ – أما المناطق التي تتصف بانخفاض في درجات الحرارة (باردة أو هواؤها بارد) فتشمل القسم الاول من اليمن ، ومدينة تعز وحلب والطائف وتبريز وخوارزم وبلاد البلقان وتاهرت وجبل شكير في الأندلس وبلاد الروم(وخاصة أرمناك وسيواس) . ويلاحظ أن القلقشندي لم يبين السبب في كون تلك المناطق باردة ، ولكنه يذكر بعض الأحيان مظاهر شدة البرودة فيقول مثلاً عن الطائف (إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها)[٢]. ويذكر عن بلاد خوارزم نقلاً عن ابن حوقل أنها (أبرد البلاد وفيها يبتدىء الجمود في نهر جيحون)[٣] . أو يذكر عن بلاد البلقان أنهـــا (ليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها)[٤] أو يذكر عن بلاد الصقالبة نقلاً عن العمري أنها (بلاد شديدة البرد لا يفارقها الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط على جبالهم

(١) المصدر السابق – الجزء الخامس ص ٦٨ .
(٢) المصدر السابق – الجزء الرابع ص ٢٥٩
(٣) المصدر السابق ص ٤٥٢
(٤) المصدر السابق ص ٤٦٢

وبيوتهم)[١] .

٦ - أما مصطلح الهواء اليابس فيقصد به الهواء الجاف (قليل الرطوبة) وقد ورد بصيغته هذه (الهواء اليابس) كصفة لهواء بلاد النوبة أسفل مصر . ونجده يستعمل اليبوسة مقابل الرطوبة في كلامه عن المحلة في مصر ومقارنتها بمدينة قوص ، وكذلك في المقارنة بين الوجه القبلي والوجه البحري فيقول (وهي أي المحلة) تعادل قوص من الوجه القبلي في جلالة قدرها ورياسة أهلها ، ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلي والوجه البحري من الرطوبة واليبوسة[٢] ويرد القلقشندي على أحمد بن يعقوب الكاتب في كتابه المسالك والممالك والذي يقول عن مصر إنها (بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة « بحر الروم » وبين جبل وبر يابس صلد « صحراء ») فيصف القلقشندي كلام أحمد بن يعقوب بأنه (كلام متعصب خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع)[٣] ورد القلقشندي هذا في غير محله ، لأن حديث احمد بن يعقوب صحيح من الناحية الجغرافية ، لأن مصر واقعة بالفعل بين البحر المتوسط (بحر الروم) في شمالها وبين الصحراء في جنوبها ، بل وتؤلف جزءاً كبيراً من أراضيها ، ثم إن كلام القلقشندي يتسم بالقسوة ولا يصدر إلا عن رجل يحمل ترة وموجدة على أحمد الكاتب لا نعرف تفسيراً له .

٧ - أما المناطق التي وصفت بشدة الحرارة فهي مدينة قوص وحماة وسيراف وزبيد (في اليمن) وعمان (على الخليج العربي) والمنصورة والديبل في بلاد السند ، وسجلماسة واودغست ومالي والحبشة وزيلع في إفريقيا . ونرى هنا أيضاً أن القلقشندي لايعطي تفسيراً لشدة الحرارة التي تتميز بها تلك المواقع والأقاليم

(١) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٤١٩

(٢) المصدر السابق - الجزء الثالث ص ٤٠٦

(٣) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٢٨٢

إلا أنه يذكر عن حماة أنها (شديدة الحر محجوبة الهواء ويعرض لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوخامة ، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف)فالقلقشندي يذكر هنا أن حماةشديدة الحرارة لكونها محجوبة عن الرياح الغربية الباردة ، مما يؤدي إلى ارتفاع نسبة الرطوبة (الوخامة) في الهواء في فصل الخريف . وارتفاع درجات الحرارة يؤدي بالطبع إلى ذوبان الثلج وإلى ذلك أشار القلقشندي أيضاً ويبين لنا القلقشندي المدى الذي تصل إليه درجات الحرارة فيارتفاعها في كلامه عن زبيد في اليمن فيقول (وهي شديدة الحرارة لا يبرد ماؤها ولا هواؤها) .

٨ ـ ويذكر القلقشندي عن غرناطة في إسبانيا (أنها قليلة مهب الرياح ، لا تجري بها الريح إلا نادراً لاكتناف الجبال إياها) فيبين لنا هنا أن غرناطة تحيط بها الجبال من جميع الجهات مما يؤدي إلى عدم تعرضها لهبوب الرياح الشديدة ، إلا نادراً ، والتفسير الذي أورده القلقشندي يتميز بالعلمية والدقة .

أما مدينة دمشق فإنها مكشوفة الجوانب لمر الهواء ، إلا من الجهة الشمالية فإنها محجوبة بجبل قاسيون ، مما يؤدي إلى وجود الرطوبة (الوخامة) لأن جبل قاسيون يمنع توغل الرياح الباردة الشمالية ، ويعلق العمري في مسالكه على ذلك فيقول إنه لولا جبلها الغربي الملبس بالثلوج صيفاً وشتاء لكان أمرها في ذلك أشد ، وحال سكانها أشق[1] .

وكذلك الحال في مدينة حماة ، فإنها محجوبة الهواء أيضاً ، وترتفع نسبة الرطوبة في الهواء في فصل الخريف ، مما يؤدي إلى ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة[2] .

أما المناطق التي تتميز بهبوب الرياح الشديدة ، فهي سجستان ، ويرجع السبب في ذلك إلى كون أرضها سهلية تنعدم فيها العوارض الطبيعية

(١) المصدر السابق ـ الجزء الرابع ص ٩٣

(٢) المصدر السابق ص ١٤٠

ولذلك فإن الرياح تسف الرمال من مكان إلى آخر. وكذلك منطقة انطاليا في تركيا، فيذكر القلقشندي عن ابن سعيد أن (ميناها غير مأمون في الأنواء) وانطاليا واقعة على الساحل الجنوبي لتركيا فتكون بذلك معرضة لمرور الرياح الغربية وما تحمله من انخفاضات جوية، فإن شدة الرياح وتوالي الأمطار ونظراً لكون الرياح الهابة تسير موازية للساحل التركي، يجعل ميناء انطاليا غير مأمون لرسو السفن كما يذكر القلقشندي.

١٠ – ومن خلال العرض الجغرافي لمنطقة الحجاز يبين القلقشندي رأيه في تأثير البيئة الجغرافية (وخاصة المناخ) على السكان فيقول (إن هواء كل بلد يؤثر في أهله بحسب ما يقتضيه الهواء، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالاً تخصهم)[١]. وهو الرأي نفسه الذي عرضه العلامة ابن خلدون في مقدمته في تأثير الهواء في ألوان البشر والكثير من أحوالهم، وفي أثر الهواء في أخلاق البشر[٢] وقد تعصب لهذا الرأي الجغرافي الأمريكي هنتجتون، فقد أكد على تأثير المناخ تأثيراً مباشراً على طاقة الإنسان ومثابرته عليه، وربط كذلك بين المناخ والصفات القومية كالشجاعة والإقدام، أو الجبن والخور في الإيجابية والسلبية، كما ربط بين المناخ والأديان ويطلق على هذا الرأي (نظرية الحتم الجغرافي)[٣].

١١ – وفيما يتعلق بالمطر، فإن القلقشندي قد لا يذكر صراحة أن منطقة ما تسقط فيها الأمطار وإنما يمكن الاستدلال على ذلك من بعض الظاهرات التي تتأثر بالمطر كالزراعة أو مياه السقي والشرب وما إلى ذلك. فيذكر مثلا عن بلاد الشام قوله (أما زروعه فغالبها على المطر) فنستدل من هذا أن بلاد الشام تسقط عليها الأمطار، ولكنه لا يصرح، في أي فصل تسقط هذه الأمطار ومقدار

(١) المصدر السابق ص ٢٤٣

(٢) ابن خلدون – المقدمة – مطبعة الكشاف بيروت ص ٨٢ – ٨٧

(٣) د. محمد السيد غلاب – منابع المدينة لهنتجتون – تراث الإنسانية – المجلد السادس – العدد الأول مصر ١٩٦٨ ص ٢٢ – ٣٧

كميتها . وكذلك منطقة الحجاز ، حيث يذكر أن زروعه (جميعها تزرع على المطر) . وأما مصر فيذكر عنها أنها (لا زرع فيها على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها ، بل فقده بصعيدها)[١] فيستنتج من هذا أن الزراعة في مصر لا تعتمد على الأمطار ، إلا القليل النادر منها ، وحتى هذه المناطق التي تعتمد على الأمطار في زراعتها لا يصيبها من المطر إلا القليل ، وأما منطقة الصعيد فإنها معدومة الأمطار .

أما النقطة الثانية التي يمكن الاستدلال منها على سقوط المطر في منطقة ما ، فمثلاً يذكر القلقشندي عن غزة أن (بها أمكنة يجتمع بها المطر) والرملة كذلك والقدس ، وهذا دليل غير مباشر على سقوط المطر . أما المناطق الصحراوية الجافة ، فيذكر القلقشندي أن شرب أهلها من ماء الآبار ، كما ذكر ذلك عن مدينة القيروان في تونس ، قال إنها (صحراء وشرب أهلها من ماء الآبار) ولكنه يأتي برأي آخر يناقض ماذكره سابقاً نقلا عن كتاب (العزيزي) للمهلبي حيث يقول (وقال في العزيزي : من ماء المطر) أي أن شرب أهل مدينة القيروان من ماء المطر[٢] ، وقد كتب عن هذه الناحية بوضوح أحمد بن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٨٤ هـ) في كتاب البلدان فقال عن أهل القيروان إن (شربهم من المطر إذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول ، دخلَ ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجل فمنها شرب السقاة)[٣] فاليعقوبي هنا يؤكد صحة قول المهلبي في سقوط الأمطار على مدينة القيرون ، واعتماد أهلها في الشرب على ماء المطر .

١٢ ـ أما المناطق التي يكثر فيها سقوط المطر ، فهي بلاد مركوان ضمن

---

(١) صبح الأعشى ـ الجزء الثالث ص ٣٠٨

(٢) المصدر السابق ـ الجزء الخامس ص ١٠١

(٣) اليعقوبي (أحمد بن واضح) ـ كتاب البلدان ـ تحقيق محمد صالح بحر العلوم ـ النجف ١٩٥٧ ص ١٠٠

جبال الأكراد وطبرستان ومازندان وبلاد الرّوس واليمن وصنعاء وبلاد الروم ومنابع النيل . ولم يصرح القلقشندي في أي فصل تسقط تلك الأمطار وإنما يذكر أنها كثيرة فقط .

أما المناطق القليلة المطر فهي منطقة توزر في منطقة الجريد بتونس ومنطقة سجلماسة . إن القلقشندي قد يفصّل في حديثه، بعض الأحيان، عن مناخ منطقة ما من ناحية الامطار ووقت سقوطها، فيذكر عن اليمن أن المطر يأتي (في الغالب من وقت الزوال إلى أخريات النهار) أي تقريباً بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً وحتى الغروب وهي أمطار مصدرها الرياح الموسمية الأطلسية عابرة قارّة إفريقيا من الخليج الغيني في غرب القارّة ، وهي أمطار صيفية كما نقل ذلك القلقشندي عن الحكيم صلاح الدين محمد بن البرهان حيث يقول إن (أكثر مطره في أخريات الربيع إلى وسط الصيف) .

أما بلاد الهند فيذكر القلقشندي نقلا عن العمري في مسالك الأبصار أن الأمطار فيها تتوالى مدة أربعة أشهر ، وأكثرها في أخريات الربيع إلى مايليه من الصيف ، فهي أمطار موسمية ناتجة عن هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية من المحيط الهندي ، وتأتي قمة هذه الأمطار في أواخر الربيع وأوائل الصيف .

أما مدينة أودغست فيذكر القلقشندي نقلًا عن المهلبي في كتاب العزيزي ، أن أمطارها تأتي في فصل الصيف ولم يبين سبب ذلك . أما منطقة وفات الواقعة ضمن البلاد المقابلة لليمن في إفريقيـة على أعالي بحر القلزم (البحر الأحمر) ، أي منطقة ارتيريا والصومال ، فيشتد فيها سقوط المطر ليلًا ، نقل ذلك القلقشندي عن صاحب تقويم البلدان ، والذي أعتقده أن هذه المناطق ذات أمطار تصاعدية استوائية ، أو ذات أمطار موسمية مشابهة لأمطـــار اليمن ، حيث تسقط هذه الأمطار بغزارة بعد الزوال وحتى وقت الغروب أي بداية الليل .

١٣ ـ أما الثلوج فقد ورد ذكرها في منطقة جبل القمر حيث منابع النيل فإن لونه أبيض (لما غلب عليه من الثلج) ، والجبل الواقع في غرب مدينة دمشق

(الملبّس بالثلوج صيفاً وشتاء) ، والجبل المطل على مدينة بانياس حيث الثلج (على رأسه كالعمامة لا يعدم منه شتاء ولا صيفاً) ، وحلوان حيث يسقط الثلج على جبلها دائماً وبدليس في أرمينيا وتبريز وبلاد مركوان ضمن جبال الأكراد وبلخ حيث (تقع في نواحيها الثلوج) وتاهرت ، وجبل شكير في الأندلس حيث (لا ينفك عنه الثلج شتاء ولا صيفاً) وبلاد الصقالبة حيث (لا يفارقها الثلج مدة ستة أشهر لا يزال يسقط على جبالهم وبيوتهم) .

١٤ - أما البرد (الحالوب) فقد ورد ذكره في منطقة صنعاء وتاهرت فقط .

١٥ - وعن بلاد البلغار ، نقل القلقشندي ما ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة من (أن في أول الصيف لا يغيب الشفق عنها ويكون ليلها في غاية القصر) وكيفية التثبت من صحة هذا الرأي بالأعمال الفلكية ، ثم ينقل مارواه العمري في المسالك عن الحسن الإربلي من أن أقصر ليلها (بلاد البلغار) أربع ساعات ونصف وهو غاية نقصان الليل ، ولم يكتف القلقشندي بهذا ، وإنما أراد التأكيد على صحة ذلك ، فنقل عن حسن الرومي الذي سأل مسعوداً المؤقّت بها فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريراً[1] . والذي عرضه القلقشندي بالإضافة إلى طرافته وتأكيده عليه ، فإنه صحيح من الناحية العلمية ، ويسمى هذا الشفق الذي يبقى بعد مغيب الشمس بالفجر القطبي أو الأورورا ، ويكون على هيئة خيوط أو ستائر مضيئة تتدلى من السماء ، وتكون رؤيتها واضحة عند خطوط العرض التي تقارب خط عرض ٤٥ درجة شمالاً وبلاد البلغار تمتد بين خطي عرض ٤١ - ٤٤ درجة شمالاً ، فهي بهذا ضمن المناطق التي يظهر فيها الشفق القطبي واضحاً[2] مما يؤيد قول القلقشندي .

---

(١) صبح الأعشى - الجزء الرابع ص ٤٦٣

(٢) الدكتور محمد جمال الدين الفندي - الطبيعة الجوية - القاهرة ١٩٦٤ ص ١٧ - ٢١

وقد ذكر ذلك أيضاً ابن فضلان في رحلته إلى بلاد البلغار حيث يقول (وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغيب ، لا يغيب بتة ، وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم)[١] .

١٦ - أما عن بلاد الروس ، فيذكر القلقشندي أنها في أقصى الشمال لا يفارقها الثلج والبرَد ، وتتميز بكثرة الغيوم والمطر ، وقد ذكر مثل هذا محمد بن أحمد بن إياس في كتابه نشق الأزهار في عجائب الأقطار عن روسية فقال إن (بلادهم وخمة)[٢] أي رطبة لكثرة الغيوم والمطر . وذكر الإدريسي في الجزء الرابع من الإقليم السابع في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، أن (بلاد الروسية وبلاد فنمارك وأرض طبست وأرض استلانده وأرض المجوس وهذه الأرضون أكثرها خلاء وبراري وقرى غامرة وثلوج دائمة)[٣] .

١٧ - ومن الملاحظات الجديرة بالذكر ، أن القلقشندي في كلامه عن الأقاليم والمواقع الجغرافية يذكر خطوط الطول والعرض لكل منها ، وقد لا يذكر ذلك فيقول « ولم يتحرر لي طولها وعرضها » وقد اعتمد في ذكر درجات الطول والعرض على كتاب القانون المسعودي لأبي الريحان البيروني ، وكتاب تقويم البلدان للملك المؤيّد أبي الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي وكتاب بسط الأرض في طولها وعرضها لأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن سعيد المغربي[٤] ، وغيرها من كتب البلدان والمسالك والممالك العربية الأخرى .

---

(١) ابن فضلان - رسالة ابن فضلان - تحقيق الدكتور سامي الدهان - دمشق ١٩٥٩ ص ١٢٥

(٢) أخبار أمم المجوس (من الأرمان وورنك والروس) - نصوص جمعها المستشرق الكسندر سيبل - أوسلو ١٩٢٨ ص ١١٣

(٣) المصدر السابق ص ١٣٦

(٤) يذكر الأستاذ نفيس أحمد ، أن كتاب ابن سعيد هو (كتاب الجغرافيا في الأقاليم) راجع Nafis Ahmed «op. cit» P. 46 .

١٨ - اتبع القلقشندي في بعض الأحيان طريقة المقارنة بين الأقاليم والمواقع الجغرافية وهذا أسلوب علمي مفيد جداً في الدراسات الجغرافية فقد ذكر عن (المحلة) في منطقة الوجه البحري بمصر مقارنا إياها بقوص في منطقة الوجه القبلي فقال (ويفرق بينهما بما يفرق به بين الوجه القبلي والوجه البحري من الرطوبة واليبوسة) [١] ولما كان الوجه البحري أرطب من الوجه القبلي وأقل حراً فإن مدينة المحلة أقل رطوبة وأقل حراً من مدينة قوص . وذكر عن مدينة صنعاء أنها (لها شبه بدمشق لكثرة مياهها وأشجارها ، وهواؤها معتدل وتتقارب فيها ساعات الشتاء والصيف) [٢] . فالقلقشندي يعقد هنا مقارنة بين صنعاء ودمشق، فالاثنتان من الناحية المناخية تتصفان باعتدال الهواء وتقارب ساعات الشتاء والصيف . ويشبهها في موضع آخر بمدينة بعلبك (لتمامها الحسن وحسنها التام وكثرة الفواكه ، تقع بها الأمطار والبرد « الحالوب ») [٣] فهو في القول الاخير يعقد مقارنة بين صنعاء وبعلبك اللتين تتصفان من الناحية المناخية بسقوط الأمطار والبرد .

وهناك مقارنة أخرى ذكرها القلقشندي بين توزر في منطقة الجريد بتونس، وهي منطقة جافة ، وبين مصر ، قال (وبقلة المطر تشبه مصر) فمنطقة توزر ومصر تتميزان بالجفاف ، ومقارنة ثالثة بين منطقة شرحا وبالي من ناحية درجات الحرارة حيث إن منطقة بالي (أبرد هواءً من شرحا) ولم يبين القلقشندي تعليل ذلك .

صباح محمود الحلي

(١) صبح الأعشى - الجزء الثالث ص ٤٠٦
(٢) المصدر السابق - الجزء الخامس ص ٣٩
(٣) صبح الأعشى - الجزء الخامس ص ٣٩

مَنْ وافقت كنيته كنية زوجه من الصّحابة
لابن حَيُّويه

الشيخ محمد حسن آل ياسين

من الرسائل الطريفة التي تضمها دار الكتب الظاهرية بدمشق : رسالة « مَنْ وافقت كنيتُه كنيةَ زوجه من الصحابة » تأليف أبي الحسن محمد بن عبد الله ابن زكريا بن حَيّويه النيسابوري .

والرسالة – كما يرمز عنوانها – تُعنى بجانب خاص من تاريخ الصحابة الأجلّة ، اقتصر فيها مؤلفها على ذكر الصحابة الذين وافقت كناهم كنى أزواجهم ، سواء أكانت للأزواج صحبة أم لم تكن ، وسواء أكانت الأزواج من راويات الحديث أم لم يكنّ .

وعلى الرغم من كثرة البحوث والمصنفات في تراجم الصحابة وتاريخهم وجمع أحاديثهم ومرويّاتهم ، فقد بقي لهذه الرسالة امتياز التفرد بموضوعها الخاص وإطارها المحدّد .

ومن هنا كانت – في ظني – أهلاً للنشر ، ليستفيد منها جمهور القراء ويقف عليها الباحثون المعاصرون المعنيون بشؤون التاريخ والتراث ، كما كانت أهلاً عند السلف للتداول والنقل والفائدة [1] .

* * *

(١) رجع إلى هذه الرسالة ابن حجر العسقلاني ، ويقول في ترجمة أبي معقل في الإصابة : ٤/١٨١ ما لفظه : « وزاد محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيوة (كذا) أحد رواة السنن عن النسائي قال : أبو معقل اسمه الهيثم » . وهذا منقول عن هذه الرسالة في ترجمة أبي معقل .

ومؤلف الرسالة هو « أبو الحسن ، محمد بن عبد الله بن زكريا بن حَيّويه النيسابوري ، ثم المصري ، القاضي »[١] ، المشتهر بلقبه « الحَيّوي – بفتح الحاء المهملة وتشديد الياء الأولى المضمومة المنقوطة باثنتين من تحتها وفي آخرها ياء أخرى – هذه النسبة إلى حَيّويه »[٢] .

« أصله من نيسابور ، ومولده ومنشؤه بمصر »[٣] .

« روى عن بكر بن سهل الدمياطي وأبي عبد الرحمن النسائي وغيرهما »[٤].

« حدّث عنه الدارقطني وعبد الغني بن سعيد ومَن بعدهما »[٥] ، « وقال أبو زكريا يحيى بن علي الطحان الحافظ : سمعتُ منه »[٦] .

وصفه السمعاني فقال : « كان أحد الثقات »[٧] وقال عنه ابن ماكولا : « كان ثقةً نبيلًا »[٨] .

« توفي في رجب – وهو في عشر التسعين أو جاوزها – سنة ٣٦٦ هـ »[٩]

* * *

تحتفظ دار الكتب الظاهرية بدمشق بأصل الرسالة ضمن المجموع ذي الرقم (١١٦)[١٠] ، وتبدأ الرسالة وسماعاتها من الورقة ١٢٢ وتنتهي بالورقة ١٣٠ ،

(١) شذرات الذهب : ٥٧/٣
(٢) الأنساب : ٣٣٤/٤
(٣) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٤) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها ، ويراجع تذكرة الحفاظ : ٦٩٨/٢ وتهذيب التهذيب : ٣٧/١
(٥) الإكمال : ٣٦١/٢
(٦) الأنساب : ٣٣٤/٤
(٧) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .
(٨) الإكمال : ٣٦١/٢
(٩) شذرات الذهب : ٥٧/٣ ، ويراجع الأنساب : ٣٣٥/٤
(١٠) فهرس مخطوطات الظاهرية – قسم التاريخ – : ١٧٠

قياس كل صفحة ١٨×١٣ ، ١٦ سطراً ، خط الرسالة كبير الحرف ، تمّ نسخها سنة ٦٣٧ هـ ، وكتب الناسخ قراءته للكتاب بعد نسخه بتاريخ ٢٣ صفر سنة ٦٣٧ هـ [١] ، أهمل الناسخ إثبات الهمزة فكتب الجزء « الجز » وبقراءتي « بقراتي » ، وهكذا .

أما ناسخ الرسالة فهو أحد المعروفين بالفضل والإفادة والعناية بسماع الحديث وكتابته وروايته : محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل بن موهوب ، شمس الدين ، أبو عبد الله الحراني ، الحنبلي ، الرحال ، نزيل دمشق .

ولد بحرّان سنة ٦٠٣ هـ ، وسمع ببغداد ودمشق والإسكندرية والقاهرة ، وكان ممن سمع : الزبيدي ، وابن اللتي ، والاربلي ، والهمذاني ، وابن رواحة والسخاوي ، والقطيعي ، وعمر بن كرم ، وابن رواج ، وجماعة .

روى عنه ابن الخباز والدمياطي وابن ابي الفتح وابن العطار .

توفي ليلة الاربعاء ، ثامن شهر رمضان ، سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ووقف أجزاءه بالضيائية ومنها هذه الرسالة [٢] .

* * *

ولا ينبغي أن يفوتنا من ميزات هذه النسخة ماورد في أولها وآخرها من سماعات ذات شأن كبير في تصحيح الرواية وتثبيتها وفي إضفاء الطابع العلمي على هذه النسخة النفيسة القيمة . فقد ورد في الصفحة الأولى من الرسالة سماع هذا نصه :

---

(١) إن السماع الوارد في آخر النسخة في الصفحة ١٣٠/ أ – وهو المؤرخ بسنة ٥٧٠ هـ – منقول عن الأصل الذي نقلت عنه الرسالة .

(٢) الترجمة مقتبسة من تذكرة الحفاظ : ٤/١٤٦٣ والوافي بالوفيات : ٤/٥٠ وشذرات الذهب : ٥/٣٣٤

« سمع هـذا الجزء على الشيخ الإمام المحدث شهاب الدين أبي العباس أحمد ابن محمد بن عيسى بن الخرزي [ت ٦٧٧ هـ . شذرات الذهب : ٥ / ٣٥٧] بقراءته من لفظه ، عن أبي الحسن ابن المقير [ت ٦٤٣ هـ شذرات الذهب : ٢٢٣/٥] بسنده فيه : يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف المزي [ت ٧٤٢ هـ شذرات الذهب : ١٣٦/٦] ، وهذا خطه ، وصح ذلك ، في يوم (الاثنين)[1] العاشر من شوال سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق »

كما ورد في الصفحة نفسها السماع التالي :

« سمع هذا الجزء على الشيخ الجليل المسند المكثر بدر الدين أبي علي الحسن ابن علي بن أبي بكر ابن الخلال [ت ٧٠٢ هـ . شذرات الذهب : ٤/٦] بسماعه من أبي الحسن ابن المقير ، بقراءة الإمام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرّاني [ت ٧٢٨ هـ شذرات الذهب :٨٠/٦] محمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبي وأخوه أحمد [ت ٧٣١ هـ . الدرر الكامنة : ٣٣٦/١] وكاتب السماع يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي وأخوه محمد [ت ٧٤١ هـ . الدرر الكامنة : ٨/٤] وآخرون ، يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من شوال ، سنة إحدى وثمانين وستمائة ، بالنورية » .

وورد في الصفحة الثانية من الرسالة هذا السماع :

« سمع هـذا الجزء على أبي الحسن علي بن أبي عبد الله بن أبي الحسن ابن المقير البغدادي بإجازته من أبي المعالي الفضل بن سهل بن بشر الإسفرايني [ت ٥٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٣١٣/٤] بسماعه من والده [سهل . ت ٤٩١ هـ شذرات الذهب : ٣ / ٣٩٦] بسماعه من أبي الحسن بن منير الخلال [ت ٤٣٩ هـ . شذرات الذهب : ٢٦٢/٣] بسماعه من المصنف ، بقراءة علي بن محمد بن علي البالسي [ت ٦٦٢ هـ . شذرات الذهب : ٣١٠/٥] : جماعةٌ منهم كاتب السماع

(١) في الأصل: « الار »، ولعل الصحيح ما أثبتناه . (ألا يحتمل: الأربعاء ؟ «المجلة») .

في الأصل عبيد الله بن بيرم بن يوسف بن خمردكين الصوري وأبو حامد محمد ابن علي بن محمود، ابن الصابوني [ت ٦٨٠ هـ .مقدمة كتابة إكمال الإكمال]وأحمد ابن محمد بن عيسى الخرزي والحسن بن علي بن ابي بكر ابن الخلال وآخرون ، في يوم الخميس غرة محرم سنة أربع وثلاثين وستمائة [١] ، بجامع دمشق » .

كما ورد في الصفحة نفسها السماع الآتي :

« وسمعه على الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبي حامد محمد بن علي ابن محمود ، ابن الصابوني ، بسنده المذكور أعلاه ، بقراءة كاتب السماع يوسف ابن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي : أخوه محمد . يوم الأحد ، الخامس عشر من ذي الحجة ، سنة تسع وسبعين وستمائة » .

ووردت السماعات التالية في آخر المخطوطة منها ما نذكره بنصه لاختصاره ومنها ما نلخصه :

« قرأتُ جميع هذا الجزء على الشيخ الإمام الصدر الكبير عز الدين أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري [ت ٦٤٦ هـ . شذرات الذهب : ٥/٢٣٤] ، بحق سماعه من الحافظ السلفي [ت ٥٧٦ هـ . شذرات الذهب ٤/٢٥٥] في نسخة غير هذه وفي ثبته ايضاً . فسمعه الشيخ الصالح شمس الدين أبو الفدا إسماعيل بن سودكين بن عبد الله النوري [ت٦٤٦ هـ . شذرات الذهب : ٥/٢٣٣] . . . . . . [٢] وذلك يوم الأحد ، ثالث عشرين صفر ، سنة سبع وثلاثين وستمائة . وكتب محمد بن عبد المنعم بن عمار بن هامل ابن موهوب الحراني ، بمدينة حلب . ولله الحمد والمنّة على ذلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

---

(١) في الأصل: « وخمسمه » وكأنه من سهو القلم ، والصواب ما أثبتناه كما يتضح من مراجعة وفيات أصحاب السماع .

(٢) ذكر أسماء (١٤) سامعاً آخرين .

« سمع هذا الجزء على الشيخ أبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد الصمد بن القاسم بن أحمد الاصبهاني الكاملي ، بسماعه من أبي صادق مرشد بن يحيى المديني [ت ٥١٧ هـ. شذرات الذهب : ٥٧/٤] بقراءة أبي محمد عبد الغني ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي [ت ٦٠٠ هـ. شذرات الذهب : ٣٤٦/٤] عبد الرحمن بن عساكر بن نصر الأنصاري ، والسماع في الأصل بخطه ، وصحّ ذلك ، في الثاني من ذي الحجة ، سنة سبعين وخمسمائة ، وأجاز لهما » .

« قرأتُ هذا الجزء على الشيخ الإمام زين الدين أبي العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم بن سلامة بن الحداد [ت ٦٧٨ هـ . شذرات الذهب : ٥/ ٣٦٠] بإجازته من الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي ابن سرور المقدسي ، عن الكاملي ، وبإجازته أيضاً من أبي طاهر بركات بن إبراهيم ابن طاهر الخشوعي [ت ٥٩٨ هـ . وفيات الأعيان : ١ /٢٤٣] بإجازته من أبي صادق مرشد بن يحيي المديني ، بسنده فيه ، وصح ذلك في يوم الجمعة ، الحادي والعشرين من ربيع الأول ، سنة سبع وسبعين وستمائة ، بالرباط الناصري بسفح جبل قاسيون . وكتب يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي » .

وإلى القارىء الكريم أصل الرسالة :

[١٢٣ / أ]

الجزء فيه :

مَن وافقتْ كنيتُه كنيةَ زوجه من الصحابة

رضوان الله عليهم

جمـع

الشيخ أبي الحسين ، محمد بن عبد الله ، ابن حيّويه

رواية أبي الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال عنه .

رواية أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني عنه .

رواية الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي عنه .

رواية الإمام عز الدين أبي القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة عنه .

وقفه على جميع المسلمين

أبو عبد الله محمد بن هامل الحرّاني ، رحمه الله

مستقرّه بالضيائية بسفح قاسيون

[١٢٣ / ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الإمام العالم العادل ، عز الدين ، أبو القاسم ، عبد الله ابن الحسين بن عبد الله بن رواحة ، الأنصاري(١) ، بقراءتي عليه ، وذلك يوم الأحد ، ثالث عشرين صفر ، سنة سبع(٢) وثلاثين وستمائة ، بمدينة حلب .

قلت له :

أخبركم الشيخ الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو طاهر ، أحمد بن محمد ابن أحمد [بن محمد] بن إبراهيم ، السلفي ، الأصبهاني(٣) ، رحمه الله ، قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، فأقر به . قال :

---

(١) توفي سنة ٦٤٦ هـ تلخيص ابن الفوطي : ٤/ق١/١٧٩ والنجوم الزاهرة : ٦/٣٦١ وشذرات الذهب : ٥/٢٣٤

(٢) قد تُقرأ الكلمة في الأصل «تسع» ، ولكن رقم سنة السماع في آخر الكتاب «٧»

(٣) توفي سنة ٥٧٦ هـ وقد جاوز عمره المائة . وفيات الأعيان : ١/٨٧ وتذكرة الحفّاظ : ٤/١٣٠٣ وشذرات الذهب : ٤/٢٥٥

أخبرنا أبو صادق ، مرشد بن يحيى بن القاسم ، المديني[١] ، بقراءتي عليه ، بمصر ، في صفر ، سنة ست عشرة وخمسمائة ، قال :

أنبأنا أبو الحسن ، علي بن منير بن أحمد ، الخلال[٢] ، في إجازته ، سنة خمس وثلاثين وأربعمائة .

أنبأ أبو الحسين ، محمد بن عبد الله بن زكريا بن حيويه ، النيسابوري قال :

هـذا كتاب ذكرنا فيه جماعةَ رجالٍ من أصحاب رسول الله - ﷺ - وافقتْ كُناهم كُنى أزواجهم ، فمن أزواجهم مَن لها صحبة لرسول الله ﷺ ، ومنهنّ[٣] مَن لاصحبة لها ، ومنهنّ مَن كانت مقيمة في عقد نكاح زوجها ، ومنهن مَن طلّقها زوجها وخلف غيره عليها ، ومنهن المذكورة في روايتها[٤] لحديثها ، ومنهن من جاء ذكرها في رواية غيرها . وما وصفناه من حالهن فهو موجود فيما ذكرناه من حديثهن .

* * *

أبو أيوب الأنصاري ، [١٢٤/أ] خالد بن زيد[٥] :

أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين البغدادي[٦] ، ناعمرو بن مرزوق[٧] ،

---

(١) توفي سنة ٥١٧ هـ عن سن عاليـة . تذكرة الحفّاظ : ١٢٦٦/٤ وشذرات الذهب : ٥٧/٤ .

(٢) المصري ، الشاهد ، المتوفى سنة ٤٣٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ١١١٠/٣ وشذرات الذهب : ٢٦٢/٣

(٣) في الأصل : « ومنهم » .

(٤) في هامش الأصل : « بروايتها » .

(٥) هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، الأنصاري ، النجّاري ، شهـد العقبة وبدراً وما بعدها ، ونزل عليه النبي (ص) لما هاجر إلى المدينة فأقام عنده حتى بنى بيته ومسجده ، توفي سنة ٥٠ هـ ، وقيل في غيرها. طبقات ابن سعد : ٣/ق٢/٤٩ ، وطبقات خليفة : ٢٠٢/١ ، والاستيعاب : ٤٠٢/١ ، وأسد الغابة : ٨٠/٢ ، والإصابة ٤٠٥/١

(٦) ت سنة ٢٩٣ هـ تاريخ بغداد : ١٢٩/٢

(٧) ت ٢٢٤ هـ شذرات الذهب : ٥٤/٢

أنبأ شعبة[١] ، عن عون بن أبي جحيفة[٢] ، عن أبيه[٣] ، عن البراء بن عازب[٤]، عن أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ سمع صوتاً عند المغرب – أو [قال][٥]، عند مغيربان الشمس – فقال : هذه اليهود تُعَذَّب في قبورها[٦] .

أم أيوب الأنصارية[٧] – زوج أبي أيوب – :

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس البصري ، أنبأ الحارث بن مسكين[٨] ، نا سفيان[٩] عن عبيد الله بن أبي يزيد[١٠] ، عن أبيه[١١] ، عن أم أيوب ، عن النبي ﷺ قال : نزل القرآن على سبعة أحرف ، أيما قرأتَ أَصبتَ[١٢] .

* * *

أبو أسيد الساعدي ، مالك بن ربيعة الأنصاري[١٣] :

---

(١) (ابن الحجاج) ت ١٦٠ هـ شذرات الذهب : ٢٤٧/١

(٢) ت ١٢٠ هـ . تاريخ خليفة : ٣٦٦/٢

(٣) ت ٧٤ هـ . شذرات الذهب : ٨٢/١

(٤) ت ٧٢ هـ . شذرات الذهب : ٧٧/١

(٥) في الأصل : « أو قد » ، ولعل الصواب ماأثبتناه .

(٦) وبهذا السند – من شعبة – أخرجه البخاري : ١١٨/٢ ، ونصه فيه : « يهود تعذّب في قبورها » .

(٧) هي أم أيوب بنت قيس بن سعد بن قيس بن عمرو بن امرىء القيس، الخزرجية أسلمت وبايعت . طبقات ابن سعد : ٢٦٣/٨ والاستيعاب : ٤١٣/٤ وأسد الغابة : ٥٦٨/٥ والإصابة : ٤١٧/٤

(٨) ت ٢٥٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ٥١٤/٢

(٩) (ابن عيينة) ت ١٩٨ هـ . شذرات الذهب : ٣٥٤/١

(١٠) ت ١٢٦ هـ . شذرات الذهب : ١٧١/١

(١١) له ترجمة مختصرة في تهذيب التهذيب : ٢٨٠/١٢ ، وله ذكر في طبقات خليفة: ٧٠١/٢ .

(١٢) وفي صحيح مسلم : ٢٠٤/٢ « فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا » .

(١٣) صحابي شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله (ص) ، توفى سنة ٦٠ هـ كما في طبقات ابن سعد : ٣/ق١٠٢/٢ ، والاستيعاب ٣٥١/٣ و ٨/٤ ، وأسد الغابة : ٢٧٩/٤، والإصابة: ٣٢٤/٣، وانفرد خليفة بأنه توفي سنة ٤٠هـ ،طبقات خليفة: ٢١٧/١

أخبرنا أبو عبد الرحمن أحمـــد بن شعيب بن علي النسائي [١] ، أنبأ محمد بن المثنى [٢] ، عن محمد بن جعفر [٣] ، نا شعبة قال : سمعتُ قتادة [٤] يحدِّث عن أنس [٥] قال : قال رسول الله ﷺ : خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة . وفي كل دور الأنصار خير [٦] . فقال سعد [٧] : ما أرى رسول الله ﷺ إلاّ قد فضّل علينا . فقيل : قد فضّلكم على كثير [٨] .

أم أسيد الأنصارية [٩] – زوج أبي أسيد – :

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي [١٠] ، نا محمد بن فراس أبو هريرة [١٢٤/ب] الصيرفي [١١] بالبصرة ، نا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة [١٢] ، نا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار [١٣] قال : حدثني أبو حازم [١٤] ، عن سهل بن سعد [١٥] :

أن أبا أسيد صاحب النبي ﷺ تزوّج ، فدعا النبيّ ﷺ في عرسه . قال :

(١) ت ٣٠٣ هـ . شذرات الذهب : ٢/٢٣٩
(٢) ت ٢٥٢ هـ شذرات الذهب : ٢/١٢٦
(٣) ت ١٩٣ هـ . شذرات الذهب : ١/٣٣٣
(٤) ت ١١٧ أو ١١٨ هـ . شذرات الذهب : ١/١٥٣
(٥) (ابن مالك) ت ٩٣ أو غيرها . شذرات الذهب : ١/١٠١
(٦) الحديث بالنص – مروياً عن محمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن أنس – في سنن الترمذي : ٥/٧١٦ وأسد الغابة : ٤/٢٧٩
(٧) (ابن عبادة) ت ١٥ هـ . شذرات الذهب : ١/٢٨
(٨) قول سعد والجواب على قوله في سنن الترمذي : ٥/٧١٧
(٩) ذكرتْ باختصار في أسد الغابة : ٥/٥٦٥ ، والاصابة ٤/٤١٤
(١٠) ت ٣٠٤ هـ ، تذكرة الحفاظ : ٣/٨٨٩
(١١) ت ٢٤٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٩/٣٩٨
(١٢) ت ٢٠٠ أو ٢٠١ هـ . تهذيب التهذيب : ٤/١٣٣
(١٣) مترجم في تهذيب التهذيب : ٦/٢٠٦
(١٤) (سلمة بن دينار) ت ١٤٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٣٣
(١٥) (الساعدي) ت ٩١ هـ . شذرات الذهب : ١/٩٩

فكانت امرأته تقوم علينا وهي العروس ، فكانت تسقينا نبيذ تمر قد أنقعته من الليل ثم صفّته .(١)

* * *

أبو بكر الصدّيق ، عبد الله بن عثمان التيمي :(٢)

حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، حدثني أبو نصر التمار(٣) ، قال ابن أعين : ونا عمرو بن علي(٤) ، نا أبو نصر التمار ، حدثني كوثر بن حكيم ، عن نافع(٥) ، عن ابن عمر(٦) قال : قال أبو بكر الصديق : سمعت نبيّ الله ﷺ يقول : من اغبرّتْ قدماه في سبيل الله حرّمها الله على النار .(٧)

أم بكر - زوج أبي بكر - :

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس ، نا أحمد بن صالح(٨) ، نا عنبسة(٩) ، نا يونس(١٠) ، عن ابن شهاب(١١) ، عن عروة بن الزبير(١٢) ، عن عائشة(١٣) : أنها

(١) مضمون هذا الخبر في أسد الغابة : ٥/٥٦٠ ، والإصابة : ٤/٤١٤

(٢) من السابقين إلى الإسلام ، شهد المشاهد مع النبي (ص) ، توفي سنة ١٣ هـ . طبقات ابن سعد : ٣/ق١/١١٩ ، وطبقات خليفة : ١/٣٨ ، والاستيعاب : ٢/٢٣٤ ، وأسد الغابة : ٣/٢٠٥ ، والإصابة ٢/٣٣٣

(٣) (عبد الملك بن عبد العزيز) ت ٢٢٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٦/٤٠٧

(٤) ت ٢٤٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٨٨

(٥) أبو عبد الله ، العدوي المدني . ت ١١٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٠٠

(٦) عبد الله . ت ٧٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٤٠

(٧) ورد الحديث في سنن الترمذي : ٤/١٧٠ ، وفيه « فهما حرام على النار » .

(٨) ت ٢٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٩٦

(٩) (ابن خالد) ت ١٩٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٨/١٥٤

(١٠) (ابن يزيد الايلي) ت ١٥٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٦٢

(١١) (محمد بن مسلم الزهري) ت ١٢٤ . تذكرة الحفاظ : ١/١١٣

(١٢) ت ٩٤ هـ شذرات الذهب : ١/١٠٣

(١٣) (أم المؤمنين) ت ٥٧ هـ . شذرات الذهب : ١/٦١

كانت تدعو على من يزعم أنّ أبا بكر قال هذه الأبيات . قالت عائشة : والله ما قال أبو بكر بيتَ شعرٍ في جاهلية ولا إسلام ، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية [1] ، ولكن أبا بكر تزوّج امرأة يقال لها « أم بكر » ، فطلّقها ، فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر الذي [١٢٥/أ] قال هذه الأبيات :

وماذا بالقليب قليب بدرٍ من الشّيزى تزيّن بالسنامِ [2]
وماذا بالقليب قليب بدرٍ من القينات والشّرب الكرام
تحيّا بالسلامة أم بكرٍ وهل لي بعد قومي من سلام
يخبّرنا الرسول بأنْ سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

في هذه الرواية .

وفي روايةٍ غيرها — لم نذكرها استغناءً بما ذكرناه عنها — دليل على أنّ أمّ بكر هذه المذكورة في هذا الحديث كانت زوج أبي بكر في الجاهلية لا في الإسلام ، فإنْ ثبت ذلك — وما أخلقه أن يكون ثابتاً — فليست داخلة في المعنى الذي قصدناه ، بل هي خارجة من جملة ما ذكرناه ، وعلى هذا الحدّ ذكرناها ، لا على أنه صح عندنا إسلامها .

* * *

أبو الدرداء الأنصاري [3] ، عويمر بن عامر ، ويقال : عويمر بن زيد :

(١) حديث السيدة عائشة مع عروة في نفي الشعر وترك شرب الخمر وارد في الاستيعاب : ٢٤٨/٢ .

(٢) ورد هذا البيت في لسان العرب (شيز) منسوباً لابن سوادة ؛ يرثي به قتلاه في بدر من المشركين .

(٣) أشهر ما قيل في أسمه ونسبه أنه : عويمر بن عامر بن مالك بن زيد ، شهد ما بعد أحد من المشاهد ، توفي سنة ٣١ أو ٣٢ هـ وقيل غير ذلك . طبقات خليفة : ٢١٣/١ والاستيعاب : ١٥/٣ و ٥٩/٤ ، وأسد الغابة : ١٥٩/٤ و ١٨٥/٥ ، والإصابة ٤٦/٣ .

حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن أعين ، نا علي بن الجعد [١] وعاصم بن علي [٢] قالا : نا شعبة ، عن الحكم [٣] ، عن أبي عمر الصيني [٤] ، عن أبي الدرداء : أنه كان إذا نزل به ضيف قال : أمقيم فلنسرح أم ظاعن فلنعلف . فإنْ قال : ظاعن ، قال : لا أجد شيئاً خيراً من شيء أمر بـــه النبي صلى الله [عليه وسلم] قال :

جاء ناس من أهل الفقر إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول [١٢٥/ب] الله ، ذهب الأغنياء بالأجر : يجاهدون ولا نجاهد ، ويحجون ولا نحج ، ويفعلون ولا نفعل . فقـال : ألا أدلكم على ما إن أخذتم به أدركتم - أو جئتم - بأفضل مما يأتون به : تكبِّرون الله أربعاً وثلاثين ، وتحمدون الله ثلاثاً وثلاثين وتسبِّحو [ن] الله ثلاثاً وثلاثين ، في دبر كل صلاة [٥] .

أم الدرداء [٦] ، خيرة بنت أبي حدرد الأسلمية - زوج أبي الدرداء - :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، نا أحمد بن منيع [٧] ، نا الحسن بن موسى [٨] ،

---

(١) ت ٢٣٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٤٠٠

(٢) ت ٢٢١ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٣٩٧

(٣) ت ١١٤ هـ أو ١١٥ هـ . تذكرة الحفاظ: ١/١١٧ «وهو الحكم بن عتيبة» .

(٤) مترجم في تهذيب التهذيب : ١٢/١٧٦

(٥) هذا التكبير والتحميد والتسبيح مما علمه رسول الله (ص) علياً وفاطمة عليهما السلام . يراجع صحيح البخاري : ٥/٢٤ .

(٦) وتلقب بـ « الكبرى » ، من النساء ذوات الرأي ، توفيت قبل زوجهـــا . الاستيعاب : ٤/٤٢٩ ، وأسد الغابة : ٥/٤٤٨ ، والاصابة ٤/٢٨٨

(٧) ت ٢٤٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٤٨٢

(٨) ت ٢٠٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٣٧٠

نا ابن لهيعة[١] ، نا زبان[٢] ، عن سهل بن معاذ[٣] ، عن أبيه[٤] ، عن أم الدرداء ، أنه سمعها تقول :

لقيني رسول الله ﷺ وقد خرجتُ من الحمام ، فقال : من أين يا أم الدرداء ؟ قلتُ : من الحمام ، قال : والذي نفسي بيده ، ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحدٍ من أمهاتها إلا وهي هاتكة كلَّ سترٍ بينها وبين الرحمن عز وجل[٥].

* * *

أبو الدحداح الأنصاري[٦] :

وأم الدحداح[٧] ـ زوج أبي الدحداح :

حدثنا عمي أبو زكريا يحيى بن زكريا بن حيويه النيسابوري[٨] ، نا محمد بن معاوية بن مالج[٩] ، نا خلف بن خليفة[١٠] ، عن حميد الأعرج[١١] ، عن عبد الله بن

---

(١) (عبد الله) ت ١٧٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٣٩/١

(٢) (ابن فائد) ت ١٥٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٠٨/٣

(٣) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٥٨/٤

(٤) (معاذ بن أنس) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ١٨٦/١٠

(٥) وأخرجه الطبراني بسنده من طريق زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ، وفيه : « في غير بيت إحدى أمهاتها أو زوج إلا كانت هاتكة .. الخ » . الإصابة : ٢٨٨/٤ ، ويراجع في مضمون الحديث أسد الغابة : ٤٤٨/٥ .

(٦) لم يُعرف اسمه ولا نسبه ، غير أنه حليف الأنصار . وربما قيل : إن اسمه ثابت بن الدحداح . الاستيعاب : ٦١/٤ ، وأسد الغابة : ٢٢١/١ و ٨٥/٥ ، والإصابة : ٥٩/٤ .

(٧) لها ذكر في أسد الغابة : ٥٨٠/٥ والإصابة : ٤٢٩/٤

(٨) ت ٣٠٧ هـ . شذرات الذهب : ٢٥١/٢

(٩) مترجم في تهذيب التهذيب : ٤٦٣/٩

(١٠) ت ١٧١ أو ١٨١ هـ . تهذيب التهذيب : ١٥١/٣

(١١) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٥٣/٣

الحارث[١] ، عن عبد الله بن مسعود[٢] قال :

لمّا نزلتْ (مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا) ، قال أبو الدحداح : يارسول الله [١٢٦/أ] ؛ وإن الله يريد منّا القرض؟!. قال: نعم يا أبا الدحداح، قال : أرني يدك ، قال : فناوله ، قال : فإني أقرضت ربي حائطاً لي فيه ستمائة نخلة .

ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط ، وأم الدحداح فيه وعيالها ، فناداها : يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال : اخرجي ، قد أقرضتُ ربي حايطاً فيه ستمائة نخلة[٣] .

* * *

أبو ذر الغفاري ، [٤] جندب بن جنادة ، ويقال : جندب بن سكن ، ويقال : برير بن جنادة ، ويقال : برير بن عبد الله :

أخبرنا محمد بن أحمد بن جعفر أبو العلاء الكوفي[٥] ، نا عثمان بن أبي شيبة[٦]،

(١) (الزبيدي) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ١٨٢/٥

(٢) ت ٣٢ هـ . شذرات الذهب : ٣٨/١

(٣) أخرج ابن مندة الحديث من طريق عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود بنصٍ مقارب للأصل، وأخرجه أحمد والبغوي والحاكم من طريق آخر وبنص آخر. الإصابة: ٦٠/٤ ، ويراجع في ملخص النص الاستيعاب : ٦١/٤ .

(٤) من السابقين إلى الإسلام . شهد مع النبي (ص) أكثر مشاهده ، توفي بالربذة سنة ٣١ أو ٣٢ هـ . طبقات ابن سعد : ٤/ ق ١ /١٦١ ، وطبقات خليفة : ٧١/١ ، والإستيعاب : ٢١٤/١ و ٦٢/٤ ، وأسد الغابة : ١ / ٣٠١ و ٥ / ١٨٦ ، والإصابة : ٦٣/٤

(٥) ت ٣٠٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٢١/٩

(٦) ت ٢٣٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ٤٤٤/٢

نا عبثر أبو زبيد[١]، عن مطرف[٢] عن أبي الجهم[٣]، عن خالد بن وهبان[٤]، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنتَ وقد استؤثر عليك بالفيء؟ قال: فقلتُ: إذاً آخذ سيفي فأجلدهم بـه حتى ألحق بك، قال: فأدلك على خير من ذلك: تصبر حتى تلقاني[٥].

أم ذر[٦] — زوج أبي ذر الغفاري —:

حدثني أبو زكريا يحيى بن زكريا بن حيويه، نا يوسف بن موسى بن راشد القطّان[٧]، نا يحيى بن سليم الطائفي[٨]، نا عبد الله بن عثمان بن خثيم[٩]، عن مجاهد[١٠]، عن إبراهيم بن الأشتر[١١]، عن أبيه[١٢]، عن أم ذر[١٣] أنها قالت:

---

(١) ت ١٧٨ أو ١٧٩ هـ. تهذيب التهذيب: ١٣٧/٥

(٢) (ابن طريف الكوفي) ت ١٤٣ هـ. شذرات الذهب: ٢١٢/١.

(٣) (سليمان بن الجهم) تهذيب التهذيب: ١٧٧/٤

(٤) له ترجمة في تهذيب التهذيب: ١٢٥/٣

(٥) أخرجه ابن سعد عن مطرف عن أبي الجهم عن خالد بن وهبان وكان ابن خالة أبي ذر عن أبي ذر، بنص قريب من الأصل. الطبقات: ٤/ق ١٦٦/١ ويراجع سنن أبي داود: ٥٤٢/٢.

(٦) أسلمت مع زوجها في صدر الإسلام. أسد الغابة: ٥٨١/٥ والإصابة: ٤٣٠/٤

(٧) ت ٢٦٣ هـ. تذكرة الحفاظ: ٥٤٨/٢

(٨) ت ١٩٥ هـ. تذكرة الحفاظ: ٣٢٦/١

(٩) ت ١٣٢ هـ. شذرات: ١٨٩/١

(١٠) ت ١٠٣ هـ. شذرات الذهب: ١٢٥/١

(١١) ت ٦٧ هـ. شذرات الذهب: ٧٤/١

(١٢) هو مالك الأشتر النخعي ت ٣٨ هـ. شذرات الذهب: ٤٨/١

(١٣) أخرج الحديث بن سعد في طبقاته: ٤/ق ١٧٢/١ عن عبد الله بن عثمان عن مجاهد عن إبراهيم بن الأشتر عن زوجة أبي ذر، وكذلك في أسد الغابة: ٣٠٢/١، ولكن ابن عبد البر في الاستيعاب: ٢١٥/١ أخرجه عن المديني عن يحيى بن سليم .. إلى آخر السند الوارد في الأصل، ولذلك اعتمدنا عليه في المقابلة.

لمّا حضر [تْ](١) أبا ذر الوفاة قالت : بكيتُ ، فقال : ما يبكيك ؟ فقالتْ : قلتُ : ومالي لا أبكي وأنت تموت بفلاةٍ من الأرض [١٢٦/ب] ولا يَدانِ لي بتغسيلك(٢) ، وليس معنا ثوب(٣) يسعك كفناً ، لي ولا لك . قال : لا تبكي وأبشري فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين وَلدانِ أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً ، [وقد مات لنا ثلاثة من الولد](٤) ، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لنفرٍ أنا فيهم : ليموتنّ رجل منكم بفلاةٍ من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر إلا وقد مات في قرية وجماعة ، وإني أنا الذي أموت بالفلاة ، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، فأبصري الطريق ، قالتْ : فقلتُ : أنّى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق(٥) ، فقال : انظري(٦) ، فكنت أشتد إلى الكثيب فأقوم عليه ، ثم أرجع إليه فأمرّضه .

قالت : فبينا أنا كذلك(٧) إذا أنا برجالٍ على رواحلهم ، كأنهم الرخم ، فألحتُ بثوبي فاحتبلوني ، فأسرعوا إليّ ، ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليّ فقالوا : ما لكِ يا أمة الله ؟ فقلتُ : امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه ، قالوا : ومَنْ هو ؟ ، قلتْ : أبو ذر ، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلتُ: نعم ، قالت : ففدَوه بآبائهم وأمهاتهم ، وأسرعوا إليه حتى دخلوا عليه فسلّموا عليه ، فرحب بهم وقال [١٢٧/أ] : أبشروا فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان

(١) الزيادة من الاستيعاب .
(٢) في الاستيعاب : « ولا يد لي للقيام بجهازك » .
(٣) في الاستيعاب : « وليس عندي ثوب » .
(٤) الزيادة من الاستيعاب ، وبها يستقيم السياق .
(٥) في الاستيعاب : الطريق .
(٦) في الاستيعاب : « اذهبي فتبصري » .
(٧) في الاستيعاب : « فبينا هو وأنا كذلك » .

النار أبداً[١] ، وسمعتُه – صلى الله عليه وسلم – يقول لنفرٍ أنا فيهم : ليموتنّ رجل منكم بفلاةٍ من الأرض تشهده[٢] عصابة من المؤمنين ، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك في قرية وجماعة ، وإني أنا الذي أموت بفلاة ، والله ما كَذِبْتُ ولا كُذِّبْتُ ، وإنه لو كان عندي ثوب يسعني كفناً أو لامرأتي ثوب يسعني كفناً لم أُكفّن إلا في ثوبٍ هو لي أو لها ، وإني أنشدكم بالله أن لا يكفنني[٣] منكم رجل كان أميراً ولا عريفاً[٤] أو بريداً أو نقيباً ، قال : فليس من القوم أحد إلا وقد أصاب من ذلك شيئاً ، إلا فتى من الأنصار قال : أنا أكفنك ، لم أصب من ذلك[٥] شيئاً ، أكفنك في ردائي هـذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي ، قال : أنتَ فكفني[٦] .

فكفنه الأنصاري ودفنه ، في النفر الذين هم معه ، منهم حجر بن الأدبر ومالك الأشتر[٧] ، في نفرٍ كلهم يمان[٨] .

* * *

أبو رافع[٩] ، أسلم ، ويقال : إبراهيم ، ويقال : عبد الرحمن ، ويقال :

(١) لم يرد « فإني سمعت ... – إلى قوله – أبدا » في الاستيعاب .

(٢) في الأصل : « يشهده » .

(٣) في الأصل : « يكفني » .

(٤) في الاستيعاب : « أو عريفا » .

(٥) في هامش الأصل : « مما ذكرت » ، وكأنه نسخة أخرى من « من ذلك » .

(٦) في الاستيعاب : « تكفنني » .

(٧) في الاستيعاب : « فكفنه الأنصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه في نفر .. الخ » .

(٨) يراجع أيضاً في هذه الرواية التاريخية: طبقات ابن سعد: ٤/ق١/١٧٢-١٧٣، والاستيعاب : ٤/٦٥ ، وأسد الغابة : ١/٣٠٢ ، والإصابة : ٤/٦٥

(٩) كان مولى للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي (ص) فأعتقه ، وشهد أحداً وما بعدها ، وتوفي في الثلاثينات . طبقات ابن سعد : ١/ق ٢/١٨٠ و ٤/ق ١/٥١ ، والاستيعاب : ١/٦١ و ٤/٦٩ ، وأسد الغابة : ١/٤١ و ٧٧ و ٥/١٩١ ، والإصابة ٤/٦٨ .

سنان ، ويقال : هرمز ـ مولى رسول الله ﷺ ـ :

أخبرنا العباس بن محمد بن العباس [١٢٧/ب] ، نا أحمد بن صالح ، نا عبد الله بن وهب[١] ، أخبرني عمرو بن الحارث[٢] ، عن بكير بن الأشج[٣] ، عن الحسن بن علي بن أبي رافع[٤] : أن أبا رافع أخبره قال :

بعثتني قريش إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فلما رأيتُه ألقي في قلبي الإسلام ، فقلتُ : يا رسول الله ، إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، قال رسول الله ﷺ : إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرُد ، ولكن ارجع ، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع . قال : فذهبتُ ، ثم أتيتُ النبي ﷺ فأسلمتُ .

قال بكير : وأخبرني أن أبا رافع كان قبطياً[٥].

أم رافع[٦] ، سلمى ، مولاة رسول الله ﷺ ، ويقال : مولاة صفية بنت عبد المطلب ـ زوج أبي رافع ـ :

حدثنا عمي ، نا أحمد بن الخليل القومسي[٧] ، نا عبد العزيز بن عبد الله العامري[٨] ، نا إبراهيم بن سعد[٩] ، عن محمد بن إسحاق[١٠] ، عن عبيد الله بن

(١) ت ١٩٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ٣٠٦/١
(٢) ت ١٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٨٥/١
(٣) ت ١٢٢ هـ . شذرات الذهب : ١٦٠/١
(٤) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٩٥/٢
(٥) الحديث وهذه التتمة مرويان بالنص عن السند نفسه في سنن أبي داود : ٧٥/٢
(٦) ورُوِي أنها شهدت خيبراً مع النبي (ص) . طبقات ابن سعد : ١٦٤/٨ ، والاستيعاب : ٣٢١/٤ وأسد الغابة : ٤٧٨/٥ والإصابة : ٣٢٦/٤ .
(٧) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٢٨/١
(٨) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٣٤٥/٦
(٩) ت ١٨٣ أو ١٨٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٥٣/١
(١٠) ت ١٥١ هـ . أو ١٥٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٧٣/١

علي بن أبي رافع[١]، عن أبيه ، عن أمه سلمى وكانت حاضنة لفاطمة ،قالت[٢]:

اشتكتْ فاطمة بنت رسول الله – ﷺ – فمرّضتُها ، فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكوتها – وكان علي بن أبي طالب خرج لبعض حاجته – فقالت فاطمة : يا أمي سلمى اسكبي لي ماء ، أو قالت : اسكبي لي غسلاً ، قالت : فسكبتُ لها غسلاً ، فقامتْ فاغتسلتْ كأحسن ما كنتُ [١٢٨/أ] أراها تغتسل ، ثم قالت : يا أمه ناوليني ثيابي الجدد ، قالت : فناولتُها ، فلبستْها ، ثم جاءتْ إلى البيت الذي كانت فيه فقالت لي : قدمي لي فراشي وسط البيت ، قالت: فقدمتُه ، فاضطجعتْ ووضعتْ يدها اليمنى تحت خدها، ثم استقبلت القبلة فقالت : يا أمّه إني قد اغتسلتُ وإني مقبوضة الآن فلا يكشفني أحد ، قالت : فقبضتْ مكانها . قالت : فدخل علي بن ابي طالب فأخبرتُه فقال : والله لايكشفها أحد ، فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك[٣] .

* * *

أبو سلمة ، عبد الله بن عبد الأسد المخزومي[٤]:

أخبرنا إسحاق بن إبراهيم ، نا محمد بن عبد الملك بن زنجويه[٥] ، نا عبد

(١) له ترجمة في تهذيب التهذيب : ٣٧/٧

(٢) وأخرجه ابن سعد عن السند نفسه في طبقاته : ١٧/٨

(٣) ورد الخبر بنص مقارب للأصل في طبقات ابن سعد : ١٧/٨ – ١٨ ، وأسد الغابة : ٥٩٠/٥ (عن أم سلمى ، والصواب سلمى) ، والإصابة : ٣٦٧/٤ ، وذكر في الاستيعاب: ٣٢٢/٤ أن أم رافع هي التي غسلت فاطمة مع علي (ع) وأسماء بنت عميس.

(٤) أمه برة بنت عبد المطلب ، وكان ممن هاجر مع زوجته أم سلمة إلى الحبشة ، ثم شهد بدراً وجرح يوم أحد ، وتوفي من أثر الجراح سنة ٣ أو ٤ هـ . طبقات ابن سعد: ١٧٠/٣ ، وطبقات خليفة : ٤٣/١ ، والاستيعاب : ٣٣٠/٢ و ٨٢/٤ ، وأسد الغابة: ١٩٥/٣ و ٢١٨/٥ ، والإصابة : ٣٢٦/٢

(٥) ت ٢٥٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٥٥٤/٢

الرزاق [١] ، أخبرنا جعفر بن سليمان [٢] ، نا ثابت البناني [٣] ، حدثني عمر بن أبي سلمة [٤] ، عن أمه أم سلمة ، عن زوجها أبي سلمة ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من أحد من المسلمين يصاب بمصيبة فيقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم إني أحتسب مصيبتي عندك فأبدلني بها خيراً منها » إلا أبدله الله عز وجل خيراً منها [٥] . قالت : فلما توفي أبو سلمة قلتُ : « إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم إني أحتسب بمصيبتي [٦] فأبدلني به خيراً منه » ، قالتْ : وجعلتُ أقول في نفسي [١٢٨/ب] : مَنْ خيرٌ من أبي سلمة ؟ قالت : فجاء رسول الله - ﷺ - يخطبني ، فتزوجتُه [٧] .

أم سلمة [٨] ، هند بنت أبي أمية ، المخزومية ، التي كانت زوج أبي سلمة ، ثم أكرمها الله عز وجل بعده برسول الله ﷺ :

أخبرنا أبوجعفر أحمد بن حمّاد زُغبة التجيبي [٩] ، نا يحيى بن سليمان الجعفي [١٠] ،

---

(١) ت ٢١١ هـ . تذكرة الحفاظ : ٣٦٤/١ (عبد الرزاق بن همام).

(٢) ت ١٧٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢٤١/١

(٣) ت ١٢٣ أو ١٢٧ هـ تذكرة الحفاظ : ١٢٥/١

(٤) ت ٨٣ هـ تهذيب التهذيب : ٤٥٦/٧

(٥) سنن أبي داود : ٧٠/٢

(٦) كذا في الأصل ، وسبق في الرواية : « أحتسب مصيبتي عندك »

(٧) مضمون الحديث في طبقات ابن سعد : ٦١/٨ - ٦٢ ، وسنن الترمذي : ٥٣٣/٥ ، وأسد الغابة : ٢١٨/٥ ، والإصابة : ٣٢٧/٢ و ٤٠٨/٤ .

(٨) أم المؤمنين ، توفيت سنة ٥٩ هـ أو ٦١ هـ . طبقات ابن سعد : ٦٠/٨ ، وطبقات خليفة : ٨٦٧/٢ ، والاستيعاب: ٤٠٥/٤ و ٤٣٦ ، وأسد الغابة: ٥٨٨/٥ ، والإصابة : ٤٠٧/٤ و ٤٣٩ .

(٩) ت ٢٩٦ هـ شذرات : ٢٢٤/٢

(١٠) ت ٢٣٨ هـ شذرات : ٩١/٢

نا يونس بن بكير[١] ، حدثني محمد بن اسحاق[٢]، حدثني الزهري محمد بن مسلم[٣]، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٤] ، عن أم سلمة ، قالت :

لما ضاقت علينا مكة وأوذي [أصحاب] النبي ﷺ ورأوا مايصيبهم من الأذى والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ ، لايستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه أبي طالب ، لايصل إليه شيء يكرهه مما يصل إلى أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لاينال عنده أحد بظلم ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً - أو مخرجاً - مما أنتم فيه ، فخرجنا إليها أرسالاً واجتمعنا بها ، فنزلنا في خير دار وأمنة[٥] .

* * *

أبو سيف القين[٦] :

وأم سيف - زوج أبي سيف -[٧] :

أخبرنا علي بن الحسن بن خلف[٨]، نا عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم[٩]،

(١) ت ١٩٩ هـ. تذكرة الحفاظ : ٣٢٧/١

(٢) ت ١٥١ هـ. تذكرة الحفاظ : ١٧٣/١

(٣) ت ١٢٤ هـ. تذكرة الحفاظ : ١١٣/١

(٤) ت ٩٤ هـ. تذكرة الحفاظ : ٦٤/١

(٥) يراجع في مضمون هذا النص تاريخ الطبري : ٣٣٠/٢ - ٣٣١ ونهاية الأرب : ٢٣٢/١٦

(٦) وسمّاه بعض المؤرخين « البراء بن أوس بن خالد بن الجعد » . طبقات ابن سعد : ٨٧/١ ، والاستيعاب : ١٤١/١ و ٩٩/٤ ، وأسد الغابة : ٢٢٤/٥ ، والإصابة : ٩٩/٤

(٧) مرضعة إبراهيم ابن النبي (ص) . طبقات ابن سعد : ٨٧/١ ، والاستيعاب : ٤٤٤/٤ ، وأسد الغابة : ٥٩٣/٥

(٨) ت ٣١٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ٧٨٧/٣

(٩) ت ٢٥٧ هـ . تهذيب التهذيب : ٣٠٨/٦

نا عبد الملك بن [١٢٩/ أ] أبي سلمة [١] ، نا قريش بن حيان [٢] ، عن ثابت البناني ، عن أنس [٣] قال :

دخلنا مع رسول الله - ﷺ - على أبي سيف ، قين كان بالمدينة ، وكان ظئر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، فأتاه بإبراهيم فشمّه [٤] . ثم دخلنا عليه وهو في الموت ، فذرفتْ عيناه ، فقال ابن عوف : وأنتَ يارسول الله ؟ فقال إنها رحمة ، وأتبعها بالأخرى ؛ تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل [٥] .

* * *

أبو طليق [٦] :

وأم طليق - زوج أبي طليق - [٧] :

لم نذكر حديثها .

* * *

أبو الفضل ، العباس بن عبد المطلب [٨] - عم رسول الله ﷺ - :

---

(١) في الأصل : عبد الملك بن مسلمة . والتصويب من تهذيب التهذيب : ٤٠٧/٦ (ت ٢١٢ هـ أو ٢١٤ هـ) .

(٢) مترجم في تهذيب التهذيب : ٣٧٥/٨

(٣) ت ٩٠ هـ - ٩٣ هـ . تذكرة الحفاظ : ٤٥/١

(٤) ورد بنصٍّ مقارب في الإصابة : ٩٩/٤

(٥) مضمون الخبر في طبقات ابن سعد : ٨٨/١ - ٨٩

(٦) الأشجعي ، عدّه بعض القدماء في الصحابة وأخرج له حديثاً . الاستيعاب : ١١٥/٤ ، وأسد الغابة : ٢٣٥/٥ ، والإصابة : ١١٤/٤

(٧) يقال إن لها صحبة . الاستيعاب: ٤٤٩/٤ وأسد الغابة : ٥٩٧/٥ والإصابة : ٤٤٩/٤

(٨) شهد بدراً مع المشركين وأسلم قبل الفتح .توفي سنة ٣٢ أو ٣٤ هـ . طبقات خليفة : ١٠/١ ، والاستيعاب : ٩٤/٣ ، وأسدالغابة : ١٠٩/٣ ، والإصابة : ٢٦٣/٢

حدثنا أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزّاز [١] ، نا محمد بن عقبة [٢] ، نا عبد العزيز بن محمد الدراوردي [٣] ، عن يزيد بن الهاد [٤] ، عن محمد بن إبراهيم [٥] ، عن عامر بن سعد [٦] ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي ﷺ ، قال :

أمر المرء أن يسجد على سبعة أعصاب [٧] : يديه ورجليه وركبتيه ووجهه [٨]

أم الفضل ، لبابة بنت الحارث الهلالية [٩] – زوج العباس بن عبد المطلب – :

أخبرنا أحمد بن شعيب [١٠] ، أنا قتيبة بن سعيد [١١] ، نا سفيان [١٢] ، عن الزهري [١٣] ، عن عبيد الله [١٤] ، عن ابن عباس [١٥] ، عن أمه ، أنها :

---

(١) ت ٢٩٢ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٦٥٤

(٢) لعله المتوفّى سنة ٢١٥ هـ . تهذيب التهذيب : ٩/٣٤٦

(٣) ت ١٨٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٢٦٩

(٤) ت ١٣٩ هـ . تهذيب التهذيب : ١١/٣٤٠ (يزيد بن عبدالله بن أسامة بن الهاد).

(٥) ت ١٢٠ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٢٤

(٦) ت ١٠٠ هـ أو ١٠٤ هـ . شذرات الذهب : ١/١٢٦

(٧) في الهامش : (خ ل آراب) .

(٨) في الهامش : (وجبهته) بدل (ووجهه) . ونص الحديث في سنن ابن ماجه : ١/٢٨٦ وسنن الترمذي : ٢/٦١ مسنداً عن العباس بن عبد المطلب « إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ؛ وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه » .

(٩) لها ذكر في طبقات ابن سعد : ٨/٢٠٢ ، والاستيعاب : ٤/٤٦٠ و ٣٨٥ ، وأسد الغابة : ٥/٥٣٩ ، والإصابة : ٤/٣٨٥ و ٤٦١

(١٠) ت ٣٠٣ هـ . تذكرة الحفاظ : ٢/٧٠١

(١١) ت ٢٤٠ هـ . تهذيب التهذيب : ٨/٣٦٠

(١٢) ت ١٩٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٢٦٤ . (ابن عُيَيْنَة) .

(١٣) ت ١٢٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١١٣

(١٤) ت ٩٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٧٩ (ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود) .

(١٥) ت ٦٨ هـ تذكرة الحفاظ : ١/٤١

سمعت النبي – ﷺ – يقرأ في المغرب بالمرسلات [1] [١٢٩ / ب] .

* * *

أبو معقل ، هيثم الأسدي [2] :

أخبرنا أحمد بن شعيب ، أنا محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني [3] ، نا عمر بن حفص بن غياث [4] ، نا أبي [5] ، نا الأعمش [6] ، حدثني عمارة [7] وجامع بن شداد [8] ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبي معقل : أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال :

إن أم معقل جعلت عليها حجة معك فلم يتيسر لها ذلك فما يجزي عنها ؟ قال : عمرة في رمضان . قال : فإن عندي جملًا جعلتُه في سبيل الله حبيساً فأعطيها إياه فتركبه ؟ قال : نعم [9] .

أم معقل الأسدية [10] – زوج أبي معقل – :

---

(١) الخبر – مروياً عن الزهرى – في أسد الغابة : ٥/٠٤٥

(٢) هيثم بن نهيك بن أساف ، الأسدي ، الأنصاري ، يقال إن له صحبة. الاستيعاب : ٤/١٨٩ وأسد الغابة : ٥/٣٠١ ، والإصابة : ٣/٥٨١ و ٤/١٨١

(٣) ت ٢٦٧ هـ . تهذيب التهذيب : ٩/٥٢٢

(٤) ت ٢٢٢ هـ . شذرات : ٢/٥٠

(٥) ت ١٩٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/٢٩٨

(٦) ت ١٤٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ١/١٥٤ (سليمان بن مهران) .

(٧) (عمارة بن عمير) ت ٨٢ أو ٩٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٧/٤٢١

(٨) ت ١١٨ أو ١٢٧ أو ١٢٨ هـ . تهذيب التهذيب : ٢/٥٦

(٩) مضمون الحديث في الإصابة : ٤/١٨١ ، وأسد الغابة : ٥/٢٦١ ، وقال في الإصابة : (روى حديثه الأعمش عن عمارة بن عمير وجامع بن شداد عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عنه) .

(١٠) ويقال إنها أشجعية وأنصارية وإنها أسلمت وبايعت النبي (ص) وروت عنه . طبقات ابن سعد: ٨/٢١٦ والاستيعاب: ٤/٤٧٦ وأسد الغابة: ٥/٦٢١ والإصابة: ٤/٤٧٥

حدثنا محمد بن إبراهيم بن اسحاق الأصبهاني ، نا أبومسعود أحمدبن الفرات[١] أنا عبد الرزاق ، عن الأوزاعي[٢] ، عن يحيى بن أبي كثير[٣] ، عن أبي سلمة[٤] عن معقل بن أبي معقل ، عن أم معقل ، عن النبي ﷺ قال :

اعتمري في رمضان ، فإن عمرةً في رمضان تعدل حجة[٥] .

آخر الكتاب ، ولله المنـــة

محمد حسن آل ياسين

فهرست المراجع

١ ــ الاستيعاب : لابن عبد البر القرطبي	القاهرة / هامش الإصابة/١٣٥٨ هـ
٢ ــ أسد الغابة : لابن الأثير	طهران / طبعة مصوَّرة
٣ ــ الإصابة : لابن حجر العسقلاني	القاهرة / ١٣٥٨ هـ
٤ ــ الإكمال : لابن ماكولا	حيدر آباد، الهند /١٣٨١ هـ
٥ ــ الأنساب : للسمعاني	حيدر آباد، الهند / ١٣٨٥ هـ
٦ ــ تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي	بيروت / طبعة مصورة
٧ ــ تاريخ خليفة بن خياط	بغداد /١٣٨٦ هـ
٨ ــ تاريخ الطبري	القاهرة / ١٩٦٢م

---

(١) ت ٢٥٨ هـ . تذكرة الحفاظ : ٥٤٥/٢

(٢) ت ١٥٧ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٨٣/١

(٣) ت ١٢٩ هـ . تذكرة الحفاظ : ١٢٨/١

(٤) ت ٩٤ أو ١٠٤ هـ . تذكرة الحفاظ : ٦٣/١

(٥) أخرج ابن سعد نصّ الحديث في طبقاته (٢١٦/٨) وبنفس السنـــد من الأوزاعي فصاعداً ، ويراجع في مضمون الحديث وطرقـــة الاستيعاب : ٤٧٦/٤ ، وأسد الغابة : ٦٢١/٥ ، والإصابة : ١٨١/٤ – ١٨٢

٩ - تذكرة الحفاظ : للذهبي بيروت/ طبعة مصورة

١٠ - تلخيص مجمع الآداب : لابن الفوطي دمشق / ١٩٦٢ - ١٩٦٧ م

١١ - تهذيب التهذيب بيروت / طبعة مصورة

١٢ - سنن ابن ماجه القاهرة / ١٣٧٣ هـ

١٣ - سنن أبي داود القاهرة / ١٣٧١ هـ

١٤ - سنن الترمذي القاهرة / ١٩٣٧ م

١٥ - شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي القاهرة / ١٣٥٠ هـ

١٦ - صحيح البخاري القاهرة / طبعة محمد علي صبيح

١٧ - صحيح مسلم القاهرة / طبعة محمد علي صبيح

١٨ - طبقات ابن سعد ليدن / ١٣٢١ هـ

١٩ - طبقات خليفة دمشق / ١٩٦٦ م

٢٠ - فهرس مخطوطات الظاهرية دمشق / ١٣٦٦ هـ
- قسم التاريخ - ليوسف العش .

٢١ - لسان العرب : لابن منظور بيروت / ١٩٥٥ م

٢٢ - النجوم الزاهرة : لابن تغري بردي القاهرة / طبعة مصورة

٢٣ - نهاية الأرب : للنويري القاهرة / طبعة مصورة

٢٤ - الوافي بالوَفَيَات : للصفدي طهران / طبعة مصورة

٢٥ - وَفيات الأعيان : لابن خلّكان القاهرة / ١٩٤٨ م

* * *

ارجوزة في العروض

لمؤلف مجهول

الدكتورة بهيجة باقر الحسني

كان الشِّعْرُ ديوانَ العربِ ، وترجمانَ الأدبِ ، نالتْ به العربُ ما لمْ تنلْ بسيوفِها ، وتقدَّمَ بسببِهِ مشروفُها على شريفِها . ولتأثيره هذا ، ومكانتِهِ في قلوبِهِم أقامَ رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — حسَّانَ بن ثابت عنها وعن الإسلامِ مُدافعاً فقال : « اهجُهُم ومعك جبريل[1] . اللَّهُمَّ أيِّدْهُ بروحِ القُدسِ »

وما قالوا النبيّ — صلى الله عليه وسلم — : « شاعرٌ » ليذمُّوه بذلك في ادِّعائهم ، ولكن ليكونَ كبعضِ شعرائهم . فلقد ظنَّتْ قريشٌ وحسبت القرآن الكريمَ — المعجز ببيانه — من قبيل الأشعار ، ولكن هناكَ مَنْ علتْ في الفصاحةِ والبلاغةِ رتبتُه كعتبة بن الوليد فإنَّه قال عندما سمعَ القرآن الكريم :

(١) (جبريل) : عَلَمُ مَلَكٍ ممنوع من الصَّرف للعلمية والعُجمة والتركيب المزجي . قال الشهاب : سرياني ، وقيل : عبراني ، ومعناه : عبدالله أو عبدالرحمن . أو عبدالعزيز . وله أربع عشرة لغة ، الأولى : جبريل بالكسر ، أشهر وأفصح القراءات وهي لغة الحجاز . قال حسَّان :

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ورو حُ القدس ليس له كفاءُ

انظر تاج العروس مادة « جبر » .

« إنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطُلاوة ، وإنَّ أعلاه لمُثمِر ، وإنَّ أسفَلَه لمغدق ، وما يقولُ هذا بشرٌ . واللهِ ! ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزٍ ولا بقصيدٍ مني . والله ! ما يشبه الذي يقولُ شيئاً منه هذا ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنَّه ليحطم ما تحته . واللهِ ! ما هو بالشِّعر ولا السحر ولا الكهانة »[1].

فكان من جملةِ حراسة الله تعالى للقرآن الكريم أن أَلْهَم الخليلَ بن أحمد الفراهيدي (ولد بالبصرة سنة ١٠٠ هـ / ٧١٨ م — وتوفي فيها يقال في سنة ١٧٠ / ٧٨٦) طريقاً أفضتْ إلى حصرِ أجناسِ الشعر وأنواعهِ مع تشعُّبه واتّساعه ، فتميَّز حتّى صارَ منظوراً ، وعُرِف مستعملُه ومتروكُهُ ، وتامُّهُ ومشطورُه ومنهوكُهُ .

فليستْ إذن فائدة العروض باليسيرة . وفائدةٌ أخرى يُؤديها وهي حراسةُ نسبِ الشعر عن مخالطةِ الدعيّ ، وممازجةِ الغريب الأجنبي . وفائدةٌ ثالثة ، وهي أن الشّاعر بهذا الميزان يميّزُ الأجناسَ ، فلا يخفى عليه الشبيهان بوجهٍ من الالتباس .

لقد حَصَرَ الخليلُ أجناسَ الشِّعر في خمس دوائر ، استخرج منها خمسة عشر بحراً[2] .

---

(١) مخطوطة إذهاب العروض بإذهاب الغموض ، ورقة : ٨٩ .

(٢) جاء في الإرشاد الشافي ص ١٠٧ : « إن عدم ذكر الخليل بحر المتدارك قيل : لأنه لم يبلغه . وقيل : لأنه مخالف لأصوله بدخول التشعيث أو القطع في حشوه ، وهما مختصان بالأعاريض والضرب . واختلف : هل منعه أصلاً أو سكت عنه لكونه مخالفاً لأصوله ؟ فقيل : لا أثبته ولا أمنعه » .

وخمسة عشر بحراً دون ما متدا ـــ رك وما عدّه الخليلُ بل عدلا

جاء الأخفش الأوسط (أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى ٢١٥هـ) فزاد بحراً سماه « المتدارك » أو « المحدث » أو « الركض » . واستدرك على الخليل بزيادة عروضٍ ثالثة مجزوءة مقطوفة ، وضربها مثلها في بحر الوافر. كما لم يعد مشطور الرّجزِ ومنهوكه شعراً .

ثمّ استدركَ بعدَ الأخفش أبو العبّاس المبرّد (٢١٠ — ٢٨٥) ، وأبو إسحاق الزّجّاج (المتوفّى ٣٠٠/٩٢٣) وأبو عمر صالح بن اسحاق الجرمي (المتوفى ٢٢٥/٨٣٩) ، وأبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري (المتوفى ٣٩٣/١٠٠٣) ، ولكن جميع استدراكاتهم تتصلُ بطائفةٍ من المصطلحات العَروضية ، وبمخالفة الخليل في بعض « الأفاعيل والتفاعيل[١] » .

ولقد شاءت المصادفة أنْ أتصفحَ نسخةَ خطّيةً لكتاب « مفتاح العلوم » للسكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) في مكتبة[٢] « Chester Beatty Library »

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق القيرواني : ١/٨٨ . وسماها ابن عبد ربه في العقد الفريد ٥/٤٣٢ بـ « الفواصل » ونظمها بالأبيات التالية :

هـذي التي بهـا يقول المنشد ـــ في كل مايرجز أو يقصـد
كلّ عروض يعتزى إليهـا ـــ وإنمـا مَـدارُهُ عليهـا
منها خماسيانِ في الهجاءِ ـــ وغيرُها مسبّعُ البنـاءِ
يدخلُها النقصانُ بالزّحاف ـــ في الحشو والعروض والقوافي
وإنمـا تَدْخلُ في الأسبابِ ـــ لأنّهـا تعرفُ باضطراب

(٢) تحت رقم (Ms . 5046) الأرجوزة تقع بين (١٧٤ — ١٧٦) .

في « دبلن » فاستوقفتني الأرجوزةُ العروضيةُ الآتيـة في آخر المخطوطة ، في وقتٍ كنتُ معنيةً بعلم العروض إذْ كنتُ أحقِّقُ « القسطاس المستقيم في علم العروض[1] » للزمخشري (٤٦٧/١٠٧٥ — ٥٣٨/١١٤٤) فاستنسختُها بالرغم من أن اسم ناظمها مجهول ، وكذلك تاريخ نسخها واسم ناسخها .

وعدتُ إلى بغداد فعرضتُهـا على أساتذة العروض الأفاضل : الأستاذ كمال إبراهيم ، والدكتور صفاء خلوصي ، والدكتور إبراهيم الوائلي ، والدكتور محمد بدوي المختوم ، والأستاذ عبد الحميد الراضي ، والأستاذ علي عبّاس ، لأتبيَّن ما إذا كانوا قـد اطَّلعوا عليها لنهتدي إلى اسمِ ناظمها ، وتاريخ النظم . فأجابوا جميعاً بالنفي ، ولكنني آثرتُ نشرَها مع بعضِ التعليقات والشروح عسى أنْ يستفيدَ منها القارىء .

« الأُرجوزة »

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن   لوزنِ طويل الشِّعر فاحفظْهُ واذْكُرِ
ومستفعلن يتلوه من بعد فاعلن   لوزنِ بسيطٍ فاحتفظْ وتذكَّرِ
ومن فاعلاتن فاعلن لمديده   وِزانٌ فأَنْعِمْ حِفْظَهُ وتدبَّرْ[2]

(١) طبع في مطبعة النعمان في النجف الأشرف سنة ١٩٧٠

(٢) جاء في الفصول والغـايات لأبي العلاء المعري : ٢١١/١ ماياتي :
« والمديدُ والطويلُ والبسيطُ تجمَعُهنّ دائرة واحدة . والبسيطُ والطويلُ ليس في الشّعْر أشرف منها وزناً ، وعليها جُمْهُورُ شعر العَرَب . =

« منها »

فوافِرُهُ مفاعلتن وكاملُهُ بمعكوسِهْ
وفي هزج مفاعيلن وذا رجزٍ[1] لمنكوسِهْ
وإنْ وتدٌ توسَّطه أتى رَملٌ على سُوسِهْ

. . .

مستفعلن بين فاعلاتن وزنٌ لبحرِ الخفيفِ فاعلمْ
ووزنُ مجتثهِ صحيحٌ إن كان مستفعلن يقدَّمْ

= وإذا اعترضتَ الدّيوان من دواوين الفُحُول كان أكثر ما فيه طويلاً وبسيطاً ، والمديدُ وزنٌ ضعيفٌ لايوجدُ في أكثر دَواوين الفحول . والطبقة الأولى ليس في ديوان أحد منهم مديدٌ ؛ أعني امرأ القيس وزهيراً والنابغة والأعشى في بعض الرّوايات » .

(١) بحره : « مستفعلن مستفعلن مستفعلن » مرتين .

لقد صوّر المعري نظرة الناس إلى الرّجز في رسالة الغفران ص ٢٩٧ : إذ يمرُ صاحبهم ابن القارح « بأبيات ليس لها سموقُ (العلو والارتفاع) أبيات الجنة ، فيسأل عنها فيقال : هذه جنة الرجز ، يكون فيها : أغلب بني عجل ، والعجّاج ، ورؤبة ، وأبو النجم ، وحميد الأرقط . . . فيقول : تبارك العزيز الوهاب ! لقد صدق الحديث المروي : « إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها » .

وإن الرّجزَ لمن سفساف القريض ، قصرتم أيها النفر فقصر بكم » . وذكر أيضاً في كتابه الفصول والغايات ص ٣١٩ : « والرّجزُ أخفض طبقة من الشعر حتى يروى عن الفرزدق أنه قال : « إني لأرى طرقة الرّجز ، ولكني أدفعُ نفسي عنه » .

« ومنها »

مستفعلن مفعولات مستفعلن منسرحٌ فاحفَظَنْ موصَّلَهُ
مضارعٌ وزنه مفاعيلن وفاعلاتن فرُدٌ أوَّلَهُ

• • •

وَبعد مفعولات مستفعلن مقتضبٌ لاشك في أصلِهِ
وَلو أتى من بعدها ساكناً فهو سريعٌ وهو من شكلِهِ
ومن فعولن بحرٌ متقاربٌ[1] ومحدثٌ من فاعلن كلِّهِ

« الاعتلالات »[2]

الخبنُ[3] : أن يُسقَطَ ثانٍ ساكنٌ والطيُّ[4] : أن تحذِفَ ذاكَ رابعا

(١) جاء في الهامش (لتقارب حروفه . وقيل: لتقارب أوتاده من أسبابه).

(٢) نظمها علي بن محمد السّخاوي (٥٥٨ — ٦٤٣) في كتابه « أذهاب العروض في إذهاب الغموض » :

زحاف الشعر إضمارٌ ووقص وخبنٌ ثم طيٌ ثم عَصْبُ
وعقلٌ ثمّ قبضٌ ثمّ كفٌ ثمانيةٌ تضيءُ وليس تخبو

(٣) هو إسقاطُ ثاني الجزء الذي لم يزل ساكناً وهو الثاني من « فاعلاتن » و « فاعلن » و « مُستفعلن » و « مفعولات » . ويقع في تسعة أبحر في المديد والبسيط والرّجز والرمل والسريع والمنسرح والخفيف والمقتضب والمجتث .

(٤) هو إسقاط الرابع الذي لم يزل ساكناً ، وهو في « مستفعلن » وفي « مفعولات » ويقع في البسيط والرّجز والسريع والمنسرح والمقتضب .

والقبضُ(١) : أنْ تُلقيَ ذاك خامساً ... والكفُّ(٢) إسقاطُكَ ذاكَ سابعا
والخبلُ(٣) : خبنٌ ثمَّ طيٌّ بعده ... والشكلُ(٤) : خبنٌ ثمَّ كفٌ واقعا

« فصل »

إذا أسكنوا الثاني فذاك مُضْمَرٌ(٥) ... فإنْ خبنوه بَعْدَ ذا فهو مَوْقُوصٌ(٦)
وَعَصَبُكَ(٧) : تسكينُ الخامسِ حرْفهِ ... فإنْ كُفَّ في مَعْصُوبِهِ فهو منقوصٌ(٨)

(١) هو إسقاط الخامس الساكن ، ويختص في الخماسي « فعولن » ومن السباعي « مفاعيلن » ويقع في الطويل والهزج والمضارع والمتقارب .

(٢) هو إسقاط السابع الساكن ، ويختص بـ « مفاعيلن » و « فاعلاتن » و « مستفعلن » ويقع في الطويل والمديد والوافر والهزج والرمل والخفيف والمضارع والمجتث .

(٣) هو اجتماع الخبن والطي ، وهو في البسيط والرجز والسريع والمنسرح .

(٤) هو اجتماع الخبن والكف ، ويقع في المديد والرمل والخفيف والمجتث .

(٥) هو إسكان الثاني من « متفاعلن » خاصة ، ويختص بالكامل ، وهو فيه لازم وجائز .

فالازم في الضرب الثالث كقوله :

لمن الديارُ برامتين فعاقلٍ ... درست وغيّر آيها القطرُ

فهذا أحذّ مضمر . والجائز فيما سوى ذلك كقول عنترة بن شدّاد :

إني امرؤ من خيرِ عبس منصباً ... شطري وأحمي سائري بالمنصل

صار « متفاعلن » في جميعه « مستفعلن » .

(٦) هو إسقاط الثاني الساكن بالإضمار ولا يقع الا في الكامل أيضاً .

(٧) هو إسكان الخامس من « مفاعلتن » ويختص بالوافر .

(٨) هو اجتماع الكفّ والعصْب ويختص بالوافر أيضاً .

وإن طويَ الإضمار فالجزْلُ (١) رسمُه

وقبضُك بعْدَ العَصْبِ بالعَقْلِ (٢) مخصوص

« فصل »

وهاك اعتلالات الفصول فَعدَّها وكلٌ له آسمٌ في الصناعةِ معروفُ

وإنْ أسقطوا من آخر الجزءِ عندها

خفيفاً من الأسبابِ فالجزءُ محذوفُ (٣)

(١) (الجزل) يُروى عن الزّجّاج بالحاء . وقال غيرُهُ هو الجَزْل بالجيم ومعناه القطع . وهو سُقوطُ فاء « مُستَفعِلُن » في الكامل فيُحوَّلُ إلى « مُفتَعِلُن » . وقد وضع الخليل لذلك بيتاً مصنوعاً لأنه جاء بالجَزْلِ في ستّةِ مواضعَ ، وهذا ما لا يُعرَفُ ، والبيت الذي وضعه :

مَنزِلةٌ صمَّ صداها وَعفَتْ خاليةٌ إنْ سئِلَتْ لم تُجبِ

فهذا مثلُ الرَّجز إذا لَحِقَهُ الطَّيُّ . وإنما يُعرفُ الجَزْلُ في شعر العرَبِ لجُزْءٍ مُفردٍ في البيت ، كما قال تأبَّط شرّاً في قصيدته التي أوّلها :

يانارُ شُبَّتْ فارتَفَعتُ لِضَوئِها بالجزعِ مِنْ أفياد أو مِنْ مَوْعِلِ

حَيثُ التقتْ فهمٌ وَبكرٌ كلُّها والدَّمُ يجري بَينَهُمْ كالجدولِ

« الفصول والغايات : ٣١٨/١ »

(٢) هو حذفُ الساكن الذي سُكِّنَ بالعَصْبِ .

(٣) (الحذفُ) : هو إسقاطُ سببٍ خفيفٍ من آخر الجزء في الضرب والعروضِ ، ويكونُ في الطويل والمديد والهزج والرمل والخفيف والمتقارب.

وإنْ حذفوا هذا الخفيفَ وقبلَهُ ثقيلٌ ففي تسكين ثانيه مقطوفُ [١]
وإنْ حذفوا الحرفَ المحرَّكَ آخراً من الوتد المفروق [٢] فالجزء مكسوف [٣]
وإسكانُ ما قبل الذي هو ساكنٌ فذلك قطعٌ [٤] للذي هو مكفوفُ
وإسقاطه رأساً أحذّ [٥] وكلّه لخمس جهاتٍ في الأعاريض موصوفُ

(١) (القطْفُ) : هو حذف سببٍ خفيفٍ من آخر « مفاعلتن » في الضرب والعروض ، وإسكان ثاني السبب الثقيل قبله فيصير « مُفاعَلْ » بإسكان اللام فيُردّ إلى « فعُولن » وذلك في الوافر خاصة ، وهو واجبٌ فيه في غير المجزوء ، وبيته :

لنا غنمٌ نُسوّقُها غِزارٌ كأنّ قرون جِلّتها العصيُّ

وإنما وجب فيه لقوته بتقدّم وتده على سبَبَيْه ، ولأنّ الأوّلَ من سببهِ ثقيلٌ فلمّا كثرتْ فيه الحركات حذفوا السبب الأخير ، وسكنوا السبب الذي قبله ، فاحتمل ما بقي أن يكون ضرباً تاماً ، فلذلك قطف . وليس في العروض قطفٌ إلا هذا وحده .

(٢) (الوتد المفروق) : هو متحركان بينهما ساكن .

(٣) (الكسفُ) ، بالسين المهملة : هو اجتماعُ الطيّ والوقف ، وذلك في السريع خاصة .

(٤) (القطْعُ) : هو في الأوتاد نظيرُ القصر في الأسباب ، وهو حذفُ الساكن من آخر الوتد المجموع ، وإسكان المتحرك قبله في الضرب والعروض ، ويقعُ في البسيط والكامل والرّجز .

(٥) (الحذّ) : هو إسقاطُ الوتد المجموع من « متفاعلن » في الضرب ، ويختصُّ بالكامل ، وبيته :

لمن الدّيارُ محــا معالمَها هطْلٌ أجشُّ ، وبارحٌ ترِبُ

وقد تشرك الغايات فيه فصولها فتُسمى بما تُسمىٰ به وهو مألوفُ

« فصل »

وَمَا كانَ بالغاياتِ يختصُ بابُها فخمسٌ وَكلٌ في الصناعةِ مشهورُ

إذا سببٌ أسقطت حرف سكونه
وأسكنتَ من باقيه فالحرفُ مقصورُ(١)

وَحذْفكهُ رأساً وَمنْ بعد قطعِهِ
فأبتر إجماعاً ، وقد قيل : مَبتُورُ(٢)

وموقوفه : تسكينُ آخر حرفه من الوتد المفروق، والوقفُ مأثورُ(٣)

(١) (القَصْر) :هو إسقاطُ زنة متحرك من السبب الخفيف في « فاعلاتن » ضرباً وعروضاً وفي «فعولن» ، ويكون في المديد والرمل والخفيف والمتقارب.

(٢) هو اجتماعُ الحذف والقطع في المديد والمتقارب . أما في المديدفبيته :

إنما الذلفاءُ ياقوتةٌ أُخرجت من كيسِ دهقانِ

ضربُه أبتر وهو «فعْلن» وأصله «فاعلاتن» فحُذِفَ فصار « فاعلا » فخلفه « فاعلن » ، ثمّ قُطِعَ فصار « فاعلْ » فخلفَه «فعْلُن » . قال الأخفش في هذا البيت : « إنّه مُحدث ، ولا يجوزُ مثله لأنّه لم يجىء » . وقد ذكره الخليل وألحقه بالأبيات الصحاح . وأمّا البتر في المتقارب فبيتهُ :

خليليَّ عوجا على رسمِ دارٍ خلتْ من سُليمى ومن ميّهْ

حُذِفَ « فعولن » في الضرب فصار « فعُو » ، وقُطِعَ بحذف الواو وإسكان العين فصارَ « فعْ» فسُمّي « أبتر » .

(٣) هو إسكان آخر الوتد المفروق ، أو هو إسكان السابع المتحرك ، وهو في « مفعولات » ويقع في السريع والمنسرح .

وَإنْ حُـذِفَ المفروقُ رأساً بأسره
فأصلمُ(١) ، والتشعيث(٢) من بعدُ مذكورُ

هو الوتـدُ المجموعُ كانَ موسطاً
فأسقط حرفٌ منه والكلُّ محصورُ(٣)

---

(١) هو إسقاطُ الوتدِ المفروق من الضرب في السريع ، وبيتُه :

قالت ولم تقصد لقيل الخنا مهلًا لقد أبلغت أسماعي

(٢) هو سقوطُ أحد متحركي الوتد المجموع ، ويختصّ بالخفيف ، وهو في « فاعلاتن » جائز إذا كان ضرباً خاصة فيصير « فاعاتن » أو « فالاتن » فيخلفه « مفعولن » كقول الشاعر :

فاذهبي ما إليك أدركني الحلـــــم عداني عن وصلكم أشغالي

(٣) نظمها ابن عبد ربه في أرجوزته : ٥/٤٣١ :

وبعد ذا الأسبابُ والأوتادُ فإنهـــا لقولنا عِمادُ
فالسبب الخفيف إذ يُعدُّ محرك وساكن لايعدو
والسبب الثقيل في التبيين حركتان غير ذي تنوين
والوتدُ المفروق والمجموعُ كلاهما في حشوه ممنوعُ
وإنمـــا اعتلّ من الأجزاء في الفصل والغائي والابتداء
فالوتد المجموعُ منها فافهمن حركتان قبل حرف قد سكن
والوتد المفروق من هذينِ مُسكنٌ بين محرّكَيْنِ
فهذه الأوتاد والأسباب لهـــا ثبات ولها ذهابُ .

« فصل »

فعولن إذا خرَّمتَهُ[١] فهو أثلم[٢] فإنْ قبضوا مثلومَهُ فهو أثرم[٣]
مفاعلتن: إن خُرِّمتْ فهو أعضبُ[٤] وأعضبُ في المعصوبِ لاشك أقصم[٥]

---

(١) هو سقوط أول الوتد المجموع في أوّل البيت، ويقعُ في الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب ، وتختلف أسماؤه باختلافِ مواضعِهِ ، وعلى حسب مايجتمع معه .

جاء في أرجوزة ابن عبد ربه : ٤٣٤/٥ :

والخرم في أوائل الأبياتِ يُعرفُ بالأسماء والصفاتِ
نقصان حرف من أوائل العددْ في كلّ ما شطر يُفكّ من وَتدْ
خمسة أشطارٍ من الشطورِ يُخرمُ منها أوّلُ الصدورِ

(٢) هو « فعولن » في الطويل والمتقارب ، فإذا خُرِم صار « عولن » فيخلفه « فَعْلُن » كقوله في الطويل :

قوموا بني الفضل بثأر أبيكُمُ فإنّ أخا الحرب يقوم على ساقِ

وكقوله في المتقارب :

لاتعجلنّ هداك المليكُ فإنّ لكلّ مقامٍ مقالا

(٣) هو اجتماعُ الخرْمِ والقبض وذلك في « فعولن » ، ويقع في الطويل والمتقارب .

(٤) (العضب) : ويختصُّ بالوافر وهو في « مفاعلتن » ، فإذا خُرم صار « فاعلتن » فيخلفه « مفتعلن » ، وبيته :

إن نزلَ الشتاءُ بدارِ قومٍ تجنّبَ جارَ بيتهم الشتاءُ

(٥) هو اجتماعُ العَصْب والعضب وذلك في الوافر بخاصة .

وأقصمُ: إما كُفَّ سُمي أعقصا[١] وخرمُ مفاعيلن هو الحقُّ أخْرَمُ[٢]
فإنْ كُفَّ في المخرومِ منه فأخربٌ[٣] وخرمٌ فقبضٌ أشترٌ[٤] منهمُ
إذا كان خرمٌ بعد عقلٍ فرسمُه أجمُّ[٥]، وبابُ الخرمِ قد تمّ فاعلموا

« فصل »

إذا زادَ حرفٌ ساكنٌ بعد ساكن على وتدٍ فهو المُذالُ المُذيَّلُ[٦]
وإنْ زِيدَ في أسبابِهِ فهو مُشْبعٌ وقد قيل فيه: مسبغٌ[٧] أو مطوَّلُ

(١) (العقصُ): هو اجتماعُ الخرمِ والنقصِ. والنقص: اجتماعُ العَصْبِ والكفِّ. والعقصُ والنقصُ مختصان بالوافر.

(٢) هو «مفاعيلن» في الهزج بخاصة كقوله:

أدّوا ما استعاروه كذاك العيش عاريةْ

(٣) هو اجتماعُ الخرمِ والكفِّ في الهزج والمضارع.

(٤) هو اجتماع الخَرْم والقَبْض ويقع في الهزج.

(٥) هو اجتماع الخَرم والعقل وذلك في الوافر، وبيته:

أنت خيرُ منْ ركبَ المطايا وأكرمهم أباً وأخاً ونفسا

(٦) هو زيادةُ ساكن على وتدٍ مجموع في آخر الضرب، وهو في البسيط وبيته:

غدا مقامي قريباً من أخي كلُّ امرىء قائمٌ مع أخيهْ

وفي الكامل وبيته:

جدثٌ يكونُ مقامُه أبداً بمختلف الرّياحْ

(٧) (التسبيغ): هو زيادة ساكن على السبب الخفيف في «فاعلاتن» في الرمل، وذلك في الضرب الرابع المجزوء، وبيته:

ياخليليَّ اربعا واستخبرا رسماً بعسفانْ

وَإنْ زِيدَ فيه آخراً سببٌ على ... مُوَتَّده فالضربُ فيه مُرَفَّلُ[١]

وَإنْ جاءَ ضربٌ زائدٌ عن عروضِهِ ... على الأصلِ فالتتميمُ فيه موصَّلُ

« فصل »

هو الموفورُ ما لا خرم فيه ... وسالِمُهُ السليمُ من الزّحافِ

وجائيه على أصلٍ تمامٌ ... بلا عللٍ عَرَضْن ولا انكشافِ

وما لحق اعتلالٌ منه ضرباً ... وفصلاً فهو وافي الأصلِ وافِ

وما سلم العروضُ عن اعتلالٍ ... وأضربُه الصحيح بلا خلافِ

وجزءٌ لم يرد فيه الذي قَدْ ... يُزادُ فذا مُعَرَّى[٢] فهو كافِ

وما قد صحّ من عجزٍ وصدرٍ ... بريءٌ فادع واقنعْ بالكفافِ

وفي المنقوص مجزوءٌ كثيرٌ ... ومنهوكٌ وشطرٌ بانتصافِ

وإن زيدتْ بأوّلهِ حروفٌ ... فذا[٣] خزمٌ لذي أصل القوافي

انتهت بعونه تعالى

(١) (الترفيل) : هو زيادة سبب خفيف على الوتد المجموع في « متفاعلن » وذلك في الكامل ، في الضرب السادس المجزوء منه ، وبيته :

وردت عليَّ بهـا الهمو ... مُ لكلّ واردةٍ مَصَادِرْ

(٢) (المعرى) : هو الذي لم تلحق آخر الضرب زيادة ليست منه .

(٣) (الخزم) : بالزاي المعجمة ، هو زيادة على وزن البيت في أوله ، وأول نصفه عند الأخفش . وليست تلك الزيادة من الوزن ولا هي مما يُعتدُّ به . ولم يذكر الخليل الخزم لأن هذا ليس من الشعر ولا هو داخل في العروض . =

. . . . . .

= وأنشد الأخفش [من الرمل] :

كلما رابك مني رائب [و] يعلمُ الجاهلُ مني ماعلم

استشهاداً على الخزم في أول نصف البيت الثاني .

ومن الخزم قولهم :

[و] إذا أنت جازيتَ امرءاً سوء فعله
أتيت من الأخلاق ماليس راضيا

وجاء الخزم بحرفين ، كقوله :

[قد] فاتني اليوم من حديـ ثك ما لست مدركهْ

وجاء الخزم بثلاثة أحرف ، كقوله :

[إذا] خدرتْ رجلي تَذكرتُك يا فوز كما يذهب الخـــدرُ

وجاء بأربعة أحرف كقول الإمام علي – رضي الله عنه – :

[اشدد] حيازيمك للموتِ فإنّ الموت لاقيـكا
ولا تجزعْ من الموتِ إذا حـــلّ بناديـكا

قال المبرد في الكامل : ١٢٨/٢ :

« والشعرُ إنما يصحُّ بأن تحذف « اشدد » فتقول :

حيازيمَك للموتِ فإنّ الموتَ لاقيكا

وقال ابن رشيق القيرواني في العمدة : ١٤١/١ :

« وليس الخزم عندهم بعيب ، لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يُفسد المعنى ، ولا أخلّ به ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف » .

بغداد : كلية الآداب بهيجة باقر الحسني

المصادر

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – لياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوث ، طبع في مصر سنة ١٩٢٥ .

الإقناع في العَروض وتخريج القوافي – للصاحب بن عباد، تحقيق الشيخ آل ياسين طبعة بغداد ١٣٧٩

أذهاب العروض في إذهاب الغموض – للسخاوي، مخطوطة في مكتبة السليمانية استانبول (رئيس الكتاب ٩٩٠)

الإرشاد الشافي – للدمنهوري ، طبعة أولى .

الأعلام – لخير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ١٩٥٤ – ١٩٥٩ .

بغية الوعاة – للسيوطي ، طبعة أولى سنة ١٣٢٦ هجرية بمصر .

تاج العروس – لمحمد مرتضى الحسيني، مطبعة الخيرية في القاهرة سنة ١٣٠٦هجرية

شرح تحفة الخليل – للأستاذ عبدالحميد الراضي، مطبعة العاني في بغداد سنة ١٩٦٩

العمدة – لابن رشيق القيرواني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٧ م .

فن التقطيع الشعري والقافية – للدكتور صفاء خلوصي ، الطبعة الثالثة في بيروت سنة ١٩٦٦ م .

الفصول والغايات – للمعري ، تحقيق محمود حسن زناتي ، طبعة بيروت ١٩٦٤ .

الفهرست – لابن النديم . المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٤٨ هجرية .

الفوائد الألوسية على الرسالة الأندلسية – سعد الدين الألوسي مخطوطة في مكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٥٦٦٥).

القسطاس المستقيم في علم العروض – للزمخشري ، تحقيق الدكتورة بهيجة الحسني ، طبع في النجف سنة ١٩٧٠ .

تعقيب على أرجوزة في العروض (١)

بقلم الأستاذ راتب النفاخ

١ – تسمية هـذا النص « أرجوزة » لا تصح ؛ فإنه ليس من الأراجيز في شيء . وكان الأولى أن يدعى «منظومة» فإن الأراجيز إنما تكون من مشطور الرجز، أو مشطور السريع،وقد تكون من منهوك الرجز، أو منهوك المنسرح. وهـذه المنظومة بنيت على أبحر شتى ، فيها الطويل ، ومجزوء الوافر ، ومخلع البسيط ، والمنسرح ، والسريع ، والرجز التام ، والوافر التام .

٢ – مانسبته المحققة ، ص : ٨٤٧ – ٨٤٨ إلى الوليـد بن عتبة من كلام في القرآن (نقلاً عن مخطوط : إذهاب العروض في إذهاب الغموض) المشهور أنه من كلام عدو الله الوليـد بن المغيرة ، وله روايات شتى . انظر سيرة ابن هشام ٢٧٠/١ (ط . الحلبي الثانية) وتفسير القرطبي ٧٢/١٩ – ٧٣ .

٣ – جاء البيت الأول من المنظومة على هذه الصورة :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن   لوزن طويل الشعر فاحفظه واذكر

وكان الأولى أن تجعل عروضه « مفاعلن » فإن عروض الطويل لا تكون إلا مقبوضة ، وأمثـال هذا الضابط لا ينظر فيها إلى أصل الجزء . ويعزز ذلك أن ضرب البيت مقبوض .

(١) نظر الاستاذ راتب النفاخ في المقال السابق « أرجوزة في العروض » وسجل الملاحظات التالية . والمجلة تشكر له ذلك .

٤ – جاء ص : ٨٥١ ضابط الهزج والرجز كما يلي :

وفي هزج مفاعيلن وذا رجز لمنكوسهْ

ولم يتجه لي النصب في « ذا رجز » ولعل الصواب « وذو رجز » .

٥ – جاء ص : ٨٥٢ ضابط المتقارب والمحدث كما يلي :

ومن فعولن بحرٌ متقارب ومحدث من فاعلن كلّه

وصدر البيت – وهو من السريع – لا يتزن على هذا الضبط . والظاهر أن صواب ضبطه « ... بحرُ متْقاربٍ » بإسكان التاء من « متقارب » وإضافة « بحر » إليه . ثم إن الجر في « كله » لم يتضح لي فيه وجه ، والظاهر أن صاحب المنظومة أقوى فيه ، وهو من فاحش الإقواء لمكان هاء الصلة .

٦ – عرّفت المحققة ص : ٨٥٣ ، التعليق : ٦ « الوقص » بقولها : « هو إسقاط الثاني الساكن بالإضمار ... » ثم عرفت ص : ٨٥٤ ، التعليق : ٢ « العقل » بقولها : « هو حذف الساكن الذي سكن بالعصب » . وهو موافق لمذهب صاحب المنظومة . وكان يحسن أن تشير إلى أن المشهور من مذاهب العروضيين أن الوقص حذف الثاني المتحرك ، وأن العقل حذف الخامس المتحرك من غير ما تقدير للإسكان فيهما أو لا . وانظر في المسألة العيون الغامزة ، ص : ٢٩ .

٧ – جاء ص : ٨٥٥ التعليق : ١ في تعريف المحققة لـ « القطف » – : « ... فلما كثرت فيه الحركات حذفوا السبب الأخير وسكنوا السبب الذي قبله » . والصواب « ... وسكنوا ثاني السبب الذي قبله » كما جاء في كلامها قبل أسطر .

٨ – عرفت المحققة « الكسف » ص : ٨٥٥ التعليق : ٣ بقولها : « الكسف ، بالسين المهملة : هو اجتماع الطي والوقف ، وذلك في السريع خاصة » . وهو خلاف قول صاحب المنظومة الذي شرحته بقولها هذا ، وذلك أنه قال :

وإن حذفوا الحرف المحرك آخراً من الوتد المفروق فالجزء مكسوف

ف « الكسف » حذف المتحرك الأخير من الوتد المفروق ، فتؤول « مفعولاتُ » إلى « مفعولا » وتنقل إلى « مفعولن » . وهذا هو المعروف عند أصحاب هذا العلم . ومنهم من يقول : « الكشف » بالشين المعجمة .

٩ – قال صاحب المنظومة ، ص : ٨٥٦ بعد تعداده العلل :

وقد تشرك الغايات فيه فصولها فتسمى بما تسمى به وهو مألوف

وكان يحسن أن يشرح المعني بـ « الفصل » و « الغاية » . والفصل : هو ما اعتل من الأعاريض ، والغاية : ما اعتل من الضروب . انظر العقد ٥/٤٢٨ ، والعمدة ١/١٤٥ . والمعيار في أوزان الأشعار ، ص : ٢٦ .

١٠ – جاء ص : ٨٥٦ :

إذا سبب أسقطت حرف سكونه وأسكنت من باقيه فالحرف مقصور

وأظن لفظ « فالحرف » تصحيفاً صوابه : « فالجزء ... » كما قال ، ص : ٨٥٥ :

وإن حذفوا الحرف المحرك آخراً من الوتد المفروق فالجزء مكسوف

١١ – جاء عقب البيت السابق أيضاً :

وحذفكه رأساً ومن بعدِ قطعِه فأبتر إجماعاً وقد قيل : مبتور

وأظن صواب ضبطه « ... ومن بعدُ قطعُه » . يريد أن « البتر » هو حذف السبب الخفيف في آخر الجزء ، ثم قطع الوتد المجموع الذي قبله بحذف ساكنه وإسكان ما قبله ، فتؤول « فاعلاتن » إلى « فعْلن » بسكون العين ، و « فعولن » إلى « فعْ » .

١٢ - جاء في ختام الأبيات التي عدد فيها العلل ، ص : ٨٥٧ :

وإن حذف المفروق رأساً بأسره فأصلم، والتشعيث من بعدمذكور

هو الوتد المجموع كان موسطا فأسقط حرف منه والكل محصور

وعلقت المحققة على ثاني البيتين بقولها : « نظمها ابن عبد ربه في أرجوزته ٥/٤٣١ » ثم ساقت الأبيات التي ذكر فيها الأوتاد والأسباب . فالتعليق واقع في غير محله ، والبيت الذي علقت عليه بهذا إنما هو بيان للمراد بالتشعيث . ومعنى البيت أن التشعيث إسقاط حرف متحرك من الوتد المجموع الواقع في وسط الجزء ، ولا يكون ذلك إلا في « فاعلاتن » الواقع ضربا في البحر الخفيف خاصة.

التعريف والنقد

كتاب الرد الشافي الوافر

على مَن نَفَى أميّة سيد الأوائل والأواخر

تأليف

العلاّمة أحمد بن حجر آل ابن علي (ر) قاضي المحكمة الشرعية بقطر

بقلم الأستاذ محمد بهجة البيطار

القرآن الحكيم الذي أُنزل على النبيّ الأميّ العربيّ سيدنا محمد ، ذي الخُلُق العظيم ، هو الآية الإلهيـة الكبرى ، والمعجزة الإسلامية العظمى ، بل هو معجزة المعجزات ، التي أيّد الله تعالى بها أنبياءه ورسله .

وفي أول هذا الكتاب (البالغ ٢٥٠ صفحة) ذكر سيرته الشريفة العاطرة، وشمائله الرفيعة الطاهرة ، منقولة عن أصدق المصادر وأوثقها ، وليس فيها أنّه ﷺ خرج من حيّز الأميّة ، وأصبح قارئاً وكاتبـاً ، بعد أنه لم يقرأ ولم يكتب . وبعد أن انتهى من ذلك نقل للقرّاء الكرام تفسير (الأمي) من قواميس اللغة العربية المشهورة المتداولة ، ومن مؤلفات القدماء والمحدثين ، وهو أن (الأمي) مَن لم يقرأ ولم يكتب .

وقد جاء الإسلام وليس في قريش إلا سبعة عشر كاتباً ، وعدّ منهم في كتاب فجر الإسلام عُمر وعليّا ، وعثمان، وأبا عبيدة ، ويزيد بن أبي سفيان ، واستكتب الرسول منهـم ما كان ينزل من القرآن ، وكان أُبي بن كعب

الأنصاري وزيد بن ثابت من كتّاب الوحي المحمدي . وقد كان النبي ﷺ أميّاً ، وكان ذلك كمالاً في حقه ، وبالنسبة إلى مقامه الشريف ، وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن ، إذ هو صلوات الله عليه منقطع إلى ربّه ، ونحن متعاونون على الحياة الدنيا ، شأن الصنائع كلها .

وقد نقل الأستاذ المؤلف عن المؤرخ الشهير ابن خلدون أنّ الكتابة في العرب كانت أعز من بيض الأنوق ، (قال): وكفى بابن خلدون علماً واطلاعاً، وفي قول النبي: ما أنا بقارىء ـ بدخول الباء الجارّة ـ ما يفيد التقوية والتأكيد، والتقدير: لستُ بقارىء ألبتة ، وفي إعادتها ثلاث مرات نفي صريح مزيل للشك والارتياب في أمّيّته صلوات الله وسلامه عليه .

ومن الآيات الكريمة الناصّة على أمية النبي العربي قوله تعالى في سورة الأعراف (الآية ١٥٦) : « الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وقد وصف ﷺ بأنه أميّ ـ تنبيهاً على أن كمال علمه ـ مع حاله ـ أي أميته ، إحدى معجزاته ، فهو بالنسبة إليه ـ بأبي هو وأمي صفة مدح ـ وأما بالنسبة لغيره فلا .

كان ﷺ يقرأ عليهم كتاب الله منظوماً مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ، ولا تغيير كلماته ، فكان ذلك من المعجزات ، وهذا هو المراد من قوله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » فهو مع اميته قد جاء بأعلى العلوم النافعة التي بها يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم ، وآدابهم وأعمالهم . وهو الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، بحيث لا يشك أنه هو ، فقد جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر التثنية: « جاء الرب من سينا ، وأشرق لنا من ساعير، واستعلى من جبال فاران ، ومعه ألوف الأطهار ، في يمينه قبس من نار » . فمجيئه من سينا : إعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام .

وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل لعيسى عليه السلام .

واستعلاؤه من جبال فاران: إنزاله القرآن، لأنّ فاران من جبال مكة. اهـ

ومن شواهد العلاّمة ابن حجر (وهي من الحقائق التي لا تحتمل الجدل) أنّ الذين شاهدوا الرسول وأحاطوا بأحواله من صغار الأمور وكبارها ، ثم جاء من بعدهم التابعون وتابعوهم يجهرون ويعلنون للأمة أن النبي ﷺ كان لا يقرأ ولا يكتب ، ودرج من بعدهم على منوالهم أعلام الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين . ثم يأتي حضرة الأستاذ بعد أربعة عشر قرناً فيدعي أنه قد عرف من أحوال الرسول ﷺ ما لم يعرفه الصحابة الأجلاء كالخلفاء الراشدين ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب — وما لم يعرفه التابعون الأخيار ، وسائر العلماء الأبرار من عصر صاحب الرسالة حتى يومنا هذا !!!

وفي ختام هذه الكلمة نقول : « الحمد لله الذي منّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » فهدى إلى سبيل الرشاد ، وجاهد في الله حق الجهاد ، حتى ظهر دين الله وعلت كلمته ، وشملت رحمته ، وتمت نعمته ، صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأبرار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فالشكر كل الشكر للعلامة الجليل ، السلفي المحقق ، الشيخ أحمد بن حجر ، قاضي المحكمة الشرعية بقطر ، فقد ردّ مزاعم كل من تقوّل على الله ورسوله والصحابة الكرام ، ومن تبعهم باحسان ، بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين ، ردّهم الله تعالى إلى الصواب ، وزاد الأستاذ المؤلف إحساناً وتوفيقاً . وكتبه الضعيف :

محمد بهجة البيطار

البيان في غريب إعراب القرآن

لأبي البركات ابن الأنباري

تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ومراجعة الأستاذ مصطفى السقا

الناشر : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٩

بقلم الدكتور إبراهيم السامرائي

من المفيد أن يضطلع المحقق الفاضل بنشر هذا الكتاب النحوي ، ذلك أن النحو لم يحظ بعناية المحققين في عصرنا . ولعل ذلك كان بسبب أن المهم من كتب النحو العربي قد نشر . وليس هذا سبباً موجباً إلى العزوف عن نشر التراث النحوي .

لقد عني الدكتور طه عبدالحميد طه بنشر « البيان في غريب إعراب القرآن » لابن الانباري وتحقيقه فجاء عمله مفيداً استحق الشكر والثناء .

وقد بدا لي أن أنبه على شيء في هذا الكتاب وفي عمل الأستاذ المحقق، وهي مسائل طفيفة لا تغض من قيمة هذا العمل الكبير ، ولقد قيل : لا تعدم الحسناء ذاما .

١ – أقول : جاء في الصفحة (٥) من المقدمة : ودفن يوم الجمعة بباب أبرز . وقد علق الأستاذ المحقق الفاضل على « أبرز » في الحاشية (٣) بقوله « اسم المقبرة التي دفن فيها (باب أبرز) هي إحدى مقابر بغداد » .

أقول : باب أبرز ليس مقبرة من مقابر بغداد بل هي محلة من محالّ بغداد في عصر المؤلف وقبله وبعده . وهذا معروف لكل من يعرف خطط بغداد العباسية . وأظن أن الذي أوقع المحقق في هذا الوهم قول القفطي في « الإنباه »

١٧١/٢ : « ودفن يوم الجمعة بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي » وليس في هذا القول مايشعر أن « باب أبرز » مقبرة .

٢ – ثم يكتب المحقق في هذه المقدمة في الصفحة عينها « حياته » .

أقول : كان الأولى بالمحقق وهو يحقق كتاباً من كتب التراث النحوي أن يستعمل الكلمة التي استعملها القدماء وهي « السيرة » لا « الحياة » التي جاءت إلى العربية ترجمة للكلمة الأعجمية « Vie » الفرنسية أو « Life » الإنكليزية . على انه لاضير من استعمال « الحياة » بمعنى السيرة في لغتنا الحديثة.

٣ – وجاء في الصفحة (٦) : « المسائل الخرسانية » وهو اسم كتاب من مصنفات ابن الأنباري .

أقول : والذي جاء في كتاب « الوافي » للصفدي (انظر هامش ١ في٢/١٧٠ إنباه الرواة) أن الكتاب « رتبة الإنسانية في المسائل الخراسانية » لاالمسائل « الخرسانية » كذا .

٤ – وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على « تاريخ الأنبار » من كتب المصنف قوله : « فإذا قيّض لهذا الكتاب أن يظهر ، فإني أعتقد أنه سوف يلقي ضوءاً على حياة رجلنا وغيره من الرجال الذين ينتسبون لهذا البلد » .

أقول وأكرر مقالتي المتقدمة : إن الكتاب من كتب التراث اللغوي القديم ، وعلى هذا ينبغي أن يلبس هذا الكتاب من الحلة ما هو جدير به ، أعني أن تكتب المقدمة بلغة سليمة قوية بعيدة عن الفصيحة الدارجة المستعملة في عصرنا لأن الكتاب للمختصين وليس لعامة القراء ، وعلى هذا فلا أرى حاجة لاستعمال المحقق « إنه سوف يلقي ضوءاً على حياة « رجلنا » إن استعمال « رجلنا » تنأى عن اللغة الفصيحة . ألا ترى أنها ترجمة من لغة أعجمية كالفرنسية مثلًا Notre homme ثم إن إلقاء الضوء على حياة . . . » من المجازات المولدة المترجمة.

بقي شيء آخر ينبغي أن يستبعد من مقدمة لكتاب نحوي وهو استعمال

حرف الجر في قول المحقق « ينتسبون لهذا البلد » والوجه أن يقال : ينتسبون إلى البلد .

٥ – وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق : « ومهما يكن من أمر ، فهو الفقيه المتفنن ، صاحب التصانيف المفيدة ، والورع والزهد ، كان إماماً صدوقاً .. »
أقول : إن قول المحقق « ومهما يكن من أمر ، فهو الفقيه ... » يوحي أن أحداً قد نال من منزلته أو أنه قصّر في العلم أو أنه كان غرضاً للناقدين ... والحقيقة أن ليس شيء من ذلك في مقدمة المحقق ، وعلى هذا لم تكن العبارة موفقة . ثم إن الكلام على منزلته العلمية ، لأن المحقق يقول « ... فهو الفقيه المتفنن صاحب التصانيف المفيدة » وعلى هذا لا حاجة أن يعقب المحقق على عبارته « التصانيف المفيدة » بقوله « والورع والزهد » لأن ذلك يكون عند الكلام على أخلاقه أو صفاته مثلاً .

٦ – وجاء في الصفحة ٨ في الكلام على شعر المصنف قول المحقق « ولئن لم يعجبنا هذا الشعر من الناحية الفنية ، وهذا ملحظ على كل ما يصدر عن العلماء من شعر ، ولكن صدقه ودلالته القلبية واضحة » .

أقول : هذه العبارة غير مفهومة بسبب أن المحقق قد كتب المقدمة بسرعة فلم يعد إليها ، أو أنه قد كتبها فأساء الطابع إليها فجاءت على ما هي عليه . وإن استعمال « لئن » في صدر أي جملة يشعر أن الجملة شرطية مسبوقة باللام التي سميت موطئة للقسم ، وعلى هذا يكون الجواب للقسم ، في حين أن جملة المحقق خالية من الجواب ولذلك انبهم معناها .

ولقد خفي هذا الاستعمال في لغة عصرنا ذلك أن الكتاب يجعلون الجواب للشرط في هذه الجملة المصدرة باللام فيقولون مثلاً :

لئن لم تأتني فإني سأكون في حلّ منك .

والصحيح عدم استعمال الفاء في الجواب ذلك أن الفاء من مقتضيات الشرط

والصحيح « إني سأكون » ، قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد » .

وهذا الغلط من الأغلاط القديمة عند الكتاب والشعراء .

٧ - وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق « ولم يتتلمذ على أحد بعده » .

أقول : كان الأولى والأحسن أن يقال « ولم يتتلمذ لأحد » .

٨ - وجاء في الصفحة نفسها ذكر كتاب « نزهة الألبا » (كذا) كما ورد اسم الكتاب نفسه في الصفحة ١٧ في الكلام على مؤلفاته « نزهة الألبا في طبقات الأدبا » ثم جاء اسم الكتاب في صفحات أخرى .

أقول : الصحيح نزهة الألباء (بالمد) في طبقات الأدباء (بالمد أيضاً) وليس من موجب إلى القصر ، وأظن أن المحقق قصر الألباء والأدباء بسبب الطبعة الحجرية للكتاب (١٢٩٤ هـ) التي جاء فيها اسم الكتاب بالقصر لا بالمد . وهذا كثير في الطبعات القديمة التي قلّد فيها أسلوب المخطوطات القديمة التي تهمل رسم الهمزة في الأسماء الممدودة .

قلت : ليس من سبب للقصر وذلك لأن القصر قد يكون لغرض السجع مثلاً كما في كتاب السلاوي المغربي في كتابه « الاستقصا (كذا) في أخبار المغرب الاقصى » فقد قصر « الاستقصاء » مراعاة للسجع .

ومن الغريب أن المحقق لم يشر إلى الطبعات الأخرى من نزهة الألباء ، ومن المعلوم أن طبعتين للكتاب كانتا في القاهرة : أولاهما طبعة علي يوسف ، والأخرى طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٧ كما لم يشر إلى الطبعة البيروتية ١٩٦٢ ، والطبعة البغدادية ١٩٦٠ ، وكل هذه النشرات تثبت « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » بالمد لا بالقصر .

٩ – وفي الصفحة ٩ جاء في كلام المحقق على « مذهبه النحوي » قوله « ... وأخذه (أي النحو) عيسى بن عمر عن أبي إسحاق » .

أقول : والصواب : «ابن أبي إسحاق» وهو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي» .

١٠ – وفي الصفحة ١٠ جاء قول المحقق « وبتأثيره عليه» .

أقول : هذا من لغتنا العربية الدارجة ، ذلك أن حرف الجر مع مادة أثّر ومشتقاتها هو « في » لا « على » .

١١ – وفي الصفحة نفسها جاء قول المحقق « وكذلك الرسائل التي ذكرتها كتب التراجم ، فهي جميعاً يغلب عليها صفة النحو » .

أقول : الأفصح أن يقال : «فهي جميعها يغلب عليها ...» ذلك أن التوكيد بـ « جميع » أحسن وأصح من نصب جميع على الحالية .

١٢ – وفي الصفحة ١٢ جاء قول المحقق : « وهكذا حقق ابن الأنباري الأمنية التي طالما داعبت أذهان علماء النحو من القديم » .

أقول : ربما كانت هـذه المقدمة النحوية في غنى عن استعارة « المداعبة » لأذهان علماء النحو من القديم (كذا) !

١٣ – وفي الصفحة ١٥ جاء من مصنفات المؤلف « عمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء » .

أقول : لم يفطن المحقق الفاضل إلى اسم هذا الكتاب وكيف جاءت الأدباء بالمد لا بالقصر ، فيتخذ منها ما يفيده في تصحيح «نزهة الألبا في طبقات الأدبا» التي وردت بالقصر مراراً عدة .

١٤ – وجاء في الصفحة ٢٠ قول المحقق « ... وبخاصة الفقه الشافعي الذي تفقه فنه في النظامية » .

أقول: الصواب أن يقال: فقِه مثل (فرح) فنه، لا تفقّه الذي يعني تعاطى الفقه وهو قاصر لا متعد.

١٥ — وجاء في الصفحة ٢٢ قوله: «كل ذلك يقدمه مدعَماً بالدليل النقلي والعقلي».

أقول: ليس في مادة (د ع م) بناء «أدعم» وبناء «دعَّم» الرباعيان، ذلك أن الثلاثي «دعم» هو المستعمل المعروف، وعلى هذا يكون الصواب «مدعوماً» وهو اسم المفعول من الثلاثي.

١٦ — وجاء في الصفحة ٢٣ قول المحقق: «بعد هذا وفي نفس الصفحة عنوان الكتاب».

أقول مكرراً مقالتي السابقة: إن مقدمة في النحو لا بد أن تكون سليمة مما يخالف القواعد النحوية.

إن الأسلوب الفصيح في التوكيد بالنفس والعين أن يأتي لفظ التوكيد بعد الاسم المؤكد (بفتح الكاف) لا قبله. وعلى هذا يكون الصواب أن يقول: «بعد هذا وفي الصفحة نفسها عنوان الكتاب».

١٧ — وجاء في الصفحة ٢٨ قول المحقق: «وأسندت الأشعار بعد تتبعها في مظانها من الدواوين وكتب اللغة والمعاجم».

أقول: لعل المحقق الفاضل أراد بـ «إسناد الأشعار» نسبتها إلى قائليها، والنسبة هي المستعملة المعروفة، ذلك أن الإسناد متصل بالرواية التي طبع بها الحديث الشريف ثم تجاوزته إلى الأخبار والتاريخ.

ثم كان الأحسن أن يجمع «معجم» على «معجمات» لا معاجم وذلك لأن مفعل بزنة اسم المفعول لا يجمع على «مفاعل» وشذ «مصاحف» توهماً أن المفرد «مِصحف» «بكسر الميم وفتح الحاء» وقد استعمله السجستاني فسمى كتابه «المصاحف» ولم يؤثر شيء آخر من هذا الباب.

١٨ – وجاء في الصفحة ٣٣ قول المؤلف : « وقيل أصله « لاهٌ » في الكلام على لفظة الجلالة – والألف فيه منقلبة عن ياء كقولهم : لَهِي أبوك يريدون لله أبوك ، فأخّرت اللام إلى موضع العين لكثرة الاستعمال » .

أقول : إن قول المؤلف (ابن الأنباري) إن الألف في «لاه» منقلبة عن ياء ، اقتضى أن يكون الأصل « لَيَهٌ » بفتح اللام والياء ، ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وهي قاعدة صرفية معروفة .

ثم قال : إنهم قالوا « لَهِي أبوك » وقد ضبط المحقق الكلمة بفتح اللام وكسر الهاء. والكسر في الهاء لايحقق القاعدة الصرفية المشار إليها ،ثم حدث فيها القلب المكاني فقدّمت اللام إلى موضع العين . ولا وجه أن يقال « أخرت » كما ورد في النص، وأحسب ذلك من خطأ الناسخ .

١٩ – وجاء في الحاشية ٣ صفحة ٣٥ تعريف موجز بأبي عمرو بن العلاء وهو من صنع المحقق فقال : « إمام في اللغة والنحو والشعر ، أخذه عن أئمتها : أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي بن عمار بن العريان (كذا) . . . » .

أقول : إن قارىء الكتاب قارىء خاص أو خاص الخاص ، فهو في غنى عن أن يعرَّف بعلم من أعلام العربية المشهورين .

ثم : إن هذا التعريف الموجز لم يعرف بأبي عمر بن العلاء،بل صوّر أبا عمر بصورة لانعرفها . وذلك أن أبا عمر توفي سنة ١٥٤ هـ كما أثبت المحقق،وكما هو معروف في ترجمته ، فكيف يكون قد أخذ عن الأئمة : أبي زيد المتوفى سنة ٢١٥ هـ وأبي عبيدة المتوفى سنة ٢١٣ هـ والأصمعي المتوفى سنة ٢١٣ هـ .

والصحيح أن أبا عمرو بن العلاء قد أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي ، وأخذ عنه يونس بن حبيب والخليل بن أحمد وأبومحمد يحيى بن المبارك اليزيدي . وروى الأصمعي عن الخليل عن أبي عمرو .

ولا أدري من يكون الأصمعي بن عمار بن العريان ! إن الأصمعي المشهور هو عبد الملك بن قريب .

بقي أن نقول في بناء العبارة شيئاً . قال المحقق « إمام في اللغـــة والنحو والشعر ، أخذه عن أئمتها : أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي بن عمار بن العريان (كذا) » .

لا أدري عودَ الضمير في « أخذه » ، أعلى « اللغة » يعود أم على « النحو » أم على « الشعر » ! ولا أدري أيضاً عود الضمير في « أئمتها » . ثم لِمَ رُفِعت الأعلام أبو زيد ، أبو عبيدة والأصمعي وكان حقها أن تجرّ .

ثم لم فصل بين « أبو زيد » و « أبو عبيدة » ولم يأت بحرف العطف الواو إلا في العلم الثالث وهو « الأصمعي » على نحو ما هو معروف في اللغة الإنكليزية ؟

ولم يشر المحقق في هـذا التعريف الموجز إلى أن أبا عمرو كان من أصحاب القراءات وهو أحد السبعة المشهورين .

٢٠ – وجاء في الصفحة ٣٦ الشاهد :

« إليكَ حتى بَلَغتُ إياكا »

وهو شطر من رَجز لحميد الأرقط كما أشار الأعلم في حاشيته على «الكتاب» أما سيبويه فلم ينسبه إلى قائل، وقد أشار المحقق في حاشيته (١) إلى هذه الفوائد.

أقول : الصواب أن الشطر : « إليكَ حتى بَلَغَتْ إيّاكا »

فقـــد ضبط التاء في « بلغتْ » بالضم في الشطر الذي أثبته المحقق وبذلك ابتعد الوزن عن الرجز واستحال الى المنسرح .

ثم كان على المحقق أن يفطن إلى الوزن وهو الرجز بسبب أن حميد الأرقط راجز عرف بالرجز ، والشواهد اللغوية التي تنسب اليه كلها رجز .

٢١ – وجاء في الصفحة ٤١ : « وَلّ حارّها من تولّى قارها » .

وهو مَثلٌ أورده المصنف شاهداً على همز « الضألين » في سورة الفاتحة في قراءةشاذة. والمثل يروى « وَلِّ حارّها من تولّى قارّها » وليس « ولّ ». انظر مجمع الأمثال ٣٦٩/٢

٢٢ – وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف : وعلى هـــذه اللغة قرىء في الشواذ : « وتَرى الشمس إذا طلعت تزوَأرُّ عن كهفهم » أي تَزوارُّ كما هي في القراءات المشهورة .

أقول : الصواب : « تزوئِرُّ » بكسر الهمزة لابفتحها .

٢٣ – وجاء في الصفحة ٦٩ الحاشية (١) تعريف بالكسائي وفيه أنه توفي سنة ٢٨٤ هـ .

أقول : والصواب أنه توفي سنة ١٨٣ هـ أو ١٨٢ هـ أو ١٨٩ هـ ولعل ذلك من خطأ الطبع .

٢٤ – وجاء في الصفحة ٧١ بيتان للفند الزماني من قصيدة في الحماسة وقد كتبا على أنهما بيت واحد على النحو الآتي :

مشينا مشية الليث غدا والليث غضبانُ

بضربٍ فيه تفجيع وتخضيع وإقرانُ

والحقيقة أنهما بيتان وهما من الهزج وقـد نسبا في حاشية المحقق إلى الفند الزقاني (بالقاف) وهو من خطأ الطبع .

٢٥ – وجاء في الصفحة نفسها الحاشية (١) تعريف بسيبويه وقـد أشار المحقق إلى مصدره في هذا التعريف وهو « طبقات الزبيدي » . وهذه أول مرة يشير المحقق إلى مصدر حين يعرّف بالأعلام في حواشيه .

٢٦ – وجاء في الصفحة ٧٣ الحاشية (١) تعريف بالخليل بن أحمد وفيه ... « انه مخترع علم العروض » .

أقول : لابد من التعليق على « مخترع » هذه لانها ليست معروفة مستعملة في ذلك العصر او في الأقل في مثل هذه المادة اللغوية ، فقد جاء في « نزهة الألباء » أن الخليل استخرج العروض ، وفي « الإنباه » للقفطي أنه استنبط العروض . أما مخترع واخترع واختراع فمن ألفاظ عصرنا هذا وإن كانت عربية معجمية ومعانيها كثيرة منها الإنشاء والابتداع .

٢٧ - وجاء في الصفحة ١١٧ الحاشية ، قول المحقق : « البيت من كلام الأقيشر السعدي واسمه المغيرة بن عبد الله » .

أقول : وهذا التعليق يفتقر إلى توثيقه بمصدر من مصادر الأدب القديم .

٢٨ - وجاء في الصفحة ٢٣ من الجزء الثاني تعليق للمحقق في الحاشية (٢) على شاهد نحوي هو :

من يكُ ذا بتٍّ فهذا بتّي مصيّف مقيّظٌ مُشتّي

قال المحقق : من شواهد سيبويه ٢٨٥/١ ولم ينسبه ولا نسبه الشنتمري ، ونسب إلى رؤبة بن العجاج ، هامش شرح ابن عقيل ٢٢٣/١ .

أقـول : إن نسبة البيت في هامش شرح ابن عقيل هي من صنع الشارح وهو الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، وكان على الشيخ أن يوثق ذلك بمصدر قديم ولكنه لم يفعل ، فكان على صاحبنا الأستاذ المحقق أن يقوم بهذا الأمر ولا يكتفي بتعليق الشيخ في كتاب مدرسي .

ثم إن الشيخ نسبه إلى رؤبة بن العجاج فكان على المحقق أن يرجع إلى ديوان رؤبة في كتاب « مجموع أشعار العرب » ليتحقق من البيت . وقد تحققت من ذلك فلم أجد البيت في المصدر المشار إليه .

٢٩ - وجاء في الصفحة ٢٦ تعليق المحقق على الشاهد النحوي :

ولبس عبـــاءة وتقرّ عيني أحبُّ إليّ من لبس الشفوف

قال المحقق : من شواهد سيبويه ٤٢٦/١ ولم ينسبه ولا نسبه الشنتمري ، ونُسبَ لميسون بنت بجدل . . . « شرح ابن عقيل » .

أقول : ونسب إلى ميسون . . . . في كثير من الكتب النحوية كالمغني وخزانة الأدب . ومن المفيد أن أقول إن المحقق يعدي مادة « نسب » إلى مفعولها باللام والصواب « النسبة إلى » .

٣٠ – وجاء في الصفحة ٤٨ تعليق المحقق على شاهد لغوي هو :

أقبل سيلٌ جاء من عند اللهْ يحرِدُ حَرْدَ الجنة المغلّهْ

فقال : « اللسان مادة (غلل) . . . .

وهو من شواهد الخزانة ٣٤١/٤ ، ونسب الى قطرب بن المستنير » .

أقول : كان على المحقق أن يضع السكون على الهاء من « اللهْ » والهاء من « المغلهْ » وليس بالتاء . والبيت من الرجز والوزن يقتضي ذلك ، وهو كذلك في اللسان (غلل) وقد رجع المحقق إلى اللسان ولكنه لم يلتفت إلى ذلك .

ثم إن قوله في التعليق : « ونسب الى قطرُب بن المستنير » غير صحيح وذلك لان العلم الصحيح هو أبوعلي محمد بنالمستنيرالبصري المعروف بقُطرُب . وعلى هذا كان قطرب غير علم .

٣١ – وجاء فيالصفحة ٥٩ قول المصنف : « . . . . ثم حذف لام الأمر لتقدم لفظ الأمر ، واليه ذهب أبو إسحاق »

وقد علق الأستاذ المحقق على أبي إسحاق هذا فقال معرفاً به :

« هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، كان عالماً بالأدب ، وله كتاب في مصادر القرآن ، وصنف كتاباً في غريب القرآن ، وكتاباً مختصراً في النحو » وأحال المحقق على ابن الأنباري في النزهة ص ٢٢٣ الطبعة الحجرية .

أقول : وقد تحققت من النص في « النزهة » في الطبعة نفسها فوجدت أن في تعريف الأستاذ المحقق بالمترجم شيئاً لاوجود له في « النزهة » فلم يصنف كتاباً في غريب القرآن وليس له كتاب مختصر في النحو . أما مصنفاته المذكورة في « النزهة » فهي : « ما اتفق لفظه واختلف معناه » و « مصادر القرآن » و « كتاب في بناء الكعبة وأخبارها » .

والذي أراه أن ترجمة المحقق لأبي إسحاق هذا ملفقة من ترجمتين في «النزهة» وهما لأبي اسحق هذا ولأبي إسحاق إبراهيم بن السري. والدليل على هذا ما ذكره المحقق الفاضل في تعريفه بأبي إسحاق إبراهيم بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، وهو أن له كتاباً مختصراً في النحو وكتاباً في غريب القرآن. وقد رأيت في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج أن له كتاباً مختصراً في النحو وكتاباً في معاني القرآن كما في الإنباه ١٦٥/١ . ومن هنا يبدو أن المحقق قد لفق هذه الترجمة من الترجمتين ولعله نسي أنه نظر في « الإنباه » للقفطي .

والذي اراه أن المقصود بأبي اسحاق المثبت في نص ابن الأنباري هو الزجاج لا اليزيدي وذلك لشهرة الزجاج بالنحو ، وإن له كتاباً في « معاني القرآن » . و « كتاب المعاني » من غير شك كتاب أكثر مادته النحو وإن لم يصل الينا ، وذلك قياساً على « معاني القرآن » للفراء المطبوع الذي يعدّ أهم مانعرف من نحو الفرّاء .

٣٢ — ومن الغريب أن المحقق قد يعلق على الشاهد الشعري مرتين أو ثلاثاً والتعليق يتناول قائل البيت وفوائد أخرى، وقد تتكرر هذه التعليقات وتختلف فيما بينها للشاهد نفسه . وهذا كثير في الكتاب .

ويحسن بي أن أشير إلى أن الشواهد الشعرية قد تكون لشعراء أصحاب دواوين معروفة ، إلا أن المحقق لم يهتم بالرجوع الى هذه الدواوين وقد يعتمد على ورود البيت في « اللسان » في حين أن في النظر في ديوان الشاعر إفادة وتوثيقاً لاسيما تلك الدواوين المنشورة نشراً علمياً .

٣٣ — وجاء في الصفحة ١١٤ تعليق المحقق على الشاهد :

قَدْنِيَ من نصر الخُبيبين قَدِي   ليس الإمام بالشحيح المُلحِدِ

فقال : « من شواهد سيبويه ٣٨٧/١ ولم ينسبه ونسبه الشنتمري لأبي نخيلة » .
ثم عاد المحقق فذكر : هو من كلام حميد الأرقط من أرجوزة . . . . .
وهذه النسبة الاخيرة جاءت غفلاً من أي مصدر يثبتها .

٣٤ — وجاء في الصفحة ١٤٥ الشاهد .

« أم الحليس لعجوز شهربة »

ثم أكمل المحقق في الحاشية الرجز وهو مشهور وقد ضبط « شهربة » بالتاء كما ضبط « الرقبة » بالتاء في الحاشية .

أقول : والصواب : ضبطها بالهاء وبه يستقيم الرجز .

٣٥ — وجاء في الصفحة ٢٢١ تعليق المحقق على بيت شاهد وهو قوله « البيت لذي الرمة غيلان بن عقبة » .

أقول : لقد مرّت قبل هذا الشاهد عدة شواهد لذي الرمة فعلق عليها المحقق ونسبها كما جاءت في كتاب سيبويه او غيره من الكتب إلا الديوان فلم يراجعه غير أن المحقق في هذا التعليق زاد على « ذي الرمة » بقوله : « غيلان بن عقبة » وهذا التعليق الأخير في غير محله .

٣٦ — وجاء في الصفحة ٢٥٠ تعليق المحقق على الشاهد :

ألا أيهذا الزاجري أحضُرُ الوغى   وأن أشهدَ اللذات هل أنت مخلدي

والشاهد في حذف أن الناصبة ورفع الفعل « احضر » .

وقد كان التعليق أن البيت من شواهد سيبويه ، ولم يكتف المحقق بهذا بل راح يذكر موطن الشاهد وهو رفع الفعل ، وأسهب في ذلك وجاء برأي الكوفيين وهو النصب على إضمار أن .

أقول : إن هذا التعليق لا فائدة بـه فقد ذكره المصنف في نص الكتاب وجاء بالشاهد دليلًا عليه . ثم إن ذكر موطن الشاهد ليس من منهج المحقق في تعليقه على الشواهد الأخرى وهي كثيرة .

هذا جملة ما بدا لي من مسائل وأنا أقرأ هـذا السفر النفيس . على أن هـذه المسائل لاتشين هذا العمل الكبير الذي حققه الأستاذ الدكتور طه عبد الحميد طه فجاء نص الكتاب سليماً مبرءاً من التصحيف والتحريف .



بغداد : كلية الآداب **إبراهيم السامرائي**

★ ★ ★

ملاحظات على كتاب

(أبو زكريا الفراء)

تأليف الدكتور أحمد مكي الأنصاري

مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في جمهورية مصر العربية :نشر الرسائل الجامعية -الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية- القاهرة ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م - ٦٥٦ صفحة من القطع الكبير

بقلم الدكتور مهدي المخزومي
رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة بغداد

تناول الدكتور أحمد مكي الأنصاري دارساً من ألمع الدارسين في القرن الثاني للهجرة ،وعلماً من أعلام الدرس الكوفيّ ،وهو أبو زكريا الفراء. ومدرسة الكوفة فيما انتهينا إليه تبدأ بأعمال الكسائيّ النحوية ، والكسائي هو الذي رسم المذهب وخطط له،وعلى وفق منهجه في القراءة نهج في الدرس النحوي واللغوي. ومنهج القراءة إنما يعتمد على النقل والسماع ، ويعتدّ بالخبر الصحيح الموثوق به . وهكذا جاء الدرس النحويّ على يد الكسائي يعتمد على السماع ،ويعتدّ بالصحيح الفصيح من كلام العرب ، ويترخص في قبول الأمثلة التي يعدّها أهل القياس والمنطق شاذة. وكانت المناظرة التي جرت بينه وبين سيبويه معبّرة أصدق تعبير عن النهج الذي سيسلكه الدرس النحويّ في بغداد : اعتداد بالرواية ، وتقديم للسماع على القياس ، وترخص في إعادة النظر في الأصول الموضوعة إذا عارضت السماع ، وتغيير تلك الأصول حتى تستوعب المسموعات التي لم تصل إلى أسماع أهل القياس .

ثم جاء الفرّاء، وقد استوعب المنهج الجديد الذي رسمه أستاذه، فعززه بما شب عليه هو وتمثّله من نهج أصحاب القراءة الذين قرأ عليهم، واستكثر عنهم، وبما أضافه من سماع من الفصحاء الذين أخذ النحاة السابقون عنهم كأبي ثروان وأبي الجراح وغيرهما، ومع ذلك لم يغلّف ذهنه دون ألوان الثقافات التي وفدت على بغداد، وأفاد منهـــا ما قوّم عقله، ونمّى حذقه. وقد فاتشه ثمامة بن الأشرس، فأعجب به، وتحدث عنه فقال: « فاتشته عن اللغة فوجدته بحراً، وعن النحو فشاهدته نسيج وحـده، وعن الفقه فوجدته فقيهـاً عارفاً باختلاف القوم، وفي النجوم ماهراً، وبالطب خبيراً، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً »[١].

جاء الفراء فتعهّد ما بناه الكسائي بالرعاية، وأتمه، واستوى الدرس النحويّ الجديد على يديه درساً حياً، ذا شخصية متميزة، وطابع خاص، وإذا كان الكسائي هو واضع رسوم المذهب فقد جاء الفراء من بعده ليكسب المذهب ملامحه الخاصة، وليبرز شخصيته المتميزة.

وكان الدكتور الأنصاري قد وقف على أعمال الفراء، وألمّ بالدقيق والجليل من شؤونه، وقد أعجب به، ومن حقه أن يعجب به، فقد رأى فيه دارساً فذّاً يتّسم بعمق الفكر، وذكاء الذهن، ولكنه لم يرد لصاحبه أن يكون من الكوفيين، لأنه، فيما كان يراه فيه، لم يلتزم بما ألزم الكوفيون أنفسهم به من خصائص المذهب، فقد كان الفراء، عند الأنصاريّ، يمزج الآراء الكوفية بالآراء البصرية، فهو إذن طراز جديد من الدارسين، فبينما هو كوفيّ باعتداده بالسماع، واحترامه القراءات، لأنه لا يحب مخالفة الكتاب، أو لا يشتهي أن يخالف الكتاب، إذ به بصريّ في تمسكه بالقياس ووقوفه في وجه الشواذ، وطعنه على القراءات السبع، فهو إذن، في رأي الأنصاريّ، يجمع في دراسته خصائص

(١) معجم الأدباء ١٩/١١، ١٢.

بما أخذه عن الكوفيين ، وخصائص مما أخذه عن البصريين ، وهو جدير بأن يكون مؤسس مدرسة بغداد التي تمخض عنها تلاقي المدرستين وامتزاج مزاياهما في دراسته .

ولم يكن الفراء عنده مبتدع هذا المذهب الذي يقوم،فيما رأى ،على التحرّر والمزج والتجديد ، فقد عاش (أعني الدكتور الأنصاري) مع النحاة طويلاً وتتبّع آراءهم في مظانّها ، وبحث عن الخيوط « الرفيعة »[1] (يريد الدقيقة) للمدرسة البغدادية مذ كانت لمحات ، وظلّ يغوص ، كما قال ، وراء جذورها الضاربة ، وخيوطها الناحلة حتى وضع يده على البذرة الأولى عند عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة ، فقد رآه يمزج علمه البصريّ بظلال من خصائص الدرس الكوفيّ ، لأنه كان يستند في بعض آرائه على الشاهد النادر ، ثم أخذ يتتبع تلك الخيوط فرأى ملامح المدرسة البغدادية تتضح أكثر فأكثر عند أبي زيد الأنصاريّ ، لأنه كان يروي عن الكوفيين ، ثم عند يونس بن حبيب ، ثم عند سعيد بن مسعدة الأخفش ، ثم عند الكسائيّ أيضاً ، ولكن ملامحها عنده خافتة إلى حد كبير ، غير أن تلك الملامح لم تكتمل ولم تنضج إلاّ عند الفراء ، ولذلك كان الفراء عنده هو المؤسس الحقيقي للمدرسة البغدادية .

ولكن ... أين مدرسة الكوفة ؟ وأين موقعها عنده ؟

لم ينكر الدكتور الأنصاريّ وجود مدرسة الكوفة ،لأنه أثبت خصائصها، وذكر منها :

(١) أنها تعتمد على الرواية أكثر مما تعتمد على العقل .

(٢) وأن الكوفيين متأثرون بمنهج الفراء والمحدثين .

(٣) وأنهم يقدرون كل ما سمع من العرب .

(٤) وأنهم لايؤمنون بأن اللغة منطقية ، لاتحيد في قوانينها عن الحكمة.

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٤ .

(٥) وأنه ليس من دأبهم تخطئة العرب في لغتهم [١] .

فالدكتور الأنصاريّ إذن يعتقد بوجود مدرسة كوفية لهـا منهجها ، ولهـا خصائصها ، ولم يتعسف فينكر أن يكون للمدرسة الكوفيـة وجود ، كما فعل ڤايل [٢] ، ولم يستبح منهجها فينسبه إلى الاخفش سعيد بن مسعدة ، كما فعل الدكتور شوقي ضيف مؤلف (المدارس النحوية) ، لأنه قال : « إن الذي لا مناص منه أن المدرسة الكوفية حقيقة تاريخية ، كانت لها شخصيتها المستقلة في فترة من الزمن » [٣] .

وقد أيد ذلك بتسمية نحويّ كوفيّ رأى أنه مؤسس المدرسة وراسم مذهبها، وناقش مؤلف (مدرسة الكوفـة) ومؤلف (نشأة النحو) في اتفـاقهما على أن الكسائي هو مؤسس مدرسة الكوفة ، كما زعم [٤] ، وانتهى بعد المناقشة الخطابية إلى أن يسجـل ميله إلى أن النحويّ الكوفيّ الأول ، راسم المـذهب ومؤسس المدرسة هو أبو جعفر الرواسيّ [٥] .

فلمدرسة الكوفـة إذن مؤسس أشارت اليه كتب الطبقات قبله ، ولهـا وجود تاريخيّ مشهود ، ومن أجل أن يعزز رأيه هذا ، ورأيه الذي بنى رسالته عليه ،

(١) أبو زكريا الفراء ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٢) مقدمة (فايل) لكتاب الإنصاف .
(٣) أبو زكريا الفراء ٣٥٨ .
(٤) زعم الدكتور الأنصاري ، أن مؤلف (مدرسة الكوفة) كان قد تابع الشيخ محمد طنطاوي مؤلف (نشأة النحو) في ذهابه إلى أن الكسائي هو مؤسس المدرسة ، وقد وهم في ذلك ، لأن الشيخ طنطاوي لم يقل بذلك ، بل كان كغيره من المتابعين لمزاعم القدماء يقول برئاسة أبي جعفر الرواسي للكوفيين وينسب إليه ، كما نسبوا ، تصنيف كتاب الفيصل ويزعم كما زعموا أن الخليل أفاد منه في (الكتاب) ، وجعل الرواسيّ على رأس الطبقة الأولى من الكوفيين . أما مؤلف (مدرسة الكوفة) فقد نفى أن يكون للرواسيّ شأن في الدرس الكوفي ، وعدّ الكسائي النحويّ الاول من النحاة الذين يُسمون بالكوفيين .
(٥) نشأة النحو ـ طنطاوي ٩٧ ، ٩٨ .

وهو بغدادية الفراء المذهبية عقد الفصل الخاص بـ (أهم الفروق بين المدرستين البصرية والكوفية) ولو لم يفعل ذلك ، ولو لم يبذل الجهد في تثبيت مدرسة الكوفة بإزاء مدرسة البصرة لما كان له في تأليف كتابه هذا عذر مقبول .

غير أنه بإخراجه الفراء وتلاميذه ، وبلمحه ملامح المدرسة البغدادية في نحو الكسائيّ كان يلتقي مع قايل وضيف في نسف الدرس الكوفيّ والمذهب والمدرسة ، وإذا لم يبق للمدرسة كيان ولا مذهب ، لم يبق له مايؤيِّد دعواه في كون الفرّاء مؤسس مدرسة بغداد ، لأن القائلين بالمذهب البغداديّ إنما يبنون رأيهم على أساس الاختيار والمزج والتوحيد ، وهذه العناصر الثلاثة تنبني على تصوّر مدرسة بصرية ومدرسة كوفية ، ليصح افتراض الاختيار من مزايا كلتا المدرستين ، وتوحيد هذه المزايا في مذهب مستقلّ عن المذهبين من جهة ، ومشدود إليها من جهة أخرى .

فإذا كان الفراء هو مؤسس المذهب الثالث ، وكان الكسائي يمزج المذهبين ، وتلوح في دراسته ملامح المذهب البغدادي لم يبق من شيوخ الكوفيين غير أبي جعفر الرواسي ، فيكون هو الأستاذ ، وهو المذهب ، ولا أعلم أن دارساً ، على تعاقب العصور ، كان قد عرف نحواً لأبي جعفر أو لمح في أقواله ، إن كانت له أقوال في النحو يعتدّ بها ، ما يدل على أنه كان ينهج في دراسته منهجاً تتجلى فيه الخصائص المذهبية الكوفية التي استنبطها الدكتور الأنصاري ، أو زعم أنه استنبطها .

ولم يقف الدكتور الأنصاري عند هذا الحد ، بل تجاوزه إلى حدود أبعد وأوسع ، ثم أبعد في هذا التجاوز حتى زعم أنه وضع يده على البذرة الأولى للمذهب البغداديّ عند عيسى بن عمر المتوفّى سنة ١٤٩ للهجرة ، فرآه « يمزج إلى علمه البصريّ ظلالاً من خصائص المدرسة الكوفية ، فكان يقيس على الشاهد الواحد النادر شأنه في ذلك شأن الكوفيين[١] .

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٤ .

كان يمكن للدكتور الأنصاريّ أن يكون منطقياً لو أنه عكس الأمر فذهب الى تأثر الكوفيين بمذهب عيسى بن عمر في قياسهم على الشاهد الواحد النادر ، كما زعم ، وكما ذهب (قايل) من قبل الى تأثر الكوفيين بيونس بن حبيب وبمذاهبه التي تفرّد بها ، وكما ذهب اليه الدكتور ضيف من بعد الى تأثر الكوفيين بالأخفش سعيد بن مسعدة . ولكن الدكتور الأنصاريّ ، فيما يبدو، كان يؤرخ للنحو من آخره ، ويضع الابتداء في موضع الانتهاء ، فرأى فيما رأى، وهو يرجع القهقرى بتاريخ النحو أن عيسى بن عمر المتوفى سنة ١٤٩ للهجرة كان قد تأثر بالكسائيّ المتوفى سنة ١٨٣ للهجرة ، وبالفراء المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة فترك نحوُ الكسائي والفراء والكوفيين في نحو عيسى ظلالاً من خصائص مذهبهما، ومذهب المدرسة التي ينتسبان إليها أعني مدرسة الكوفة في النحو .

ويترتب على مقالة الدكتور الأنصاريّ هذه أن يكون لمدرسة الكوفة تاريخ يتجاوز أبا جعفر الرواسيّ إلى دارسين قبله، لأن أبا جعفر الرواسيّ كان قد تلمذ لعيسى بن عمر كما زعم الزبيدي[1] ،أو لأبي عمرو بن العلاء المعاصر لعيسى ابن عمر ، كما زعم أبو الطيب[2]، فاذا كان في نحو عيسى بن عمر ظلال من خصائص مدرسة الكوفة فلا بد أن يكون قد تأثر بنحاة قبله تلمذ لهم أو بنحاة معاصرين أفاد منهم ، ولا أظن بوسع الدكتور الأنصاري أن يسمي واحداً منهم .

ومهما يكن من أمر فالفراء عنده «هو المؤسس الحقيقي للمذهب البغدادي[3]»، أما ما سبقه من محاولات قام بها عيسى بن عمر ويونس بن حبيب ، وأبو زيد الأنصاري ، وسعيد بن مسعدة الأخفش والكسائيّ فكان « بمثابة الإرهاص والتمهيد للمذهب الجديد ، ذلك الذي اكتمل في شخصية الفراء وعقليته نتيجة

(١) طبقات النحويين ١٣٥ .

(٢) مراتب النحويين ٢٤ .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٦٦ .

امتزاج المنهجين واتحادهما اتحاداً كاملاً ، نشأ عنه عنصر جديد له خصائصه المميزة وطابعه المستقل »[١]. وهذا إيهام بالتراجع إذا جاز، موقتاً ، على لجنة المناقشة، فلم تلتفت إليه فلن يجوز على الدارسين .

وقد لخص مقومات مذهب الفراء بقوله : « يقوم مذهب الفراء أساساً على التحرر من قيود العصبية المذهبية ، فهو ينزع منازع أهل البصرة حيناً ، كما ينزع منازع أهل الكوفة أحياناً ، لهذا رأيناه يمزج بين المذهبين ، ويختار أحسنهما في نظره ، وأقربهما إلى منهجه الخاص ، ذلك الذي رأينا فيه كلّ مقومات المذهب البغداديّ ، فقلنا إنه المؤسس الحقيقي لهذا المذهب الجديد ، وما المذهب البغداديّ إلاّ تحرر ومزج وتجديد[٢] .

أما أنه كان ينزع منزع الكوفيين فذلك لأنه تلمذ لهم وأفاد منهم، وأما أنه كان ينزع منزع البصريين فذلك عنده متأتٍ من ثلاثة أمور :

(١) اتصاله بالأخفش الأوسط ، وارث علم البصريين ، وحامل كتاب سيبويه إلى الأجيال .

(٢) وتعمق الفراء في دراسة الكتاب دراسة ناقدة واعية .

(٣) وتلمذته لإمام من أئمة البصرة هو يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة[٣] .

ولو دقق النظر لجعل الأمور الثلاثة أمرين اثنين ، لأن اتصاله بالأخفش يعني دراسته (الكتاب) وتعمّقه فيه تعمّقاً ناقداً واعياً ، ولا أظنه يعني أنه أخذ عنه آراءه ، كما يفهم من كلام مؤلف (المدارس النحوية) الذي تأثر الدكتور الأنصاريّ في كثير من مزاعمه ،ولا أظنه يريد أن الفراء كان قد تلمذ للأخفش

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٦٦ .

(٢) أبو زكريا الفراء ٣٩٥ .

(٣) المصدر نفسه ٣٧٢ .

وأخذ عنه آراءه ، لأنه حين نقل الكلام في هذه العوامل لم يذكر أكثر من أنه كان السبيل إلى كتاب سيبويه ، فاذا أفاد الفراء من الأخفش شيئاً فذاك هو أنه يسر له الوقوف على كتاب سيبويه ، لأن النسخة الوحيدة من الكتاب كانت في حوزة الأخفش ، فالأمران الأول والثاني هما عند التحقيق أمر واحد .

وإذا كان مذهب الفراء يقوم على أساس من مزج المذهبين فلابدأن يكون فيه ملامح من كلا المذهبين ، ومظاهر من كلتا النزعتين ، وقد استطاع الدكتور الأنصاري أن يلفّق لمذهب الفراء مظاهر من النزعة الكوفية ، ومظاهر من النزعة البصرية .

وكان من مظاهر النزعة الكوفية عند الفراء ، فيما زعم الأنصاري :

(١) تحاشي التقدير أحياناً ، ويتجلى ذلك عند الأنصاري في إعراب قوله تعالى : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره » فلم يقدّر فعلاً كما كان البصريون يفعلون .

(٢) والقياس على الشاهد الواحد أحياناً .

(٣) والبعد عن منهج الفلاسفة والمتكلمين أحياناً ، فقد كان يقول بترافع المبتدأ والخبر ، ولم يبال بما يؤدي إليه هذا القول من محال عند البصريين .

وكان من مظاهر النزعة البصرية عنده :

(١) التقدير والتأويل .

(٢) عدم القياس على الشاهد الواحد .

(٣) انتهاجه منهج الفلاسفة والمتكلمين .

(٤) اعتداده بالقياس .

(٥) التزامه بالضبط والتقعيد ، وهو مظهر من مظاهر العقل المنطقي ، ومن ذلك تخطئة العرب ، وتخطئة القراء والطعن عليهم .

وبالموازنة بين مظاهر النزعة الكوفية ومظاهر النزعة البصرية عند الفراء يبدو للدارس المتجرد عن الهوى أن الفراء عند الدكتور الأنصاري بصريّ المذهب ، ليس في نزعته من مزايا المذهب الكوفيّ إلا هذا الترخص في (الشواذ) والقياس على الشاهد الواحد (أحياناً) ، ولم يقيّد مظاهر النزعة البصرية بكلمة (أحياناً) مما يدل على أن الباحث كان قد استقرّ في نفسه أنه بصريّ ، ولكنه بصريّ له شخصيته المتميزة وعقليته المبتكرة ، ولم يكن من الدارسين الذين يهدرون مزايا شخصياتهم في تقليد الأولين .

ولا أحسب الدكتور الأنصاريّ كان قد وفق في مقالته هذه إلى استجلاء شخصية الفراء ، ولا رسم مذهبه ، ولا بد أن يكون متأثراً بأقوال خصومه بحيث جاز عليه ما انتحلوا عليه من أقوال ، بل لا أحسبه وفّق في مقالته إلى دعم رأيه الذي بنى عليه كتابه ، وهو بغدادية الفراء ، لأنه إذا كان يرفض القياس على الشاذ ، ويصطنع أوضاع البصريين ، ويقف من القراءات موقف البصريين منها فماذا تبقّى للدارس ، أيّ دارس ، لكي يجزم أن الفراء بصري المذهب ، بل راسم المذهب للبصريين . وإذا كان مذهب الفراء يقوم على هذه الأسس التي تناقض أسس المذهب الكوفيّ فكيف أتيح للدكتور الأنصاريّ أن يقول ببغداديته؟ وماذا تبقّى من خصائص المذهب الكوفيّ ليخلطها بهذه الخصائص ويوحّدها في مذهب جديد هو المذهب البغداديّ ؟ !

وينبغي ألاّ يمرّ الدارس بهذه الأمور دون أن يناقشها ليصل إلى واقع الأمر ، ويضع الفراء في طبقته ، ويدلّ الدارسين على مصدر الوهم الذي جاز عليهم ، والذي أوقعهم فيه ماجاء في كلام ابن النديم في تصنيفه النحويين إلى بصريين وكوفيين وآخرين خلطوا المذهبين ومـا انجرّ إليه باحثون محدثون من متابعة متعجلة لابن النديم .

ولنوجز هنا مافصّله الأنصاريّ فنستخلص من مظاهر نزعة الفراء البصرية

المزعومة مظاهر ثلاثة نقف عندها في مناقشة يفرضها البحث ،وهذه المظاهر هي:

(١) أن الفراء كان يرفض القياس على الشاهد الواحد .

(٢) وأنه كان يصطنع أوضاع البصريين ومصطلحاتهم .

(٣) وأنه كان يخطّىء العرب ، ويطعن على القراءات .

أما الأول فقد كان الأنصاري يرى أن من مظاهر النزعة البصرية في مذهب الفراء أنه كان يرفض القياس على (الشاذ) أحيانا فيخالف بذلك المذهب الكوفي، مستشهداً بقول الفراء في (المنقوص والممدود) : « وما كان من ذوات الياء ، فإن كان مضموماً ضممت أوّله في الجمع ، و كتبته بالياء مثل مدية ومدى وزُبْيَة وزُبىً ورقية ورقى ، فإن كان اوّل واحدته مكسوراً جمعته بكسر أوله ، و كتبته بالياء مثل حِلْيَة وحِلى ولِحية ولِحى ، وقد سمعنا لُحى وحُلى في هذين الحرفين خاصة ، ولا يقاس عليهما »[١] .

كان رفض الفراء القياس على (لُحى وحُلى) بالضمّ ثغرة نفذ منها الدكتور الأنصاريّ إلى إثبات نزعته البصرية ، ظنّاً منه أن قياس الكوفيين على المسموع من كلام العرب يبيح للكوفيين القياس على هاتين الكلمتين ، وهي نغمة قديمة شدا بها بصريون متعصبون ، أو متابعون مقلّدون كأبي حاتم السجستاني والرياشيّ وابن درستويه وأبي الطيب اللغويّ وغيرهم ، فجازت على الدارسين ،ثم جازت على الباحث الفاضل .

لم يكن الفراء الكوفيّ ليقيس على مثل هاتين الكلمتين لأنهما شذتا عن أخواتهما، ولا يعدّ هذا من قبيل الشاذ الذي يقيس عليه الكوفيون . لأن « الشاذ » الذي يقيسون عليه هو ما كان ممثّلاً لأسلوب شائع في بيئة لغوية لا يصح إغفالها ، ولم يكن الفراء ليرى أن هاتين الكلمتين تمثلان كلام العرب ،لأن العرب،كما تحدث

(١) المنقوص والممدود ١٣ . أبو زكريا الفراء ٣٩٧وقد سماه الأنصاري:المقصور والممدود ، لأن (مصورته) أثبتت هذه التسمية .

عنهم الفراء لم يضموا إلاّ فيها خاصة ، فهما شاذتان فعلاً ، ولا يصح القياس عليهما.

على أن الفراء لم يوصد الباب دون الدارسين ، ولم يكن هذا الذي وقف عنده الأنصاري في النصّ هو منتهى كلام الفراء، ولكنه منتهى ما أثبته الأنصاري لدعم زعمه ، فللنص تتمة أسقطها ، ولم يشأ أن يثبتها لأنها تفتّ بعضده في دعم زعمه ، والتتمة هي : « إلاّ أن تسمع شيئاً من بدويّ فصيح فتقوله » ، وهي تفتح الباب أمام الدارسين لقبول ما يرد عن العرب الموثوق بفصاحتهم من ضمّ ما كان من ذوات الياء وكان مكسور الأول في الواحد ، ومثل هذا لم يورده الأنصاريّ ، لأنه ينقض ما كان بناه .

ومضى الدكتور الانصاريّ في إثبات النزعة البصرية في مذهب الفراء، فزعم أنه كان يقيس ولا يشترط السماع ، شأنه في ذلك شأن البصريين في غلوّهم في القياس ، بل كان الفراء ، فيما زعم ، « يتوغل في القياس أكثر من البصريين أنفسهم »[(١)] . وأورد لهذا أمثلة لم تنهض بدعم مازعمه . ومما أورده : رأي الفراء في دلالة (افعلت الشيء) على معنى (عرّضته للفعل) منقولا عن ابن قتيبة :

« قال الفراء : تقول : أَبَعْتُ الخيل إذا أردت أنك أمسكتها للتجارة والبيع ، فإن أردت أنك أخرجتها من يدك قلت : بعتها . قال : وكذلك قالت العرب : أعرضت العرضان ، أي : أمسكتها للبيع ، وعرضتها: ساومت بها ، فقس على هذا ما ورد عليك »[(٢)] .

ولا أعلم أكانت عبارة (فقس على هذا ما ورد عليك) من كلام الفراء أم كانت من كلام ابن قتيبة . ومهما يكن من أمر فقد فهم الأنصاري من هذه العبارة أن القياس كان له شأن كبير في مذهب الفراء ، وأنه كان أكثر توغلا في القياس من البصريين ، ليدعم زعمه بأن في مذهب الفراء نزعة بصرية ظاهرة .

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨١ .

(٢) أدب الكاتب ٧٣ ؛ « بريل » . أبو زكريا الفراء ٣٨٠ .

الحق أني لم أستطع أن أفهم قصد الأنصاريّ ، فالفراء بصريّ النزعة عنده في عدم القياس على الشاذ ، لأنه لم يقس على (لُحى وحُلى) بالضم ، وهو بصريّ النزعة أيضاً ، لأنه يقيس ولا يشترط السماع [١] .

أفيريد الأنصاريّ من الدارسين أن يغلّفوا عقولهم فيردّدوا ما يقوله اتباعاً وتقليداً ، ويجوز عليهم مثل هذا الجدل الخطابي ، وهذا اللعب بالألفاظ ؟

ألم يتضح له أن الفراء في قياسه على هذا كوفيّ أصيل ، لأنه في قياسه هذا كان يقيس على (الشاذ) ؟ وماذا كان الكوفيون يفعلون ، في رأي القدماء الذين قلدهم الأنصاريّ واحتذاهم فيما زعموا واخترصوا غير أنهم كانوا يقيسون على الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة ، كما زعم ابن درستويه ؟ [٢] أو لم يكن في قياسه على قولهم : (أعرضت العرضان وعرضتها) منسجماً مع مذهب الكوفية ؟؟

على أن الفراء لم يقس على هذا لأنه شاذ ، ولكنه قول العرب ، كما قال . وواضح أنه في هذه المسألة وتلك كان كوفياً أصيلاً أميناً على مذهبه ومذهب أصحابه ، وأنه كان لا يرفض القياس على ما ثبت أنه قول العرب ، ولا ينزع إلى البصريين في رفضه القياس على ما كان شاذاً عنده فعلاً .

وأما الثاني فقد زعم الدكتور الأنصاريّ أن من مظاهر النزعة البصرية في مذهب الفراء أنه كان يستعمل الاصطلاحات البصرية إلى جانب الاصطلاحات الكوفية بالإضافة إلى الاصطلاحات التي ابتكرها ابتكاراً [٣] .

ولكن هذا لا يثبت له قضية ، فقد جاء الفراء وللنحو مصطلحات تتردد على ألسنة النحاة الذين سبقوه أو عاصروه ، سبق إليها الخليل فيما وضعه منها فإذا ترددت في أقوال الفراء فهل يعني ذلك أنه كان ينزع نزعة بصرية ؟ لا .. لا يعني

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(٢) بغية الوعاة ٢/١٦٤ .
(٣) أبو زكريا الفراء ٣٩٣ .

ذلك ، لأن استعمال الفراء بعض مصطلحات البصريين ما لبث أن تضاءل بوضع مصطلحات جديدة عرف بهـا الدرس الكوفي ، وترددت على ألسنة الدارسين الكوفيين . ومن ذلك :

العماد بإزاء (ضمير الفصل) عند البصريين . والصلة بإزاء (الحشو). والجحد بإزاء (النفي) . والتشديد بإزاء (التوكيد) . والإقرار بإزاء (الإثبات) . والثابت بإزاء (الجامد) . والتبيين والترجمة والتكرير بإزاء (البدل) . و (لم يسمّ فاعله) بإزاء (المبني للمجهول) . والأداة بإزاء (الحرف) . والصفة بإزاء (حرف الجر) والظرف أحيانا . والمحل بإزاء (الظرف) . والمكنّى بإزاء (الضمير) . والفعل بإزاء (المصدر) . والفعل الدائم ، أو الدائم بإزاء (اسم الفاعل واسم المفعول) . والمستقبل بإزاء (الفعل المضارع) . والنسق بإزاء (العطف بالحرف) . والنعت بإزاء (الصفة) .

وهناك مصطلحات أخرى كالخلاف والصرف والتقريب وغيرها لم يعرفها البصريون ، ولم يكن لديهم ما يقابلها .

وإذا أنعمت النظر في دلالات كثير من هذه المصطلحات رأيتها تبعد بالفراء عن شبهة الحوم حول النزعة البصرية المنطقية ، وتبطل ما خيّل إلى الدكتور الأنصاريّ أنه رآه مظهراً من مظاهر النزوع إلى مذهب البصريين ،وتدعم الرأي القائل بأن النحو الكوفيّ أقرب إلى فهم العربية وفق طبيعتها .

كمصطلح (الصلة) الذي أطلقه الفراء على (الحشو) عند البصريين ، وظاهرٌ ما في كلمة (الحشو) من بعد عن فهم الأسلوب .

وكمصطلح (التبيين) الذي أطلقه على البدل . ولا شك أن تسمية البصريين هذا التابع بالبدل إنما تقوم على أساس من فكرة العامل ، ولا شك أيضاً أن ما يؤديه هذا التابع إنما هو تبيين ما قبله أو ترجمته أو تكريره ، ولهذا استوى

عند النحاة ما يسمى ببدل (الكل من الكل) وما يسمى بعطف البيان ، وعطف البيان يبين ما قبله ويترجمه ويوضحه كما قال ابن مالك :

وذو البيان تابع شبه الصفة حقيقة القصد به منكشفة

وليس أدلّ على ما يؤديه هـذا التابع من توضيح وتبيين من تسمية الفراء إياه بالتبيين .

وكمصطلح (الفعل الدائم) الذي يريد به الفراء ما يريده البصريون من(اسم الفاعل) و (اسم المفعول) ، وتسمية بناء (فاعل) أو (مفعول) باسم الفاعل واسم المفعول تسمية انطلق البصريون إليها من اعتبارات لفظية محضة ، على حين أن (فاعلًا) أو (مفعولاً) إنما يجريان مجرى الفعل في أكثر استعمالاتهما ، لأنهما بمنزلة الفعل في معناه وفي استعماله .

ومن هـذا الاعتبار كان الفراء ينطلق الى منع نداء (راكباً) في قولهم : (فياراكباً) دون تقدير منادى ، لأن (راكباً) دائم ، والدائم لا ينادى كما لا ينادى الماضي ولا المستقبل .

وقد وهم الدكتور الأنصاريّ فزعم أن الفراء كان ينزع إلى مذهب البصريين في توغّلهم في التقدير « حين قال بوجوب تقدير موصوف محذوف قبل المنادى في قول الشاعر : (فيا راكبا إما عرضت ... البيت) فرفض أن يكون(راكبا) هو المنادى ، وتعسّف فأوجب أن يكون التقدير : (فيا رجلًا راكباً) وذلك لأنه لا يجيز نداء النكرة المفردة »[1] .

وكان في هذا يتابع ما جاء في (خزانة الأدب) ، فقد جاء فيها عند ذكر الشاهد الخامس عشر بعد المئة :

فيا راكباً إما عرضت فبلّغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا

قوله : « أن المنادى هنا عنـد الكسائيّ والفراء إما معرفة بالقصد ، وإما

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٨ .

أصله : يا رجلاً راكباً ، لأنهما لا يجيزان نداء النكرة مفردة بل يوجبان الصفة »[١] .

ولم يلتفت البغداديّ ولا الأنصاريّ الذي تابعه الى ما عناه الكسائيّ والفراء في منعهما أن يكون (راكباً) هو المنادى ، لأن (راكباً) عندهما فعل دائم ، والفعل الدائم لا ينادى ، كما لا ينادى الماضي ولا المستقبل .

وإذا صح أن يكون الكسائيّ والفراء قد منعا نداء النكرة فذلك لأنهما كانا يحسان إحساساً لغوياً صادقاً ، لأنهما لم يسمعا نداء النكرة ، لأن نداء النكرة أية نكرة ، مما لا فائدة فيه ، ولا أظن العرب كانوا يرتكبونه ، ولو كان الفراء ينزع منزعاً بصرياً لما تردد في قبول نداء النكرة ، لأن النكرة (غير المقصودة) أحد أنواع المناديات التي أقرتها الاعتبارات البصرية العقلية في التقسيم .

وقد بنى الدكتور الأنصاريّ كلامه هذا على افتراض الغفلة في الدارسين أيضاً ، لأنه استند في تصيّد النزعة البصرية لمذهب الفراء إلى كلام البغداديّ الذي نقلته هنا ، ولكنه أخذ منه ما يتعلق بالفراء ، موهماً الدارسين أن ذلك رأي الفراء وقولُه وحدَه ، ولم يشرك الكسائي في هذا كما فعل البغدادي لئلا يورّط نفسه في جر الرئاسة لمذهب البغداديين الى الكسائي أيضاً ، ولئلا يلصق بالكسائي النزعة البصرية التي ألصقها بالفراء ، ليستقيم له القول بأن مذهب الفراء يجمع النزعات الكوفية إلى النزعات البصرية ، وبأن الفراء هو مؤسس المذهب البغدادي .

والدكتور الأنصاري ، مع ذلك ، واهمٌ هنا أيضاً ، لأن التقدير الذي يعدّ سمة بارزة من سمات المذهب البصريّ هو التقدير الذي يتعسف فيه البصريون ، ويتكلّفونه لاعتبارات عقلية خالصة ، كالتقدير الذي تكلفوه في مثل قوله تعالى:

---

(١) خزانة الأدب ٣١٣/١ .

« وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْه » ، فقد فرضوا تقدير فعل واجب الحذف قبل (أحد) مفسَّر بالفعل المذكور ، ليكون (أحد) فاعلًا له ، ولئلا يجعلوا (أحداً) فاعلًا بالفعل المتأخر ، لأن ذلك عندهم محال ، لأن الفاعل لا يتقدم على الفعل ، لأنه بمنزلة الجزء منه ، وهو التقدير الذي رفضه الفراء وسائر الكوفيين ، كما قال الأنصاري نفسه حين عرض لمظاهر النزعة الكوفية عند الفراء[1] .

أما التقدير الذي يفرضه الأسلوب ، وتقتضيه ظروف القول أو مناسبات الخطاب فلا يأباه أحد من البصريين أو الكوفيين ، كتقدير مضاف في مثل قوله تعالى : « واسأل القرية » ، وقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفاً صفا » ، أي : أهل القرية ، وأمر ربك .

وكمصطلح (الفعل) بإزاء (المصدر) عند البصريين ، ان تسمية المصدر بهذا الاسم تعود إلى زعم البصريين أنه أصل المشتقات ، والمصدر الذي صدرت عنه سائر المشتقات ، وهو ما أبطله الدرس اللغوي الحديث ، فقد ثبت لدى اللغويين المحدثين أن الفعل في اللغات السامية هو الأصل ، وأما ما سمي بالمصدر فمشتق منه .

وتسمية الفراء (المصدر) بالفعل تسمية لغوية سليمة ، لأن (المصدر) إنما هو « اسم ما سوى الزمان من مدلولي الفعل » على حد قول ابن مالك ، ولا فرق بينه وبين الفعل إلا من حيث الدلالة على الزمان ، هذا إذا أخذ (المصدر) مفرداً غير مؤلف ، أما اذا استعمل مؤلفاً فإنه يستعمل استعمال الفعل ، ويجري في الكلام مجراه ، كقوله تعالى : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً » او كقوله تعالى : « زين للكثير من المشركين قتلُ أولادهم شركاؤهم » ، وكقول العرب :

فصبراً في مجال الموت صبراً　　فما نيل الخلود بمستطاع

(١) أبو زكريا الفراء ٣٧٧ .

وقولهم : سقياً ورعياً ، وقولهم: أتوانياً وقد جدّ قرناؤك ، أو غير ذلك من الأمثلة التي يعسر حصرها .

فتسمية الفراء إياه فعلًا تسمية لغوية تنطلق من مفهوم كوفيّ للدرس النحوي، لا من إرادة متعمدة الى مخالفة البصريين ، كما زعم الدكتور الأنصاري متابعاً فيه أبا الطيب اللغوي في مراتب النحويين [١] . وإن توهُّم قصد المخالفة في عمل الفراء ينزل بالفراء الى طبقة أدعياء الدرس المتعالين ، ولن يجرؤ دارس عرف الفراء وأثره في الدرس النحوي أن يورِّط نفسه بارسال مثل هذا الزعم إرسالاً متعسفاً ومتعجِّلًا .

وكمصطلح (المستقبل = يفعل) الذي وضعه الفراء بإزاء (الفعل المضارع) عند البصريين . ولا ريب أن تسميته بهذا الاسم تشير الى منزلته بين صيغ الأفعال الزمنية ، لأن الذي يميز الفعل من سائر أقسام الكلمة هو ما في صيغته من دلالة على الزمان ، أما التسمية بالفعل المضارع فلا إشارة فيها الى الزمان ، لأن المضارعة المتوهمة في بناء (يفعل) هي المضارعة للاسم ، وكون الفعل مضارعاً للاسم مخرج له عن طائفة الأفعال ، ومهمل فيه دلالته على زمان .

ومن الغريب أن يردد الدارسون البصريون ومتابعوهم أقسام الفعل دون أن يعوا أن هذا التقسيم لا يشير إلى الدلالة الزمنية بقدر ما يشير إلى فكرة العامل، وتأثير العامل في المعرب من الأفعال ، وهو ما سموه بالمضارع ، لأن ما يرمي اليه البصريون بالمضارعة هو خروج (يفعل) من ملاك الأفعال أعني البناء .

هكذا سائر المصطلحات التي وضعها الفراء بإزاء مصطلحات البصريين ، وسدّ بها فراغاً كان يحس به فيها ، ومنحها دلالات كانت تفتقر إليها ، فلو كان الفراء ينزع منزع البصريين لما تردد في الإبقاء على مصطلحاتهم ، ولكنه دارس من طراز جديد ينزع الى مذهب ناشىء جديد هو المذهب الذي وضع الكسائيّ

(١) ابو زكريا الفراء ٣٦٧ .

رسومه ، وتعهّده الفراء من بعده فاستوى على يديه مذهباً مكتملاً واضح المعالم أعني ما سمي فيما بعد بمذهب الكوفيين .

وأما الثالث فقد زعم الدكتور الأنصاري أن من مظاهر النزعة البصرية عند الفراء : « تخطئة العرب والتهجم على القراءات السبع »[1] .

أما تخطئة العرب في لغتهم فزعم متعسف واتهام مفتعل جرّ الباحث اليه وهم مرده عبارات موهمة جرت على لسان صاحبه ، كقوله : « وربما غلط الشاعر » أو « يغلطون » أو غيرهما ، وقد ظنّ منها أنه يخطّىء العرب ويلحّنهم ، وإذا أنعمت النظر في كلامه وكلام الأنصاري وضح لك أن الأنصاري كان قد غلط في فهم معنى (الغلط) الذي جرى به قلم الفراء ، او جرى على لسانه .

وقد زعم الأنصاريّ أن الفراء في تخطئة العرب إنما كان ينزع منزع البصريين في موقفهم من كلام العرب ، وتخطئتهم في لغتهم ، وزعم أن الفراء كان يتابع الخليل بن أحمد « فالخليل بن أحمد يخطىء العرب في لغتهم ، كما يرويه سيبويه في كتابه عند حديثه عن جحر الضب الخرب »[2] . وهو زعم بادٍ عليه التسرع ، فلو كان أعاد النظر فيما تحدث به سيبويه في هذا الموضع الذي أشار إليه لما ورّط نفسه في هذا الزعم ، ولما بقي ماضياً في اتهام صاحبه .

أمّا ما ذكره عن الخليل فليس فيه ما يدعم زعمه ، فقد أورد سيبويه كلام الخليل في معرض كلامه على النعت الذي يجري على غير وجه الكلام فقال : « ومما جرى نعتاً على غير وجه الكلام : هذا جحر ضبٍّ خربٍ ، فالوجه الرفع ، وهو كلام أكثر العرب وأفصحهم ، وهو القياس ، لأن (الخرب) نعت الجحر والجحر رفع ، ولكن بعض العرب يجرّه ، وليس بنعتٍ للضب ، ولكنه نعت للذي أضيف إلى الضب فجروه لأنه نكرة كالضب ، ولأنه في موضع

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٣ .
(٢) » » » ٣٨٤ .

يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد ... وإنما يغلطون إذا كان الآخر بعدّة الأول، وكان مذكراً مثله أو مؤنثاً[١] .

واتخذ الأنصاريّ من هذا مثالاً لتخطئة الخليل العرب، وهو وهم، لأن الخليل لم يخطىء العرب في إتباعهم الخرب، للضب، وجرّهم (الخرب) لمجاورته (الضب)، لأنه لم ينكر وروده عن العرب، بل أثبت وجوده وعلّل له بقوله: « لأنه نكرة كالضب، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد »، والذي من شأنه أن يخطىء العرب لا يهمه أن يعتذر لهم، أو يعلل لهم بمثل ما علل به، وكل ما قاله الخليل هو أن الرفع هو القياس، والقياس هنا يستند إلى قول أكثر العرب، أما الآخرون فكانوا يخالفون فلم يرفعوا، وجرّوا لأنهم توهموا أنه نعت للضب، لأنه نكرة مثله، ولأنه في موضع يقع فيه نعت الضب، ولأنه صار هو والضب بمنزلة اسم واحد، وليس هذا تخطئة ولا تلحيناً، ولكنه توجيه وتصحيح .

والذي أوهم الدكتور الأنصاريّ بتخطئة الخليل العرب قوله: « وإنما يغلطون... الخ .. » ظاناً أن (يغلطون) بمعنى يخطئون، أو يلحنون، وهو وهم، لأن (الغلط) هنا معناه التوهم، والتوهم أسلوب عربي شائع لا سبيل إلى ردّه، ولم ينكره الخليل، ولا جاء في كلامه ما يشير إلى أنه خطأ أو لحن .

وللتوهم أمثلة كثيرة عرض لها الخليل وغيره، وفسروها تفسيراً جعلوا لها به وجهاً عربياً صحيحاً وإن خالفت القياس .

ومن أمثلة التوهم ما جاء في جواب الخليل عما سأله سيبويه عنه . قال سيبويه « وسألت الخليل عن قوله عزّ وجل « فأصّدّق وأكن من الصالحين » . بجزم (وأكنْ) فقال: « هذا كقول زهير:

(١) الكتاب ٢١٧/١ .

بدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابقٍ شيئاً إذا كان جائيا

فإنما جرّوا هذا لأن الأول قد يدخله (الباء) فجاءوا بالثاني وكأنهم قد أثبتوا في الأول (الباء) فكذلك هذا ، لمّا كان الفعل الذي قبله قد يكون جزماً ولا فاء فيه تكلموا بالثاني ، وكأنهم قد جزموا قبله ، فعلى هذا توهموا هذا[١] .

فقد صحّح الخليل الجزم في قوله تعالى : (وأكن) بقول زهير الذي يبدو أنه يمثّل ظاهرة شائعة في العربية . وما كان شأنه كذلك لا يكون لحناً ولا خطأً كما وهم الدكتور الأنصاريّ .

ومن أمثلته أيضاً : « همزهم مصائب ، وهو غلط منهم ، وذلك أنهم شبّهوا مصيبة بصحيفة ، فكما همزوا صحائف همزوا أيضاً مصائب ، وليست ياء (مصيبة) زائدة كياء صحيفة »[٢] ، وقد توهموا (مفعلة) فعيلة فهمزوا جمع (مصيبة) فقالوا : مصائب ، حملاً على (صحائف) جمع صحيفة وهي (فعيلة) ، وليس همز (مصائب) لغة قوم ، ولكنها لغة العرب جميعاً ، فقد « أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع مصيبة ، بالهمز »[٣] .

وكان الكسائيّ يبني على التوهم رأيه في منع (أشياء) من الصرف . لأن أشياء عنده : أفعال ، وقد منعت من الصرف عنده على توهم أن الألف فيها كألف (حمراء) ، وكان يقول : « أشبه آخرها آخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف[٤] .

وأما ما ذكره الأنصاريّ عن الفراء فليس اتباعاً للبصريين ، ولكنه فقه للغة ، وفهم للأسلوب ، ولا وجه لما زعمه من تخطئة العرب في لغتهم لتمسكه

(١) الكتاب ١/٤٥٢ .
(٢) الخصائص ٣/٢٧٧ .
(٣) لسان العرب ١/٥٣٥ .
(٤) لسان العرب ١/١٠٤ .

بالقياس » كما كان يفعل البصريون من قبله ومن بعده ومن بينهم الخليل بن أحمد وسيبويه إمام النحاة[١] » .

وقد مثل لتخطئة العرب بقوله في (معاني القرآن) : « وربما غلط الشاعر فيذهب إلى المعنى ، فيقول : أأنت ضاربني (بالنون) يتوهم أنه أراد : هل تضربني ، فيكون ذلك على غير صحة . قال الشاعر :

وما أدرى وظني كل ظن أمسلمني إلى قوم شراح

يريد : شراحيل ، ولم يقل : أمسلمي ، وهو وجه الكلام . وقال آخر :

هم القائلون الخير والفاعلونه
إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما

ولم يقل : الفاعلوه ، وهو وجه الكلام »[٢] .

وقد فهم الدكتور الانصاريّ من قوله : (وربما غلط الشاعر) أنه يريد : ربما أخطأ الشاعر أو لحن ، غير أنه إنما أراد : أنه ربما توهم ، وآية ذلك قوله : (فيذهب إلى المعنى) ، فذهابه إلى المعنى ليس لحناً ، ولكنه مخالفة لما عليه أكثر الاستعمال ، كما أن الفراء لم يرد بقوله : (وهو وجه الكلام) غير ما أراده الخليل بقوله : (والوجه الرفع) . وعلى هذا فلا وجه لتعقيب الانصاريّ على قول الفراء : « فانظر إليه كيف يهون عليه أن يخطىء شاعراً وآخر ، وربما كان هناك ثالث ورابع ، ولا يهون عليه أن يعدل قاعدة واحدة[٣] » .

وليس في هذا النص ، ولا في النصوص التي قبله ما يوصله إلى الجزم بتخطئة الخليل والفراء العرب في لغتهم إلا أن يكون قد فهم من كلمة (يغلط) ما يفهم منها اليوم ، وهو شيء لا يقرّه البحث .

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٣ .
(٢) أبو زكريا الفراء ٣٨٦ عن مصورته ص ٢٧٢ .
(٣) أبو زكريا الفراء ٣٨٦ .

ولو كان الفراء يخطّىء العرب متابعة للبصريين ، ونزوعاً إلى مذهبهم لخطّأ قول القائل :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

بإثبات الياء في (يأتيك) وهي في موضع جزم . وقول القائل :

هزيّ إليك الجذع يجنيك الجنى

ولم يقل : يجنك الجنى . وقول الآخر :

هجوت زبّان ثم جئت معتذراً من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

بإثبات الواو في (تهجو) وهي مسبوقة بلم[1] .

لو كان الفراء يُعنَى بالقياس ، ويغلو فيه ، ويخطّى العرب حين يخالفونه ، كما زعم الانصاريّ ، لما صحّح أمثال هذه الابيات ، مع أن فيها مخالفة صريحة للقواعد الموضوعة ، وللقياس المتبع .

والحق أن الأنصاريّ كان قد غلط في فهم معنى (الغلط) الذي جرى على لسان الخليل ، ولسان الفراء وغيرهما منسوباً الى العرب ، متابعاً السيوطيّ في وهمه حين عقد باباً خاصاً بمعرفة أغلاط العرب[2] ، وهو الباب الذي نقل السيوطيّ فيه نصّ ما جاء في الباب الذي عقده ابن جني في أغلاط العرب[3] ، وكأن السيوطيّ وابن جنّيّ معصومان عن الخطأ ، أو كأن كلامهما شيء لا يأتيه الباطل ، فاعتمد عليه في تحامله على صاحبه ، وعلى الخليل بن أحمد ، ولم يكلّف نفسه عناء البحث ، ولا جهد في أن يفهم حقيقة ما كانا يرميان إليه في نسبتهما الغلط إلى العرب ، ولا استطاع أن يوفق بين هذا واحترامهما المطلق لكل ما جاء عن العرب ،

---

(١) معاني القرآن ٢/١٨٧ ، ١٨٨ .
(٢) المزهر ٢/٤٩٤ .
(٣) الخصائص ٣/٢٧٣ .

واتخذ من كلام السيوطيّ وما احتطبه عشوا من كلام ابن جني منطلقاً إلى اتهام صاحبه واتهام الخليل من قبله في تخطئة العرب .

غير أن الوقوف الفاحص على كلام الخليل وكلام الفراء ، وربط أوائل كلامهما بأواخره ، ووصل أجزاء كلامهما بعضها ببعض يكفي لردّ الأنصاريّ وغيره إلى الصواب، وقد بينت فيما مرّ من نصوص ما كان الخليل والفراء يعنيان من كلمة (الغلط) ، وما كانا يفسران به ما خيّل لابن جني والسيوطيّ أنه خطأ أو لحن ، فقد كانا يوجهانه توجيهاً لغويـــاً سليماً ينفي عنهما شبهة أنهما كانا يخطئان العرب .

يؤيد هذا ما فسرّ به البغداديّ معنى (الغلط) الذي جاء في كلام سيبويه. قال البغداديّ ، « وزعم سيبويه أن قوماً من العرب يغلطون فيقولون : إنّهم أجمعون ذاهبون ، وإنك وزيد ذاهبان . وقال : « ومراد سيبويه بالغلط توهم عدم ذكر (إنّ) لا حقيقة الغلط ، كيف وهو القائل : إن العرب لا تطاوعهم ألسنتهم في اللحن والخطأ »[١] .

وهذا هو ما كان يعنيه الخليل والفراء حين ينسبون الغلط إلى العرب بقولهما: (وإنما يغلطون) أو (ربما غلط الشاعر) أو نحو ذلك ، وبهذا انهار الأساس الذي استند إليه الأنصاريّ في إثبات أن الفراء كان ينزع منزع البصريين في تخطئة العرب ، وبطل ما تصوره من خلط الفراء المذهبين ، ومن كونه مؤسس مذهب البغداديين .

وأما التهجم على القراءات السبع ، وهو الذي حاول الدكتور الأنصاريّ أن يلصقه بالفراء فليس في كلام الفراء ما يؤيده ، بل لا أحسبه إلا افتئاتاً عليه ، أو حملاً لكلامه على محمل لا يليق به ، وهل يليق بالفراء الذي ما فتىء يدافع عن

(١) خزانة الأدب ٤/٣٢٥ .

القرآن والقراءات ، ويدفع عنها نقدات المتحاملين عليها أن يوضع في موضع المتحاملين الطاعنين على القرّاء ، أو المتهجمين على القراءات ! !

غير أن الدكتور الأنصاريّ الذي رأى في الفراء طرازاً جديداً من الدارسين كان قد خطرت له فكرة ، أو تلقفها من غيره ، وصادفت في نفسه قبولاً فأراد أن يخرجها في رسالته حقيقة واقعة ، ولكنه لم يفلح ، ولم يوفق إلى ما أراد فوقع في التناقض ، واضطربت أقواله في صاحبه ، فبينا كان يراه سلفيّ النزعة إزاء القراءات كثير الاعتداد بالرواية ، سليم الطريقة في الدرس اللغويّ ، إذ به يتحامل عليه ، ويسمه بالتهجم على القراءات ، وبالحكم على قراءة سبعية بالبطلان ، ويحمّله وزر هذا التهجّم وهذا الحكم ، ويعدّ تحمّله هذا الوزر مأساة ، كل ذلك من أجل أن يخلص إلى أن الفراء كان طرازاً خاصاً تجتذبه نزعتان ، نزعة كوفية قوامها الاعتداد بالرواية ، ومجافاة القياس ، والابتعاد عن الاعتبارات العقلية ؛ ونزعة بصرية قوامها الغلوّ في القياس ، وتحكيم الاعتبارات العقلية في اللغة والقراءة .

ومن أجل أن يتمحّل في بيان تأثير النزعة البصرية في مذهبه أخذ يتمسك بأضعف القرائن وأوهى الدلائل ناشداً ذلك في غمزات المتعصبين على المذهب الكوفي ، وفي أقوال الدارسين الذين ورثوا التعصب عليه ، ويتشبث بتأويلات هؤلاء المتعصبين وتلفيقهم في الدسّ عليه .

وأخذ يتسقط للفراء أقوالاً في قراء لم يكونوا ثقة عند قراء آخرين ، ولم يخطّئهم الفراء ، ولكنه نقل تخطئة القراء إياهم ، أمثال يحيى بن وثاب ، ولم يلحنهم ، ولكن القرّاء أنفسهم الذين لحنوهم ، فجعل الدكتور الانصاريّ من ذلك ثغرة نفذ منها الى التحامل على صاحبه وتشديد النكير عليه ، واتهامه بالوقوف مع البصريين في التهجم على القراءات والتحامل على القرّاء ورميهم بالجهل ، حتى كان من اليسير عليه أن ينسب إلى صاحبه أنه يحكم على القراء بالجهل[1] ، غير أن

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٧ .

القراء حتى في القراءات التي ضعّفها القراء قبله لم يتحامل ، ولم يتهجم ، ولم أقف له على شيء من هذا في (معاني القرآن) .

لقد تمسك الدكتور الأنصاريّ بقراءة (طلحة بن مصرّف) قوله تعالى : « قال لمن حوله ألا تستمعون ، قرأها طلحة بكسر اللام في (حوله) ، ولم يخطئها الفراء ، ولكنه رواها ، فقال : « وحدث مندل بن عليّ العنزيّ عن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم النّخعي وطلحة بن مصرّف يقرأ (قال لمن حوله ألا تستمعون) بنصب اللام من (حوله) فقال إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هي (لمن حوله) قال : قلت : لا إنما هي (حوله) قال : فقال إبراهيم : يا طلحة كيف تقول ؟ قال : كما قلت : لمن حولهِ . قال : قال الأعمش : قلت : لحنتما لا أجالسكما اليوم »[1] وهذا هو كل ما جاء في (معاني القرآن) مما يتعلق بهذه القراءة ، ولم يعلّق عليها بشيء ، ولا خطّأ صاحبها ، ولا رماه بالجهل ، ولو صح ما نسبه إليه الدكتور الأنصاريّ لما كان في تخطئته إياها بأس ،لأن ـ الأعمش الذي حدّث بهذا ،وكان أحد الذين أخذ عنهم حمزة ابن حبيب الزيات أحد القراء السبعة هو الذي لحّن هذه القراءة قبله ،وليس الأعمش نحوياً بصريّاً يخضع القراءات للقياس ، وكان علماء القراءة قد قسموا القراءات أقساماً منها المتواتر ، ومنها المشهور ومنها الآحاد ، ومنها الشاذ ، فالمتواتر ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، والمشهور ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ، والآحاد وهو ماصح سنده وخالف الرسم أو العربية ،أولم يشتهر ولم يقرأ به ، والشاذ وهو ما لم يصح سنده .[2] أفكان علماء القراءة ينزعون إلى مذهب البصريين في تمسكهم بالقياس وتحكيم العقل في القراءات؟ومع ذلك كان أبو زكريا في عرضه لهذه القراءات أشدمايكون تحرجاًأن يخطئها أويتحامل عليها.

(١) معاني القرآن ٧٦/٢ .

(٢) الإتقان ٧٧/١ .

وتمسك أيضاً بقراءة الأعمش ويحيى بن وثاب (بمصرخيّ) بخفض الياء ، وراح يتحامل على صاحبه ، لأنه قال فيها : « ولعلها من وهم القراء طبقة يحيى ، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم »[١] مع أنه صححها حين قال : وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قال لها هل لك ياتا فيِّ قالت له ما انْتَ بالمرضيِّ

فخفض الياء من (فيّ) فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيخفض الآخر منها ، وإن كان له أصل في الفتح ، ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مذُ اليوم ومذِ اليوم ، والرفع في الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة (مذ) ، والخفض جائز ، فكذلك الياء من (مصرخيّ) خفضت ولها أصل في النصب»[٢].

وتمسك أيضاً في التحامل على أبي زكريا بقراءة زهير الفرقبيّ « متكئين على رفارف خضر وعباقريّ حسان » وبموقف أبي زكريا منها ، فقد نقل من مصورته مانصه : « حدثني معاذ بن مسلم بن أبي سارة قال : كان جاري زهير الفرقبيّ يقرأ (متكئين على رفارف خضر وعباقريّ حسان) فالرفارف قد تكون صوابا ، وأما العباقريّ فلا ، لأن ألف الجماع لايكون بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح ، وعقب عليه بقوله: «فأنت تراه يحكّم القاعدة الصرفية في قراءة واردة ، ويرفضها ، لأنها لا تتفق مع القاعدة »[٣] .

ثم أخذ يناقش أبا زكريا ، فذكر أن في تعليله نظراً ، لأن ألف الجمع لم يقع بعدها أربعة أحرف ، ولا ثلاثة صحاح ، فتأمل ، اللّهم إلاّ أن يقال إنه اعتبر الياء المشددة ، فيكون مجموع الحروف بعد الألف أربعة ، وحينئذ نقول له : إن ياء النسبِ لاتدخل في الحسبان ، فالمفرد (عبقريّ) منسوب إلى

(١) معاني القرآن ٢/٧٥ . أبو زكريا الفراء ٣٨٨ .

(٢) معاني القرآن ٢/٧٦ . أبو زكريا الفراء ٣٨٩ وقد نقل النص من خزانة الأدب لامن مصورته الخاصة التي كان يحيل عليها الدارسين كثيراً .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٨٧ .

عبقر ، والجمع عباقريّ [١] .

ولا ريب أن الدكتور الأنصاريّ قد تمحل في هذا التعليق ، وتعسف، لأن الفراء لايرى الياء في (عبقريّ) ياء النسبة، ولأن (عبقريّ) ليس مفرداً عنده، وليس الذي ظن أنه وقع له للرد على الفراء بمـا كان الفراء يغفل عنه ، ولكـي ألفت انتباه الباحث الفاضل إلى ذلك أستشهد لهبقول ابن منظور في اللسان ،قال: « قال الفراء : العبقريّ : الطنافس الثخان ، واحدتها : عبقرية » [٢] .

ونسب القرطبيّ هذا الرأي إلى قطرب فقال : « قال قطرب : ليس (يعني العبقريّ) بمنسوب ، وهو مثل كرسيّ وكراسيّ ، وبختيّ وبخاتيّ » [٣] .

ثم إن إنكاره (عباقريّ) ليس لأنه خالف قاعدة صرفية ،كما وهم الباحث، بل لأنه خالف أسلوب العربية في الجمع ، وقد عرض القرطبي لهذه القراءة فقال: « وقرأه بعضهم (عباقريّ) وهو خطأ ، لأن المنسوب لا يجمع على نسبتـه » ، ودعم رأيه هـذا بما روى عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قرأ : « متكئين على رفارف خضر وعباقر حسان » [٤] .

بهذه الامثلة المعروضة عرضاً خطابياً راح الدكتور الانصاريّ يتحامل على الفراء ، ويحاول إقناع الدارسين بانحيـازه إلى البصريين ، وراح يوجه تصحيـح الفراء لقراءة الاعمش (بمصرخيّ) بخفض الياء توجيهاً فظيعاً ، فقـال : « انظر معي إلى موقف الفراءمن هذه القراءة كيف أنكرها ، ثم عاد يتلمس لها بعض الوجوه . أكبر الظن أنـه حين أنكر ما أنكر كان ينظر إلى القراءة من حيث هي قراءة فحسب ، ولهذا خطّأ قارئها ، ورماهم بالوهم جريا على منهج البصريين في عدم الاعتداد بالرواية ، ولو كانت في قراءات القرآن الكريم، ثم لما سمع بيتاً

(١) أبو زكريا الفراء ، ذيل ص ٣٨٧ .

(٢) لسان العرب ٤/٥٣٥ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٩٣ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٧/١٩٢ ، ١٩٣ .

من الشعر بدأ يتلمّس الوجوه على عادة النحويين البصريين أيضاً من احترام الشعر أكثر من الروايات القرآنية مع الاسف ، أكلّ هذا نراه من الفراء ويظل فيها تشكك أو ظل من التردد في أنه تأثر بالبصريين إلى حد كبير »[1] .

بمثل هذا التوجيه واللعب بالالفاظ أراد الدكتور الانصاريّ أن يقنعنا بأن الفراء كان قد تأثر بالبصريين إلى حدّ كبير ، وأن يصوّر الفراء في صورة دارس كان يتعمد مخالفة القراءات لانها قراءات ، ونسي حديثه عن سلفية الفراء في موقفه من القراءات .

لا أدري كيف فهم أنه أنكر هذه القراءة لانها قراءة ، ثم صححها لانه سمع بيتاً من الشعر يحكيها ؟ ومن هؤلاء البصريون الذين تحدث عنهم وزعم أنهم يحترمون الشعر أكثر من القراءات ؟ وأين رأى هذا وتحقق منه ؟ هل رآه عند النحاة البصريين الذين عاصروه كسيبويه والجرميّ والمازنيّ ؟ وهل رآه عند البصريين الذين سبقوه كالخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب ؟ . إن مثل هذا الزعم المرسل لايليق بجدّ البحث ، ولا يصمد أمام منهجه .

ثم يواصل الدكتور الانصاريّ حملاته على الفراء ، متابعاً البغداديّ في تلفيقه المزاعم ، وتحريفه النصوص ، فقد عرض البغداديّ لمقالة الفراء في تفسيره قوله تعالى : « وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » حاذفاً بعض كلامه ، وموصلاً بعض الأجزاء ببعض ، حتى بدا الفراء وكأنه يبطل قراءة من القراءات السبع .

ومن المفيد أن أنقل هنا نصّ كلام الفراء في تفسير هذه الآية من سورة الأنعام ، ليكون الدارس على علم بما يكون عليه حال المحرّفين من ذوي الأهواء. قال الفراء : « وفي بعض مصاحف أهل الشام (شركايهم) بالياء ، فإن تكن

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٨٩ .

مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ (زُيِّنَ) وتكون الشركاء هم الاولاد لانهم منهم في النسب والميراث ، فإن كانوا يقرؤون (زَيَّنَ) فلست أعرف وجهها إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا ، ثم يقولون في تثنية الحمراء : حمرايان ، فهذا وجه أن يكونوا قالوا : (زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتل أولادهم شركايهم) ، وإن شئت جعلت (زَيَّنَ) إذا فتحته فعلا لإبليس ، ثم تخفض الشركاء باتباع الاولاد . وليس قول من قال : إنما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتها متمكنا زجّ القلوص أبي مزاده

بشيء ، وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية »[1] .

نقل الانصاريّ هذا النص إلى قوله : (فلست أعرف جهتها) ولكنه صحّف هذه العبارة على نحو ما فعل البغداديّ ، فقد جاءت العبارة في الخزانة :(قلت: لا أعرف جهتها) ، فقول الفراء ، (فلست) صار فيما نقله البغداديّ : (قلت) ثم زاد (لا) .

أثبت الانصاريّ عبارة (لا أعرف جهتها) ثم لم يتمّ النص ، واتخذ من قول الفراء : (فإن تكن مثبتة عن الأولين) دليلا على تشككه في قراءة سبعية ، وهو وهم وتعسف ، لان الفراء كان في توجيه ما في بعض مصاحف أهل الشام يقلب الامر على وجوهه المحتملة ، ثم يوجّه كلّ وجه على حدة ، بالشكل الذي تستريح إليه نفسه ، ولكنّ الانصاريّ بتر النص وشوّهه لكي يوجه نقده إلى عمل الفراء ، ويتحامل عليه .

ولمّا أحس بأن هذا البتر لم يسعفه في تحقيق غرضه توسل بكلام آخر للفراء أشار فيه إلى هذه القراءة إشارة عابرة ، وكان الفراء يقول في تفسير قوله تعالى من سورة إبراهيم : « مخلف وعده رسله » : « وليس قول من قال : مخلف

(١) معاني القرآن ١/٣٥٧ ، ٣٥٨ .

وعده رسله » ولا « زُيّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم » بشيء ونحوِ أهل المدينة ينشدون قوله :

فزججتها متمكنـــا زجّ القلوص أبي مزاده

قال الفراء : « باطل والصواب : زج القلوص أبو مزادة »[1] .

فحرّف الأنصاري النصّ ، وجعل قول الفراء : (باطل) بعد ذكر الآية، وقوله : (ونحوِ أهل المدينة ..) بعد قوله (باطل) فهيأ له هذا التحريف أن يزعم أن الفراء كان يحكم على قراءة سبعية بالبطلان .

وقابلت كلامه في كتابه بكلام البغداديّ في الخزانة فإذا هو هو مما يدل على أنه لم ينقل النص من مصورتـه التي أكثر من الإشارة إليهـا ولا المطبوع من (معاني القرآن) بل نقله من الخزانة[2] ، كلمة كلمة وحرفاً حرفا ، مـع أنه أشار في نهاية النص إلى ص ١٦٥ من مصورته موهماً أنه نقلهـا من كلام الفراء لا من كلام البغداديّ .

ولما ظن أن الأمر قد أحكم تمويهه وإيهامه أخذ يحمل على الفراء في أسـلوب خطابيّ لا مكان له في بحث علمي ولا في رسالة جامعية ، ويقول : « فانظر الى الفراء تنتابه النزعـة البصرية فيخرج عن طبيعته السمحة من ناحية ، وعن منهج الكوفيين السليم إزاء القراءات من ناحية اخرى ، فيحكم على قراءة سبعية بالبطلان استجابة لتحكيم القياس في منهجه الذي تأثر بمنهج البصريين الى حد بعيد»[3].

غير أن الدارس لا يسعه إلا أن يأسف أن يُرْتَكَبَ في حق الدرس ما ارتكبه الدكتور الأنصاري في حقه ، وفي حق أحـد النابهين من أعلامه من أجل أن يثبت فكرة خيالية من صنع محدثين سبقوه ، ولم يقدموا الدليل عليها ،

---

(١) معاني القرآن ٢/٨١ ، ٨٢ .

(٢) الخزانة ٢/٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) أبو زكريا الفراء ٣٩٠ .

ولا استطاعوا أن يجعلوا منها حقيقة واقعة ، أعني فكرة المذهب النحوي الثالث الذي يقوم في خيالهم الخصب على أساس اختيار مزايا كلا المذهبين وتوحيدها في مذهب منتخب مختار هو المذهب البغدادي .

فإذا رجعت الى النص الذي نقلته من (معاني القرآن) لم تجد فيه طعناً على قراءة ، ولا تهجماً على ابن عامر ، بل لم يرد فيه اسمه ، ولا جاء فيه إشارة الى نسبتها إليه . وغريب أن يفهم الدكتور الأنصاري من كلام الفراء في هذا النص أنه قدح بقراءة سبعية متواترة إلا أن يكون قد أخذ بما زعمه البغدادي من أن الفراء هو الذي « فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر »[1] .

الحق أن هذا الادعاء هو المأساة ، لأن الفراء لم يتشكك في قراءة سبعية حين قال : (فإن تكن مثبتة عن الأولين) ، ولكنه عبّر بقوله هذا عن أن مثل هذا لم يصل إليه ، واذا قال : (فلست أعرف جهتها) فقد كان أميناً مع نفسه ، ومنسجماً مع منهجه ، فلم يرد أن يتّهم قارئاً بالجهل ، ولا أن يوجّه القراءة توجيهاً تمليه عليه الصناعة ، بقرينة أنه راح يوجه ما احتمل أن أهل الشام كانوا يقرؤون ، بأنهم إن كانوا قد قرؤوها فعلاً فلا بد أنهم كانوا آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا ، وهذا تصحيح للقراءة لا تشكيك فيها .

ولو كان الدكتور الانصاري قد اتهم الفراء بعدم الوقوف على مثل هذه القراءة لكان أقرب الى فهم النص من محاولة اتهامه بالتشكك في قراءة سبعية متواترة .

أما قول الفراء (باطل) ، وهو الذي اتخذه الأنصاري ذريعة للتحامل عليه فلم يكن موجهاً إلى القراءة ، ولكنه كان موجهاً إلى تفسير نحويي أهل المدينة ، وحملهم ما كان في بعض مصاحف أهل الشام على قول الشاعر ، (فزججتها الخ ..)

---

(١) خزانة الأدب ٢/٢٥٤ .

فقد جاء قول الفراء : (باطل) عقب ايراد البيت وانسجم مع قوله بعده : « الصواب : زج القلوص أبو مزادة » .

والذي يؤكد أن الدكتور الأنصاري إنما كان ينظر إلى الفراء من الزاوية التي كان ينظر إليه منها البغدادي وغيره أنه لم يرد أن يصدّقَ حتى مقالة أئمة التصعب على الكوفيين ، فقد عمد إلى كتب الخلاف بين البصريين والكوفيين ، وإلى كتاب (الإنصاف) خاصة عساه أن يجد أبا البركات ينسب هذا الرأي الى الفراء ، ولكنه لم يجد فيه شيئاً مما أراد ، وكبر عليه ألا يجد في كلام أبي البركات ما يدين الفراء ، وعزّ عليه أن يخيب أبو البركات ظنه فراح يلومه ، لأن « عدم التصريح باسم الفراء أحدث نقصاً ولبساً حيث يفهم القارىء أي قارىء أن الفراء داخل في الكوفيين ، وأنه قال بمقالتهم ، والواقع غير ذلك ، فإنه كان مع البصريين ، بل إنه سبق البصريين جميعاً فكانوا معه »[١] .

غريب أن تغلي الحماسة في نفس الدكتور الأنصاري ، وتغطي العاطفة المتقدة على تفكيره فيقول باندفاع الخطيب لا بأناة الباحث : « لئن كان هناك وزر يتحمله باحث ما ، إنّ وزر هذا الطعن على قراءة سبعية أول ما يقع على كاهل صاحبي أبي زكريا »[٢] . أو يقول : « إن الفراء كان أول من فتح باب الطعن حقاً فليتحمل جريرة ما قدمت يداه »[٣] . أو يقول : « هذا إلى أن البصريين لم يروا بأساً من اتباعه والاقتداء به حين رأوه يقف في طليعة الصف البصريّ يتهجم على القراءات ، ويحكّم فيها القياس والقوانين التي وضعوها بأيديهم »[٤] .

وهذا منطق لا ينبغي أن يسيطر على تفكير باحث ، وحماسة لا يجوز مثلها في بحث علمي ، واذا جاز أن يصدر عن مثله باحثون غير منهجيين فلا يجوز أن

---

(١) أبو زكريا الفراء ٣٩٢ .
(٢) أبو زكريا الفراء ٣٩١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) أبو زكريا الفراء ٣٩١ .

يصدر عنه باحث يدعي المنهجية ، ويرى أن المنهج يقتضي الدارس أن يسلم نفسه للبحث عن الحقيقة أياً كانت الحقيقة[1] ، وافقت رغبته أم لم توافقها . وهل الحقيقة التي ينشدهـا الأنصاري هي تبنيه هـذه (النظرية) ، وزعمه أنه استطاع أن يتخـذ منهـا نظرية علمية مؤيدة بالحجج والبراهين ؟

وأين تقع الحقيقة التي يتحدث عنها المؤلف ؟ أفي الباب الأول الذي كان الفراء فيه سلفيّ النزعة في احترامه القراءات ، وتمسكه بالإجماع أو اعتداده بالرواية ، واحتجاجه بالحديث أم في الأبواب الاخرى التي وقف الفراء فيها في طليعة الصف البصري يطعن على القراءات ، ويتحامل على القراء ، ويحكم عليهم بالجهل ، ويسابق البصريين القياسيين في تخطئة العرب في لغتهم ؟!!

الحق أن الفراء بدأ سلفي النزعة في دراسته القرآنية واللغوية ، وانتهى سلفي النزعة فيها أيضاً ، وأن في أقواله وآرائه وكتبه أكثر من شاهد على عنايته بالقرآن والقراءات ، وتحرّجه في مخالفة نصوص الكتاب وإن تعارضت مع القواعد الموضوعة ، واتخـاذ القراءات مصدراً من مصادر الدرس اللغوي والنحوي عنـده ، وصلابته في الدفاع عن القراءات ورد حملات أهل القياس عليها .

ومن ذلك : دفاعه عن قراءة حمزة قوله تعالى : « لا تخف دركا ولا تخشى » بجزم (لا تخف) ورفع (ولا تخشى) ، فقد قال : « ولو نوى حمزة بقوله : (ولا تخشى) الجزم وإن كانت فيه الياء (يريد الفراء المرسومة بالياء) كان صواباً ، كما قال الشاعر :

هزّي إليك الجذع يجنيك الجنى

ولم يقل : يجنك الجنى . وقال الآخر

هجوت زبّـان ثم جئت معتذراً   من سبّ زبّان لم تهجو ولم تدع

---

(١) أبو زكريا الفراء ٥١١ .

ولم يقل ، لم تهج . وقال الآخر :

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

فأثبت في (يأتيك) الياء ، وهي في موضع جزم لسكونها فجاز ذلك »[١].

فقد صحح الفراء هنا قراءة حمزة ، وأيدها بشواهد من كلام العرب ، ولو كان ، كما زعم المؤلف ، لخطأ حمزة في قراءته هذه ، لأن القياس جزم الفعل بعد (لا) في النهي .

ومن ذلك : تحرّجه في تحميل الكتاب ما لا يحتمل من تقدير أو تأويل يقتضيه القياس ، كما كان النحاة البصريون يفعلون ، فقد عرض لآيات فيها شرط وليس له جواب ، فلم يقدر لها الجواب كما حرص بعض النحويين . ومن هذه الآيات قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه » ، ولم يقدر للشرط بمن جواباً لأنه « ربما تركت العرب جواب الشيء والمعروف معناه[٢] » . وأيد ذلك بقول الشاعر :

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

ثم عززه بشاهد من القرآن الكريم فقال : « وقال الله تبارك وتعالى ، وهو أصدق من قول الشاعر : (ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض) فلم يؤت بجواب[٣]

فالدارس الذي يجعل القرآن الكريم في المرتبة العليا من الفصاحة والصدق ، ويقول : « وهو أصدق من قول الشاعر » لا يواجه بمثل ما واجهه المؤلف من من تحامل وتهجم ولوم وتقريع .

---

(١) معاني القرآن ١٨٨/٢ .
(٢) معاني القرآن ٦/٢ ، ٧ .
(٣) معاني القرآن ٧/٢ .

أما أقواله الصريحة بتحرّجه في مخالفة الكتاب ، وتخطئة القراءات فكثيرة.

منها : ما جاء في تفسير قوله تعالى : « إن هذان لساحران » فقد قال : « قد اختلف فيه القراء ، فقال بعضهم : وهو لحن ، ولكنّا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب (١) .

ومنها: ماجاء عند عرضه لقراءة أبي عمرو بن العلاء: «إن هذين الساحران» فقد ذكر أنه احتج أنه بلغه عن بعض أصحاب النبيّ أنه قال: « إن في المصحف لحنًا وستقيمه العرب » فقال : « ولست أشتهي أن نخالف الكتاب »(٢) ثم أخذ يذكر القراءات المختلفة في « إن هذان الساحران » فذكر أن بعضهم قرأ : « إن هذان لساحران » خفيفة ، وأن عبدالله قرأ: «أن هذان اساحران» بهمزة مفتوحة ونون خفيفة وبترك لام التوكيد . وأن أبيًّا قرأ : (إن هذان لساحران) على جعل (إن) بمنزلة (ما) في النفي ، ثم قال : « فقراءتنا بتشديد إنّ وبالألف » .

وجاء النحاة فتأولوا في قراءة نافع وابن عامر وأبي بكر وحمزة والكسائيّ وأبي جعفر ويعقوب وخلف(٣) ، أو قراءة المدنيين والكوفيين(٤) ، وهي القراءة التي قال الفراء إنها قراءتنا ، وهي قراءة (إن هذان لساحران) بتشديد (إنّ) وبالألف ، التي كان أبو عمرو ابن العلاء النحويّ يقول فيها : « إني لأستحيي من الله أن أقرأ (إن هذان) (٥) .

ولكن الفراء تحرج في أن يدفع هذه القراءة ، وراح يوجهها توجيهاً يدفع عنها تحامل النحاة ، ويبعد عنها تأويلاتهم وتحملاتهم ، فليس في هذه القراءة عند

(١) معاني القرآن ٢/١٨٣ .
(٢) معاني القرآن ٢/١٨٣ .
(٣) معاني القرآن ٢/١٨٢ . — الهامش .
(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٦ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٦ .

الفراء خطأ أو لحن ، كما يفهم من قول أبي عمرو ، لأنها إنما تمثل أسلوباً عربياً فصيحاً ولأنّ لها في العربية وجهاً صحيحاً ، بل جعل الفراء (هذان) بالألف في الرفع والنصب والخفض هو الأقيس ، وأيدها بلغة بني الحارث بن كعب ، فهم « يجعلون الاثنين في رفعها ونصبها وخفضها بالألف وأنشدني رجل من أسد عنهم يريد بني الحارث :

فأطرق إطراق شجاع ولو يرى مساغـا لناباه الشجاع لصمّما

قال الفراء : « وما رأيت أفصح من هذا الأسديّ ، وحكى هذا الرجل عنهم : (هذا خطّ يدا أخي بعينه) ، وذلك وإن كان قليلاً أقيس »[1] .

وقد أيد القرطبيّ الفراء فذكر أنها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة ابن زيد ، وقال : « إن هؤلاء يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف ، يقولون : جاء الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان . وزاد القرطبيّ على ما ذكره الفراء فاستشهد بقوله : « كسرت يداه ، وركبت علاه ، يريد : يديه وعليه ، وبقول الشاعر :

إن أباها وأبا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاها

وحكى القرطبيّ عن أبي جعفر النحاس أنه قال : « وهذا القول أحسن ما حملت عليه الآية إذ كانت هذه اللغة معروفة ، وقد حكاها من يرتضى بعلمه وأمانته » ، وذكر من هؤلاء الذين يرتضي بعلمهم وأمانتهم أبا الخطاب الاخفش وأبا زيد الأنصاريّ والكسائيّ والفراء[2] .

وكان الفراء يقول : « حدثني أبو معاوية الضرير عن هاشم بن عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة أنها سئلت عن قوله في (النساء) : « لكن الراسخون في العلم منهم .... والمقيمي الصلاة » ، وعن قوله في (المائدة) : « إن الذين آمنوا

(١) معاني القرآن ٢/١٨٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/٢١٦ ، ٢١٧

والذين هادوا والصابئون » وعن قوله : « إن هذان لساحران » فقالت يابن أخي هـذا كان خطأ من الكاتب ، وقرأ أبو عمرو : « إن هذين لساحران » واحتج أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد ﷺ أنه قال : « إن في المصحف لحناً وستقيمه العرب . قال الفراء : ولست اشتهي على أن أخالف الكتاب »(١) .

لم يستسغ الفراء أن ينسب شيء من هذه القراءات إلى الخطأ واللحن ، لأن لكل قراءة منها وجهاً في العربية صحيحاً ، ولم يخطىء هذه القراءات ، أو يتهجم على الذين قرؤوا بها لمخالفتها القياس والقوانين الموضوعة ، كما اشتهى أن يصوره الدكتور الانصاري به ، ولكنه قال : « ولست أشتهي على أن أخالف الكتاب » ، كما قال عند عرضه لقراءة « إن هذان لساحران » : « لكنّا نمضي عليه لئلا نخالف الكتاب » .

وبعد فلو كان الدكتور الانصاري اكتفى أن يدرس الفراء ، ويجلو لنا نحوه ولغته وطريقته لأتى بالمفيد ، وتجنب الوقوع في المتناقضات ، ولكنه كان مأخوذاً بسحر الفكرة التي ابتدعها المحدثون ، وكان يريد أن يأتي بجديد لم يسبق إليه فسلك هذه السبيل الملتوية ، فلم تقل عثراته ولا اطردت خطواته ، ورأى نفسه في غمرة التناقض حتى لسدّ دونه الدرب الذي يوصله إلى غرضه .

وفات المؤلف الفاضل أن يعلم أنه بتحامله هذا ، وجريه وراء آمال كواذب كان قد نسف الدرس الكوفيّ الذي نظر إليه على أنه حقيقة تاريخية واقعة ، ووضع يده على مزاياه وخصائصه ، لانه حين تحدث عن مذهب البغداديين كان يتحدث عن مذهب مستخلص من مذهب واحد لا من مذهبين ، وعن درس يقف بإزاء درس واحد لا درسين ، لانه إذا أخرج الفراء من الكوفيين ، ورأى في الكسائي مزايا من المذهبين لم يبق له مذهب يسمّى بالكوفي ، ولم يبق بصنيعه

(١) معاني القرآن ٢/١٨٣ .

هذا من الدارسين الكوفيين غير أبي جعفر الرواسيّ الذي رجح أن يكون هو رأس مدرسة الكوفة ، غير أن الذي وصل إلينا من أقواله لم يسعف الدارس أن يستخلص منه مزايا مذهبية ، لانه لم يعرف له نحو ، ولم تعرف له طريقة ، ولم يكن أبو جعفر ليكون نحوياً ، ورئيساً لمذهب لولا العصبيات المذهبية التي اصطرعت فأضفت عليه سمات المؤسسين ، وزعمت له الرئاسة في النحو ، ولن يستطيع الدكتور الانصاريّ أن يسمّي لنا مصنفاً لأبي جعفر وقف عليه ، أو يذكر لنا أقواله النحوية التي يمكن أن يستخلص منها مزايا الدرس الكوفي ، وإذا انتفى أن يكون أبو جعفر الرواسيّ معدوداً في النحويين ، انتفى أن يكون للكوفيين مذهب معروف ، وإذا انتفى هذا وذاك انتقض كل هذا البناء الذي جهد الدكتور الانصاريّ في إقامته وسماه : « أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة » .

إن الذي أريد أن أهمس به إلى الباحث الفاضل هو أن هذه المزايا الجديدة بثالوثها : التحرر والمزج والتجديد ، إنما هي المزايا الكوفية نفسها ، وهذا الطابع المتميز الفريد إنما هو طابع الكوفيين ، لانهم هم الذين تحرروا من ربقة تحكيم العقل في الدرس اللغوي ، وهم الذين مزجوا ما تلقوه من نحو بصريّ بما أضافوا إلى الدرس اللغويّ من إضافات لها قيمة كبيرة ردّت إلى الدرس النحويّ اعتباره ثم هم الذين جددوا في أسلوب الدرس وحكّموا الاعتبارات اللغوية فيه ، وبنوا نحوهم على الأصول التي ينبغي أن يُبْنَى عليها من اعتداد بالنقل ، واحترام للقراءات ، واتساع في الرواية والنظر إلى البيئات اللغوية الموثوق بفصاحتها على أنها المورد الذي يصدر عنه الدرس النحويّ .

وأن الدرس الذي بدأ بعمل الكسائي ، وتعهده الفراء هو الدرس الذي وقف بإزاء الدرس البصريّ وسُمي فيما بعد بالدرس الكوفيّ ، وهو الدرس

البغداديّ الذي شهدته بيئات الدرس في بغداد بُعَيْدَ تمصيرها .

وأن اسم البغداديين ،الذي جرت به أقلام النحاة هو اسم للنحاةالكوفيين .

وأنّ فكرة (المذهب البغدادي) التي اخترعها المحدثون ، وتعهدتها أنت بالدرس المنهجي كما قلت ، فكرة لم تتجاوز حدود النظرية التي لم يوفق أصحابها الأولون ، ولا دعاتها الآخرون إلى إقامة الدليل عليها .

مهدي المخزومي



* * *

ملاحظات على وفيات الاعيان

تحقيق الدكتور إحسان عباس

المجلد الرابع (كانون الثاني (يناير) ١٩٧١ : – ط . بيروت . مطبعة الغريب

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

١ – ص أ من المقدمة: « أما النسخة (م) التي اعتمدنا عليها في الأجزاء السابقة ، ثم وقع فيها خرم كبير أشرنا إليه في موضعه ، فإننا سنهمل الاعتماد عليها بعد إذ توفر لدينا عدد غير قليل من النسخ » .

لو كان المحقق قد بذل جهده في الحصول على المخطوطات اللازمة ودرس هذه المخطوطات سلفاً لما وقع في هذا النوع من الاضطراب الذي لايقبله منهج التحقيق العلمي ، فلقد اعتمد نسخة غير مرتضاةفي الوقت الذي فاته اعتماد نسخ مرتضاة.

٢ – ص أ من المقدمة : « ذكرنا ست نسخ أسعفتنا في تحقيق هذا الجزء، وقد حصلنا على خمس نسخ اخرى لنجعل عملنا أدق وأوفى فيكون مجموخ النسخ التي راجعناها في تحقيق هذا الجزء (عدا نسخة المختار التي سنتحدث عنها منفردة) إحدى عشرة نسخة » .

معنى هذا أن العمل في الأجزاء السابقة أقل دقة لأنها لم تستفد مما يمكن أن يكون منها في هذه النسخ الجديدة ، ولا سيما النسخ الكاملة . وهذا يؤكد أمرين سبق أن أشرنا إليهما :

الأول : ما كان على المحقق من تأن حتى تجتمع لديه النسخ وينتهي من درسها

الثاني : إن بهذه الطبعة الجديدة حاجة إلى إعادة التحقيق والطبع لتأتي أجزاؤها كلها مقابلة على النسخ المخطوطة .

٣ - ص ب : « سؤال ليس من الممكن أن نجيب عليه » .

الصحيح : نجيب عنه .

٤ - (ذو الرُّمة غيلان) ص ١٢ :

على وجهِ مَيٍّ مِسحةٌ من ملاحة وتحت الثياب العار لو كان باديا

وردت مِسحة بكسر الميم ، والصواب أن ترد بفتحها - ينظر اللسان

٥ - ص ١٧ قال ذو الرمة :

فإن لا يكن إلا تعلُّلَ ساعةٌ قليلًا فإني نافع لي قليلهـــا

وقد وردت (ساعة) منصوبة ، والصواب أن تأتي مجرورة

٦ - (فتيان الشاغوري) ص ٢٥ :

وعهدي بكم تسمطون الجداء فما بالكم تسمطون التيوسا

أ - إذا كان لابد من ضبط الميم من تسمطون ، فليكن ذلك في الكلمة التي وردت في صدر البيت ليكون القارىء على علم بها مبكراً ، ولينتفع بعلمه لدي قراءة « تسمطون » الشطر الثاني .

ب - ضبط المحقق تسمطون بكسر الميم ، وليس ذلك من حقه ، لأن الميم هذه ترد على حالين : الكسر والفتح ، الفعل سمط من باب ضرب ونصر ، وعلى المحقق في هذه الحالة - إذا اشترط الضبط - أن يضع تحت الميم كسرة وفوقها فتحة ، لئلا يظن القارىء أن سمط من باب ضرب فقط .

علماً أن من المعجمات - كالمصباح المنير - ما يجعل سمط من باب قتل وضرب

٧ - (الفضل بن يحيى) ص ٣٢ : « وكان عمارة كاتب أبي جعفر المنصور ومولاه .... وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس»

وقال المحقق في الهامش : « رسالة الخميس هذه مما احتفظ به ابن طيفور في كتابه المنظوم والمنثور » .

أ - اسم الكتاب : المنثور والمنظوم .

ب – بود القارىء لو علم أكثر عن مكان رسالة الخميس من كتاب ابن طيفور لأن الكتاب لم يصل إلينا كاملاً وما وصل – مما يحتوي أمثال هذه الرسالة – ما زال مخطوطاً . وقد يخشى هذا القارىء أن تكون دلالة المحقق على ابن طيفور قد جاءت عن طريق « جمهرة رسائل العرب » لصفوت إذ أثبت رسالة الخميس لأحمد بن يوسف .

٨ – ٤٣ : وردت الأرقام الدالة على الحواشي هكذا : ١ ، ٢ ، ٢ ، ٢ ، ٣ ، ٤ . وهو خطأ صحيحه : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . (ينظر اضطراب آخر وقع ص ٤٧) .

٩ – (الفضل بن سهل) ص ٤٣ : « وقال فيه مسلم بن الوليد .... من جملة قصيدة :

أقمتَ خلافة وأزلتَ أخرى جليل ما أقمت وما وما أزلتا »

والمعقول أننا إذا أردنا أن نشير إلى المصادر التي ورد فيها هذا البيت ، أشرنا إلى أي مصدر آخر غير وفيات الأعيان الذي نحققه، ولكن المحقق لم يفعل أكثر من إحالتنا إلى ابن خلكان نفسه ، فقد دلنا الهامش على أن البيت ورد في « ديوان مسلم (الملحقات) : ٣٠٧ نقلاً عن الوفيات » ومعلوم أن هذا لا يعني أنه ورد في المطبوع من ديوان مسلم وإنما هو من عمل محقق الديوان الدكتور سامي الدهان (رحمه الله تعالى) إذ عمل ملحقاً ضمنه مالم يرد في المخطوطة لديه من شعر مسلم ، فنقل إلى الملحق – فيما نقل – هذا البيت عن ابن خلكان نفسه !

١٠ – ص ٤٧ : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ الحديد : ١٦) .

عندما تود آيات في المتن يعقبها المحقق في المتن نفسه باسم السورة ورقم الآية من السورة بين قوسين ، وليس هذا من حق المحقق لأن المتن خاص بالمؤلف

ولم يضع المؤلف اسم السورة وأرقام الآيات ، ولذا حسن بالمحقق أن ينزل هذه الفائدة ، كلما قصد إليها ، إلى الحاشية .

تنظر – مثلاً – ص ٥٤ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .

١١ – ص ٥٤ « وقال [الثعالبي] : اخترت من قصيدته [أي قصيدة عضد الدولة] البيت الذي لم يفلح بعده أبياتاً ، وهي .... » .

قد يكون نافعاً أن نذكر أن قول الثعالبي ورد في اليتيمة (تحـ – محيي الدين) ٢ : ٢١٨ هكذا :

« اخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله ... » .

١٢ – ص ٥٤ « ورد أحد أبيات عضد الدولة مضبوطاً هكذا :

مبرزات الكأس من مطلِعها ساقيات الراح من فاق البشر

بكسر اللام من مطلع ولا موجب تحقيقي لذلك ، وفي « القاموس » : طلع الكوكب والشمس طلوعاً ومطلَعاً ومطلِعا ظهر ، وهما للموضع أيضاً . والآية ﴿ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ (القدر : ٥) بفتح اللام .

١٣ – ص ٦٧ : «والوزير أنو شروان ... له تاريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور» ونقل منه العماد الأصبهاني في كتاب «نصرة الفترة وعصرة الفطرة » الذي ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلاً كثيراً » .

من باب الفائدة أني أملك مصورة (عن مخطوطة باريس) لكتاب العماد وقد جاء في مقدمته : « تأملت الكتاب الذي صنفه الوزير أنو شروان بن خالد بالفارسية وسماه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » .

ومن باب الفائدة كذلك أذكر أن العماد لم ينقل عن كتاب أنو شروان وإنما عرّبه واتخذه أساساً لكتابه ، فقد قال العماد نفسه في مقدمة كتابه : « .... حتى سامني من انعامه طوق عنقي ... أن أعرّب له الكتاب ، وأعتمد

فيه الصدق والصواب ، فايتمرت لطاعته ... فلما تم تعريبه ، وكمل تهذيبه ، رأيته مقتضب الافتتاح منقطع الاختتام ..... » .

١٤ – (القاسم بن المظفر ... الشهرزوري) ص ٦٩ : ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني في كتاب « الذيل » ثم ذكره في كتاب « الأنساب » في موضعين : أحدهما في نسبة الإربلي[١] .... والثاني في نسبة الشهرزوري[٢] وذكره ابن المستوفي في تاريخ اربل[٣] .. » .

وقد جاءت الحواشي هكذا :

١ الأنساب ١ : ١٥٢ ٢ – تاريخ اربل ، الورقة ٩٣ .

٣ – اللباب (الشهرزوري) .

والصحيح :

أ – أن تأتي الحواشي هكذا :

١ – الأنساب ١ : ١٥٢ ٢ – اللباب (الشهرزوري) .

٣ – تاريخ اربل ، الورقة ٩٣ .

ب – المعقول في الإشارة إلى كلام السمعاني إحالة القاريء إلى كلام السمعاني نفسه (في الأنساب) فذلك خير – كما رأينا – من الإحالة إلى اللباب (من كتاب الأنساب) لابن الأثير ، وأبسط ما في الأمر أننا نحقق نصاً ، وابن خلكان نفسه رجع إلى الأنساب فلم لا نرجع إلى الأنساب كذلك ؟ .

١٥ – (كلثوم ... العتابي) ص ١٢٢ – :

ما زلت في غمرات الموت منطرحاً قد غاب عني وجوه الأمر من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى لتنقذني حتى استللتَ حياتي من يَديْ أجلي

أ – منطرحاً ، قلقة لغوياً ، ومناسب أن نبحث عن وجه آخر قد يكون الأصح ، وقد بحثنا فوجدنا ، ففي الأغاني ١٣ : ١١٩ ، وفي ياقوت – معجم الأدباء ١٧ : ٢٧ : مُطرّحاً .

ب – كما أن في الروايات الأخرى ما يمكن أن يتخذ مـــادة للمقابلة – وربما التصحيح .

فرواية الأغاني :

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً قد ضاق عني فسيح الرأي من حيلي
ولم تزل دائبـــاً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

ورواية ياقوت :

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

١٦ – ص ١٢٤ : « قال الأصمعي: كتب كلثوم بن عمرو العتابي إلى رجل:

إن الكريم ليخفي عنك عسرته حتى تراه غنيـــاً وهو مجهود
وللبخيـــل على أموالـــه علل زرق العيون عليها أوجه سود
بُثّ النوال ولا يمنعـــك قلّته فكلُّ ما سدّ فقراً فهو محمود » .

الأبيات مشهورة على أنها لبشار وهي في ديوانه ٣ : ١٢٧ – ١٢٨ ،وقبلها:

ظل اليسار على العبـــاس ممدود وقلبه أبـــداً بالبخل معقود

وهي لبشار كذلك في الأغاني . وفي حاشية ص ١٢٧ من الديوان بيان عن نسبة هذه الأبيات وترجيح النسبة إلى بشار .

١٧ – ص ١٤٨ :« ... حسان بن نمير الكلبي المعروف بالعرقلة الدمشقي ...»

وقال المحقق في الحاشية :«ترجمة العرقلة في الخريدة (قسم الشام ١ :١٧٨).

ورجعنا إلى الخريدة – وهي ثقة – فوجدنا العرقلة : عرقلة .

هذا وقد صدر عن مجمع اللغة العربية بدمشق عـــام ١٩٧٠ « ديوان عرقلة الكلبي » .

١٨ – ص ١٥٢ « ... ما جراياته » .

وردت في طبعة الوطن ٢ : ٢١٠ : ما جرياته .

١٩ – (محمد بن ادريس الشافعي) ص ١٦٣ . .

مناسب لو ذكر المحقق « ديوان الشافعي » الذي جمعه زهدي يكن ، بيروت ١٩٦١ .

ص ١٦٨ « ولمامات [الشافعي] رثاه خلق كثير ، وهذه المرثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة ، وقد ذكرها الخطيب في « تاريخ بغداد » وأولها :

بلتفتيه المشيب طوالع زواجر عن ورد التصابي روادع
تصرفه طوع العنان وربما دعاه الصبا فاقتاده وهو طائع

. . . . . .

أم الهمكُ المغموم بالجمع عالم بأن الذي يُوعى من المال ضائعُ

. . . . . .

إذا المفظعات المشكلات تشابهت سما منه نور في دجاهن لامع . . »

أ – مناسب أن يحال في هذه القصيدة وضبط الاختلاف في عدد من كلماتها إلى الخطيب البغدادي ٢ : ٥٦ ، أو إلى الديوان الذي جمعه السيد محمد بدرالدين العلوي من شعر ابن دريد، القاهرة ، ١٩٤٦ص ٧٧ – ٧٨ ، وقد ذكر للقصيدة مصادر كثيرة .

ب – من الاختلاف في الرواية :

١ – تصرفه : وردت في تاريخ بغداد المطبوع : يصرفنه .

٢ – يوعى : يرعى

٣ – المفظعات : المعظلات ، وهي التي أثبتها جامع ديوان ابن دريد راجعاً إلى عدة مصادر .

٢٠ – (محمد ... الزهري) ص ١٧٨ : « مات في بيته بنَعْف ، وهي قرية

... ماتت بها أم حزرة زوجة جرير ، فقال من أبيات :

نعم القرين وكنتِ علق مضنة وأرى بنعف بلية َ الاحجارُ »

والمناسب

أ – وضع الجملة « وكنت علق مضنة » على وجه يرى القارىء أنها جملة اعتراضية .

ب – ضبط « بُلَيَّة » لجهل عموم القراء بها . جاء في معجم البلدان : « بُلَيَّة بالضم ثم الفتح هضبة باليمامة » .

ومما يذكر أن صدر البيت ورد لدى ياقوت هكذا :

كنتِ القرين وأي علق مضنة ...

٢١ – (محمد ... المستظهري) ص ٢٢٠ : « وكان ينشد :

خلت الديارُ فسدتُ غير مسوّد ومن العناء تفردي بالسؤدد

و ... هذا البيت من جملة أبيات في الحماسة » .

وأشار المحقق إلى أن « العناء » وردت في نسخة ر والمختار : البلاء ، وفي نسخة ن : الشقاء .

أ – هذه المقابلة مهمة جداً في مهمة المحقق . ولكننا إزاء هذا البيت في حالة خاصة لأننا نملك مصدر ابن خلكان ألا وهو « الحماسة » ، والحماسة تقول : « ومن الشقاء » . وهذا لنا فرصة للترجيح ولإثبات ما جاء في الحماسة في المتن علماً أن البيت برواية « ومن الشقاء » ورد في مصادر مهمة ، من ذلك رواية الجاحظ في « البيان والتبيين » ط سنة ١٩٤٩ ج ٣ : ٢١٩ ، ٣٣٦ ، وقد أشار محقق « البيان » الأستاذ عبد السلام هارون هـ ٣ : ٢١٩ ، إلى مصادر أخرى مهمة أوردت البيت على هذه الرواية « ومن الشقاء » ، وكذلك فعل في تحقيقه الحماسة بشرح المرزوقي ص ٨٠٦ .

هذا إلى أن النص الذي أثبته المحقق لم يقم على نسخة المؤلف .

ب - علق الدكتور إحسان عباس على كلمة « الحماسة » التي وردت في متن ابن خلكان قائلاً : « شرح المرزوقي : ٨٠٧ ، والأبيات لرجل من خثعم ، وورد البيت عند ياقوت (البقيع) منسوباً لعمرو بن النعمان البياضي » .

والتعليق نافع ولكنه ناقص ، فقد زاد هامش شرح الحماسة ص ٨٠٦ : « ونسب الجاحظ هذا البيت ... إلى حارثة بن بدر في البيان ٣ : ٢١٩ » . وواضح أن للجاحظ أهميته في مثل هذه الحال . وإننا لو تتبعنا تحقيق هارون للبيان ٣ : ٢١٩ لرأينا مصادر أخرى ترويه على «الشقاء» ولحارثة بن بدر .

٢٢ - (محمد ... الرازي) ٢٥١ : « أنشد ابن عنين :

يابن الكرام المطعمين إذا شتوا   في كل مسغبة وثلج خاشف ... »

وقوافي هذه الفائية : خاشف ، الراعف ، الخائف ، ثم :

وفدت عليك وقد تدانى حتفها   فحبوتهـــا ببقائها المستأنف

والمعقول أن ترد « المستأنف » مخففة على « المستانف »

ومناسب لو أحال المحقق على ديوان ابن عنين - وهو مطبوع ، دمشق ١٩٤٦ - وتقع الأبيات مع المناسبة التي قيلت فيها ص ٩٤ - ٩٥ ، وهي تلقي ضوءاً على رواية ابن خلكان .

ووردت « مسغبة » في الديوان : مخمصة .

٢٣ - ص ٢٥١ « ولابن عنين المذكور فيه قصيدة من جملتها :

ماتت به بدع تمادى عمرها   دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي

• • • • •

غلط امرؤ بأبي علي قاسه   هيهات قصّر عن مداه أبو علي » .

القصيدة في الديوان ص ٥٣ - ٥٥ ، وقد شكل المحقق (خليل مردم بك) منها ما يجب شكله : غلِط . وشرح « أبو علي » فقال : أبو علي هو الشيخ الرئيس ابن سينا .

نقول هذا لأن المحقق يلتزم أحيانا ذكر الديوان والمقابلة عليه ـ تنظر ص٤٣٢ (الرصافي) ، ٤٣٨ (ابن حيوس) .

٢٤ – (محمد ... الشهرستاني) ص ٢٧٤ : « مدينة جي بأصبهان يقال لها شهرستان ... وهي على نهر زرندورد ... » .

لدى ياقوت : زندروذ نهر مشهور عند أصبهان عليه قرى ومزارع .

٢٥ – ص ٣٢٣ (أبو بكر محمد بن الحسن ... ابن دريد ... من جيّد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة ...) .

مناسب أن يذكر في الحاشية :

أ – شرح مقصورة ابن دريد للخطيب التبريزي ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ١٣٨٠/١٩٦١ .

ب – ديوان شعر الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي ، جمعه وحققه السيد محمد بدر الدين العلوي ، القاهرة ، ١٣٦٠/١٩٤٦ .

وقد التزم المحقق مثل هذا ـ كما رأينا في ترجمة الرصافي ص ٤٣٢ وابن حيوس ٤٣٨ .

٢٦ – ص ٣٥٦ ، أبو بكر محمد بن يحيى ... الصولي ... له التصانيف المشهورة منها ... كتاب « الورقة » ، وكتاب « أدب الكاتب » ...

مناسب أن يذكر في الحاشية

أ – الورقة ، طبع باسم الأوراق ..

ب – أدب الكاتب ، طبع باسم أدب الكتاب .

٢٧ – كثيراً ماترد على قلم المحقق: «الطبعة المصرية»، «الطبعة المصرية»... ينظر مثلاً ه ٢٩ ، ١٥٤ .

وهذا غير صحيح لأن هناك عدة طبعات مصرية، وكان المناسب أن يخصص الطبعة التي يقصد إليها بدلالة مميزة ، كأن يقول : ط – محيي الدين ، أو النهضة ، أو السعادة ..

٢٨ – ترد في الوفيات أسماء كتب كثيرة، منها ما وصل إلينا وطبع، ومنها مالم يطبع ... والمناسب أن يوحد المحقق موقفه منها، ولا شك في أن النص على المطبوع في الحاشية نافع؛ ولكن يمكن إعفاء المحقق من هذه المهمة إذا لم يشأ أن يقوم بها، ولكنه إذا نص على كتب ولم ينص على كتب عرض نفسه للمطالبة.

ومن أمثلة الكتب المطبوعة ولم ينص عليها «الأموال» للقاسم بن سلام ص ٦٣، و «درة الغواص، وملحة الإعراب» للحريري ص ٦٦، و «الرسالة الحاتمية» ص ٣٦٢ و «الصادح والباغم» لابن الهبارية ص ٤٥٧.

٢٩ – يشرح ابن خلكان أسماء أماكن أو ألقاب، أو أحداث، حتى إذا عاد ذِكرُ هذه الأماكن في تراجم مقبلة، أشار إلى أنه سبق أن تحدث عنها فلا حاجة إلى الإعادة. والقاريء، قارىء الترجمة الجديدة، يهمه أن يعرف مكان حديثه ليفيد منه، ومن هنا حسن بالمحقق أن يدله في الهامش، وقد فعل الدكتور إحسان عباس ذلك في بعض الأحيان فذكر الجزء والصفحة. وحسناً فعل، ولكنه أهمل القاعدة أحيانا كثيرة منها:

أ – ص ٨١: «... وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته».

ب – ص ١٥٢: «.. وقد سبق الكلام على اللخمي فلا حاجة إلى إعادته».

حـ - ص ١٨٣: «وعين التمر قد سبق الكلام عليها».

د – ص ٢٠٩: «وقد تقدم الكلام على نسبة المروزي والقاشاني فلا حاجة إلى الإعادة».

هـ – ص ٣٤٨: «وقد تقدم الكلام على اليمامة والأهواز فأغنى عن الإعادة».

٣٠ – وحدث مثل ذلك عند ذكر ترجمة سبقت أو ترجمة ستأتي، فإن المحقق لايلتزم دلالة القارىء على الجزء والصفحة، وكان يستطيع أن يسهل المهمة بأن يذكر اسم صاحب الترجمة الذي ذكر ابن خلكان لقبه أو كنيته، فلا شك

في أن الاسم مفتاح جيد في كتاب يقوم في تسلسله على حروف الهجاء ... فإذ يقول ابن خلكان ص ٢٥١ : « شرف الدين ابن عنين الآتي ذكره .. » يحسن أن يقول المحقق في الحاشية : اسمه محمد بن نصر ، وإذ يقول ابن خلكان ص٣٣٣ : « ... ومنها أبو المظفر الأبيوردي الشاعر الآتي ذكره .. » يحسن أن يقول المحقق في الحاشية : اسم الأبيوردي محمد ...

يطلب القاريء هذا لحاجته إليه ، ولأن المحقق يدله أحيانا على أعلام معروفة المفاتيح ؛ فقد قال ابن خلكان ص ٢١٩ : « وقد تقدم الكلام على الطوسي والغزالي في ترجمة أخيه أحمد الزاهد الواعظ المذكور في حرف الهمزة» . ومعلوم أن القارىء يستطيع أن يجد أحمد في حرف الهمزة من غير إعياء ، ومع هذا ، فإن المحقق رأى أن يسهل المهمة أكثر فوضع في الحاشية : ج ١ ص ٩٨ .

٣١ ـ قد يقع المؤلف في وهم وقد يلتزم الشائع ، ويحسن ـ ومنهم من يقول : يجب ـ بالمحقق في هذه الحال أن ينبه القارىء ليكون على علم ، وقد رأينا مثلا على ذلك في كلام ابن خلكان على كتاب أنوشروان ، ويمكن أن نرى في هذا الجزء أيضاً مثلاً رأيناه في جزء سابق ، وهو أن ابن خلكان يُذكّر الكأس عادة . جاء على ص ٨٠ ـ ٨١ « وكان قابوس ... لايساغ كأسه ... » .

بغداد : كلية الآداب علي جواد الطاهر

آراء وأنباء

مرسوم تجديد رياسة الدكتور حسني سبح

لمجمع اللغة العربية بدمشق

مرسوم رقم (١٥٨٢)

رئيس الجمهورية

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى أحكام المرسوم ١٤٣ تاريخ ٢٤/١١/١٩٦٧ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ٢٣/١٠/١٩٦٧

وعلى المرسوم رقم ١٤٦ تاريخ ٢٦/٦/١٩٦٨

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون لمجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ١٨/٥/١٩٧٢ والتي تم فيها تجديد انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية .

يرسم ما يلي :

١ – يجدد تعيين الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٨/٧/١٩٧٢ .

٢ – يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ويصرف من الباب الاول والبند الاول (مخصصات ذوي المناصب ورواتب الموظفين) من موازنة مجمع اللغة العربية .

٣ – ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ٢٤/٨/١٩٧٢

رئيس الجمهورية

الفريق حافظ الأسد

مرسوم تقليص العطلة الصيفية لمجلس المجمع

المرسوم رقم (١٥٨٥)

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام الدستور المؤقت

وعلى المرسوم التشريعي رقم (١٤٣) تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم (٧٨) لسنة ١٩٦٨

وعلى اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية الصادرة بالقرار الوزاري ذي الرقم /٣١/ لسنة ١٩٦١ .

يرسم ما يلي

المادة ١ – تعدل المادة /٢٢/ من القرار ذي الرقم /٣١/ لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية وتصبح كما يلي :

« تعطل جلسات المجلس من أول شهر تموز الى آخر شهر آب من كل عام »

المادة ٢ – ينشر هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ صدوره .

دمشق في ١٩٧٢/٨/٢٤ .

رئيس الجمهورية

الفريق حافظ الأسد

مصطلحات جديدة، لدرجات علمية عديدة[١]

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

إخواني وزملائي الأعزاء :

في اليوم العالمي (**لمحو الأمية**) قامت حركة شديدة، وعُقدت ندوات شتى ابتهاجاً لما يحمله هذا اليوم من أنبل المعاني الإنسانية . وحقاً أيّ شيءٍ أسمى من أن يَعمل الإنسان على ما يُخرج أخاه الإنسان من ظلمات الجهل الى نورِ العلم فيكون إنساناً يمشي على هدى وبصيرة، خيِّراً بين عشيرته وقومه ؟ ﴿ هلْ يَسْتَوي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ - سورة الزمر ٩ - و ﴿ أمْ هَلْ تَسْتَوي الظُّلُماتُ وَالنُّورُ ﴾ - سورة الرعد ١٧ - كما قال الله تعالى في كتابه العزيز .

ولقد غرب عن البال أن ابتهاجنا بهذا اليوم العالمي يجب أن تعود ذكراه إلى ما قبل واحدٍ وتسعين وثلاثمئةٍ وألفِ عام هجري، يوم كان الغرب يتخبط في بحرٍ لُجيٍّ من الجهل، في ظُلماتٍ بعضها فوق بعض، والذي يتبجح الآن بابتكاره لهذه الفكرة السامية، إذْ كان الإسلام أسبقَ الأمم في الحثّ على (**محو الأميّة**) تعميماً، منذ اليوم الذي نادى فيه الرسول الأعظم الهادي (صلى الله عليه وسلم) بإطلاق كل أسيرٍ يُعلّم أحد المؤمنين . **فما أعظمها مكرمة وأسماها فكرة** ممّن بُعث ليُتمِّم مكارمَ الأخلاق .

لكن الغرب الذي أخذ مشعل النور من يد الشرق، وكاد يخبو من جرّاء

---

(١) ألقى المرحوم الأستاذ الدكتور الكواكبي هذه الكلمة في جلسة مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٥ شوال ١٣٩٢ هـ = ٢ كانون الأول ١٩٧١ .

الإهمال تهافتاً على متاع الدنيا الخدّاع ، فتعهده واستنار بنوره الساطع ووسّع دائرة إشعاعاته الفيّاضة حتى تجاوزت - في عصرنا هذا - أرجاء الدنيا فبلغت القمر ، أقول : هـذا الغرب فطن - بعد لأي - إلى اتخاذ يوم عالمي للعلم ، إجلالاً للعلم لذاته ، وتذكيراً لإنهاض الهمم في جميع الأمم ليُعمل على ما يعود بالخير على البشرية عامةً ؛ لعلّ هـذا العلمَ العميم بين البشر ، يُحوّل التسابق النووي ليل نهار ، من أداةِ تخريبٍ وتدميرٍ ، إلى عاملِ بناءٍ وتعميرٍ في جميع الأقطار ، (وكلّنا يعلم ما تجرّه الحرب من كوارث وشقاءٍ وويلاتٍ تتصاعد من أفواه الأيتام والأيامى والمساكين) ، ولعلّ هذا العلمَ العميم يُفضي بالبشر الى الاطمئنان وراحةِ البال فينعمون بسعادةٍ روحيةٍ أخويةٍ حقيقية ،مادامت السموات والأرض .

نعم . أفما كان الأجدر - ونحن أحق بالذكرى وأهلُها - أن نعود الى ذلك اليوم الخالد الذي فيه العِبَرَ كل العِبر ، فنتّخذه يوماً لنا نضاعف فيه الهمة ، ونبذل الجهود بالحثّ على السير ، على المبادىء المثلى التي سُنّت منـذ أربعة عشر قرناً وكان من تطبيقها على وجهها الصحيح أن أخرجتْ للناس خيرَ أمة بلغت ذروة المجد والفخار ، وما تزال آثارهم الباقية أعمدةً صمّاءَ ، تُحدّث - بأبلغ بيان - أخبارَ ذلك الماضي المجيد ، لأبناء هذا الجيل الجديد .

إخواني الأفاضل . هذه المناسبة الجميلة الجليلة ألهمتني أن أضع مصطلحات لما يقابل الدرجات العلمية في التعليم - اشتقاقاً - قياساً على وزن (أُفعولة) الذي سبق و كشفتُ صلاحه للقياس عليه ، لما يتضمّنه من معنى (الشيء بعينه ،القائم بذاته ، من الفعل المشتق منه) رأيت أن أعرضها عليكم أطروفةً في هذه الجلسة وذلك على الوجه التالي :

١ - اُبْرووةَ Certificat (لشهادة الدراسة الأولى ، لأنهـا تشهد بأن حاملهـا قد انتُشل من براثن الجهل فهو بَراءٌ من الأمية) . من بريء من الأمر

يَبْرأ ويبرُؤُ بَرْأً وبراءة وبُرُأً ، وتبرّأ . وأنا منه بَراء أي بريء .

٢ ـ **أُصدوقة** Brevet (لشهادة الدراسة الوسطى ، لأنها شهادةٌ تُصدّق على النجاح في الدراسة بعد الأُبروءة) . من صدّق الحديث وصدّقه . الخ .

٣ ـ **أُعلومة** Baccaloréat (لشهادة الدراسة الثانوية ، لأنها شهادةٌ تُعْلِم انتهاء الدراسة الثانوية بجملٍ (ثمرة الغار ، وحيازةِ شرف التقدم إلى الدراسة العليا في الجامعة) . من عَلِم كسمع : عَرَفَ ، وعلّم وأعلم فتعلّم .

٤ ـ **انجوزة** Licence (لشهادة الدراسة الجامعية ، لأنها شهادةٌ بالإنجاز والتحرر من أعباء الدراسة الجامعية القانونية وبمنحِ حق مزاولة المهنة) . من نجِز كفرح ، ونجَز كضرب : انقضى . وأنجز حاجته قضاها .

٥ ـ **أُخصوصة** Diplôme de spécialisation (لشهادة الاختصاص في علم من العلوم ، لأنها شهادةٌ بالتخصص بأعلى المراتب العلمية) . من خصّه بالشيء خصّاً : فضّله . والتخصيص ضد التعميم . وأخصّه بالشيء خصّه به ، فاختَصَّ وتخصّص لازمٌ متعدٍ .

هذا ولكم الخيار في التمحيص والإقرار (إيجاباً) أو (سلباً) . ومنّي الشكر الجزيل في كلتا الحالتين . والسلام إخواني الكرام .

محمد صلاح الدين الكواكبي

ابن جدار ، وابن حذار

الأستاذ محمد عبد الغني حسن

في رسالة «الاسم والمسمى» من تأليف ابن السيد البطليوسي الأندلسي من علماء القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وهي الرسالة التي نشرها في الجزء الثاني من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الأستاذ أحمد فاروق بمعهد الأبحاث الإسلامية بإسلام آباد ، باكستان ، جاء بيتان من الشعر نسبهما ابن السيد البطليوسي إلى (ابن جدار) . وعلق الأستاذ أحمد فاروق محقق هذه الرسالة على هذا الاسم بقوله : (لم نجد له ترجمة . لعله من ذكره صاحب كتاب المغرب في حلى المغرب – طبعة القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ٢٥١)

وجاء الأستاذ راتب النفاخ ، الذي كلفته لجنة المجلة التعليق على تحقيق هذه الرسالة وعلى نصها ، فقال عن ابن جدار – معقباً على كلام الأستاذ أحمد فاروق ما يلي : (لم أجد ذكراً لابن جدار هذا في المغرب الذي نشره الدكتور شوقي ضيف في كلا جزأيه)

وقد اتجه الأستاذ راتب النفاخ – باتجاه عفوي من أندلسية ابن السيد البطليوسي إلى القسم من « المغرب » الخاص بالأندلس ، وهو القسم الذي حققه الدكتور شوقي ضيف ، ونشرته دار المعارف بمصر في جزأين لا ثالث لهما . ولكن الحق أن الأستاذ أحمد فاروق يشير إلى الجزء الأول من قسم كتاب « المغرب » الخاص بمصر ، وهو الجزء الذي قدم له المرحوم الدكتور زكي محمد حسن ، وشارك في تحقيقه هو أيضاً مع الدكتور شوقي ضيف ، والدكتورة سيدة إسماعيل كاشف وصدر عن كلية الآداب ١٩٥٣ . ففي هذا الجزء ، وفي صفحة ٢٥١ – كما ذكر

الأستاذ المحقق أحمد فاروق – نجد ترجمة وجيزة لابن جدار الذي يظن – ولم يجزم – الأستاذ فاروق أنه صاحب البيتين اللذين رواهما البطليوسي ...

فالترجمة لابن جدار واردة في كتاب « المغرب » – كما ذكر الأستاذ أحمد فاروق – ولكن الوهم جاء إلى الأستاذ راتب النفاخ ، حيث اتجه بالبحث والتنقيب إلى الكتاب الخاص بالأندلس ، ولم يتجه إلى الكتاب الخاص بمصر ، وهو المعنيُّ بكلام الأستاذ المحقق .

والطريف في أمر « ابن جدار » هذا – سواء أكان صاحب الشعر الذي رواه ابن السيد البطليوسي أم لا – أن اسمه جاء في « المغرب » : ابن جدار – بالجيم المعجمة والدال المهملة - وهو شاعر عالم مصري كان معاصراً لأحمد بن طولون ، واشترك مع العباس بن أحمد ابن طولون في الثورة على أبيه ، وكان مصيره – حين أخفقت الثورة – أنه قتل بيد ابن طولون الأب شر قتلة . ولكن اسمه جاء في « معجم الأدباء » لياقوت الحموي : (ابن حُذار) بالحاء المهملة المضمومة والذال المعجمة . وقد ذكره « الصولي » في كتاب (أخبار شعراء مصر) وقال عنه إنه : (لم يكن بمصر مثله في وقته ، كثير الشعر ، حسن البلاغة ، عالم ، له ديوان شعر ومكاتبات كثيرة حسنة) . وقد أورد ياقوت الحموي في ترجمته له بالجزء السابع من معجمه ص ١٨٢ ، أبياتاً غير قليلة من شعره ، ومنها قوله في الغزل أو في صفة مغنية :

جاءت بوجه كأنه قمرٌ ... على قوام كأنه غُصُن
ترنو بعين إذا تُعاينها ... حسبتَ أنْ في جفونها وَسَنُ
حتى إذا ما استوت بمجلسها ... وصار فيه من حسنها وثنُ
غنَّت فلم يَبْقَ فيَّ جارحة ... إلا تمنيتُ أنها أذُنُ

وقد نقل ياقوت الحموي أخبار ابن حُذار – أو ابن جدار كما في المغرب قسم مصر – عن الصولي في كتابه « أخبار شعراء مصر » .

بقي أن نقول إننا ما زلنا على جهل « بابن جدار » الذي ذكره ابن السيد البطليوسي واستشهد ببيتين من شعره ، فقد يكون أندلسياً مجهولاً لدينا ، وقد يكون هو الشاعر العالم المصري في عصر ابن طولون ، والذي حرض عليه ابنه العباس في ثورته وانتفاضته على أبيه ، والذي ذكره ياقوت باسم ابن حُذار

ولعل ظروفاً سعيدة ، أو قارئاً كريماً يكشف لنا الستار عن « ابن جدار » الذي كان موضع الاستشهاد من ابن السيد البطليوسي ، وبذلك نضيف إلى أعلامنا العرب شخصية لا يزال يغشيها النكران ، ويحجبها عدم العرفان . والله الموفق المعين .

القاهرة

محمد عبد الغني حسن

« كلمات » من المغرب الأقصى

الأستاذ عبد القادر زمامة

المسيد :

الكتّاب الذي يؤمه الصغار لحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة في المغرب ، يسمى « المسيد » . ففي كل حيّ يقوم هذا « المسيد » تحت إشراف أستاذ مؤدّب يسمّى : « الدّرّار » باستقبال عدد من « الذّراري » وتعليمهم المبادىء الأولية وتحفيظهم سور القرآن الكريم .

و « المسايدُ » منتشرة في المدن المغربية منذ قرون باسْمِها ومُسَمّاها ويرجع ذلك إلى عهد حضارة القيروان . لذلك كانت معروفة باسمها الخاص هذا « المسيد » في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى .

وكلمة « المسيد » شديدة الصلة بكلمة « المسجد » ولنتتبع مدلولها في بعض النصوص .

فابن مكي الصقلي مؤلف كتاب : « تثقيف اللسان » المتوفى سنة ٥٠١ هـ وسنة ١١٠٧ م يقول في كتابه المذكور[١] الذي حاول فيه تصحيح الأخطاء اللغوية التي كانت شائعة بين الخاصة والعامة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – :

« ومن ذلك قولهم للمسجد : مسيد ، حكاه غير واحد ، إلا أن العامة يكسرون الميم . والصواب فتحها » .

---

(١) انظر صفحة ٢٢٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م.

والزركشي مؤلف كتاب « إعلام الساجد بأحكام المساجد » يقول في كتابه المذكور عاطفاً على صيغتيْ : مسجِد بكسر الجيم ومسجَد بفتحها[١] :

« ويقال [له] مَسيد ، بفتح الميم ، حكاهُ غيرُ واحد ، فتحصلنا فيه على ثلاث لغات » .

والشيخ المرتضى الزّبيدي في تاج العروس يقول في مادة (مسد) :

« والمسيد كأمير لغة في المسجد في لغة مصر ، وفي لغة الغرب ، هو الكتّاب . أشار اليه شيخنا في :س،ج،د » .

و (شيخنا) تعني عند الزّبيدي اللغويّ المغربيّ الشهير محمد بن الطيب الشرقي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ .

الحرقوص :

دويبة شهيرة مثل القراض أخذت مكانها من المعاجم اللغوية والكتب الأدبية ، وقد كانت العذارى العربيات يستعذن بالله من هذا الحرقوص الذي يُلح إلحاحاً يجاوز إلحاح الذباب،ويتسرب الى ما لا يتسرب اليه الذباب،فيضايقهن أشد مضايقة ، فلهذا كن يُنشدن في الشكوى منه أبياتاً شهيرة في الكتب الأدبية منها :

ويحك يا حرقوص مهلاً مهلا   أ إبلاً أعطيتني أم نخلا
أم أنت شيء لا تبالي جهلا

وهجا الشاعر الطرماح بني تميم بقصيدة كان من جملة أبياتها[٢] :

ولو أن حرقوصاً يزقق مَسْكَهُ   إذَنْ نهلت منه تميمٌ وعلّتِ

والحرقوص أيضاً نواة البُسْر الخضراء ، وهناك في أسماء أعلام الرجال نجد حرقوصاً .

---

(١) انظر صفحة ٢٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٨٥ هـ .
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة تصحيح شاكر ج ٢ ص ٥٦٧ .

أما الحرقوص في المغرب فإنه يعني وشياً خاصاً تزين به النساء،ولا سيما نساء البادية ، وسط الجبهة على ملتقى الحاجبيْن ، كما يجعل أحياناً تحت الشفة السفلى عمودياً على الذقن .

والفرق واضح بين الحرقوص والوشم في اللون والعادة . فالحرقوص وشي يرسم بسهولة ويمحى بسهولة ، بخلاف الوشم الذي يرسم بصعوبة ولا يزول أبداً .

ولا شك في أن أصل التسمية في هذا الوشي المسمى بالحرقوص يرجع إلى التشبيه بالحرقوص الدُّويبة أو الحرقوص النواة .

واشتهر أمر هذا الحرقوص حتى اشتقوا منه الفعل فقالوا : حرقصت المرأة، بمعنى وشت جبهتها أو ذقنها بهذا الحرقوص ، كما يقولون : سَوَّكَتْ بمعنى جعلت (السواك) في شفتيها ،وتستاك النساء في المغرب بقشر شجر الجَوْز .

القرطاس :

أديم وشبه ينصب للنضال والرماية، وقرطَس غرضَه بمعنى أصاب الهدف الذي يريده ، والقرطاس : الصحيفة يكتب فيها .وهو بهذا المعنى مثلث القاف.

والقرطاس : يعني في المغرب ما يعنيه (الخرطوش) في المشرق ، و (القرطاسة) تعني (الخرطوشة) .

والفعل يستعمل هكذا : قرطس الرميَّةَ إذا أصابها فهي مُقَرْطَسَةٌ .

فالفعل (قَرْطَسَ) المعجمي الفصيح يعني إصابة الهدف والفعل (قرطس) المستعمل في المغرب يعني إصابة الهدف بالقرطاس الذي هو (الخرطوش) .

الزمام :

بمعنى المقود شهير في المعاجم، وفي الكتب الأندلسية والمغربية نجد الزمام بمعنى قائمة الحسابات ، وما زال هذا الاستعمال معروفاً مطروقاً بين الناس، ويشتقون منه فعلاً فيقولون زَمَّمَ بمعنى قيد وسجل في ورقة أو دفتر .

ويظهر أنّ هناك علاقةً بين الزمام بمعنى المقود، والزمام بمعنى القائمة الحسابية المسجلة ، فالذي ملك مقود الدابة يتصرف فيها كيف يشاء ، كأنه مالك زمامها ، والذي قيد الحسابات في قائمة خاصة وعرف جملتها وتفصيلها ومبدأها ونهايتها قد ملكها أيضاً فهي قيد نظره وحسه لا تنفلت منه ولا ينساها ، وبإمكانه أن يزيد فيها أو ينقص أو يقدم أو يؤخر .

فلهذا أطلق على التقييد أو القائمة الحسابية اسم الزمام ، واشتهر هذا الإطلاق في الأندلس والمغرب .

النُّقْرَة :

في أساس البلاغة للإمام الزمخشري :

« وله إبريق من النُّقْرَة وهي الفضة المذابة » وهذا هو الاستعمال المشهور في المغرب ، فالنُّقْرة تعني الفضة ، وضمن مجموعة أسواق (القيسرية) توجد سوق النُّقْرة التي يباع بها الحلي الفضية والذهبية .

وفي تاج العروس نجد هذا النص :

« وله إبريق من نُقرة وهي القطعة المذابة من الذهب والفضة وهي السبيكة ، وقيل هو ما سبك مجتمعاً منها ، واقتصر الزمخشري في الأساس على الفضة المذابة . قلتُ : وهكذا استعمال العجم إلى الآن يطلقونها على ما سبك من دراهم الفضة التي يتعامل بها » .

التابوت :

للتابوت معان معروفة في المعاجم اللغوية :

ففي التاج : التابوت بمعنى الصدر ، وبمعنى الأضلاع وما تنطوي عليه ، تشبيهاً بالصندوق .

وفي رسالة « المُداخَل » في اللغة التي ألّفها غلام ثعلب : « والتابوت مجمع

الأضلاع في أعلى البطن ، وهذا المعنى ما زال مستعملًا في لغة التخاطب عندنا بالمغرب إلى الآن .

وما زلت أذكر أن طفلة صغيرة سمعتها تشكو إلى أبيها ما فعله بها أخوها فقالت : ضربني على تابوت صدري . ووضعت يدها على تابوت صدرها .

الحثالة :

حثالة الحنطة وحثالة الشعير وحثالة الناس لها ذكر في النصوص الأدبية شعراً ونثراً ولها مكانها في المعاجم . وهي تعني القشور والبقايا التي لا قيمة لها ولا شأن لها . وبالنسبة للانسان تعني الذليل الحقير الذي لا خطر له .

وهذا المعنى مستعمل في الخطاب عندما يريدون الحديث عن إنسان كسلان ذليل خامل فيقولون :هو حثالة من الحثالات .

ويشتقون من ذلك فعلًا فيقولون يتحثل بمعنى يسير في عمله بطيئاً ذليلًا من غير نشاط ولا قوة ولا إرادة .

الأحرش :

نسمع الناس يتحدثون عن الثوب الأحرش ، والدقيق الأحرش ، والجلد الأحرش ، والراحة الحرشاء ، بمعنى الخشونة المنافية للنعومة المطلوبة في هذه الأشياء .

والأحرش بمعنى الخشن ، والحرشاء بمعنى الخشنة معنى معروف في المعاجم اللغوية كأساس البلاغة والتاج .

فهو من بقايا الفصاح في لغة التخاطب . وإذن فإن استعمال حرش بمعنى خشن استعمال عربي فصيح لا غبار عليه ، فإذا قلنا حرشت يد العامل بمعنى خشن جلدها ، فإننا لا نكون بعيدين عن الدلالة المعروفة لهذه الكلمة في اللغة . وكذلك إذا قلنا : ثوب أحرش ، وثياب حرشاء .

الجوطية :

في كل مدينة مغربية نجد سوقاً أو عدة أسواق تحمل اسم الجوطية . وهذه السوق تمتاز بالجلبة والزحام على مختلف البضائع البالية والجديدة، وبعضها يكون جامعاً لعدة أصناف من المبيعات .

ويظهر أن لكلمة « الجوطية » صلة بكلمة الجوقة المعجمية المعربة التي تعني الجماعة .

واشتقوا من الجوقة فعلا فقالوا تجوقوا بمعنى اجتمعوا . وهذا الفعل مستعمل في لغة التخاطب ، فإذا كان هناك شيء غريب ازدحم الناس حوله، فيقال إذ ذاك تجوقوا ، وهذا معروف في معاجم اللغة .

فلعل الأصل في كلمة الجوطية المستعملة في السوق المزدحمة التي تعلو فيها الأصوات ، هو هذه الجَوقة . ثم دخلها هذا التحريف بقلب القاف طاء وزيادة الياء ، أما الفعل تجوق فقد سلم من هذا التحريف . وكذلك الجوقة في غير السوق المذكورة ما زالت معروفة على الألسنة فيتساءلون عن الزحام بقولهم : ما هذه الجوقة ؟

الجلابية :

الجلابية هي الثوب الأعلى المفصل بأكمام وغطاء للرأس وفتحة للعنق وقد أخذت الجلابية مكانتها من اللباس المغربي منذ قرون ، وكانت معروفة بهذا الاسم في المغرب والأندلس ، ويقال لها أحياناً : الجلابة بدون ياء النسبة ..! ويحاول بعض الناس الربط بين كلمة جلباب المعجمية الفصيحة ، وكلمة «جلابية» الاصطلاحية .

وللمستشرق « دوزي » في كتابه تكملة المعاجم العربية رأي في الجلابية معروف .

ويظهر أن صيغة َفعّال المجموعة على صيغة فـَعّالـَة كانت مستعملة في

المغرب والأندلس ، إلى درجة أن سائر الحرف أخذت هذه الصيغة في الإفراد والجمع . فالحداد والحدّادة . والنجار والنجارة . والفلاح والفلاحة . والحضار والحضارة ومن ذلك الجلاب بمعنى التاجر الذي يحضر الأسواق القريبة والبعيدة ليجلب منها البضائع والأنعام والدواب . والجمع الجلابة . وكذلك الميّار وهو التاجر الذي يتجر في الميرة وهي القوت ، والجمع الميارة .

وكل من الجلاّب والميّار يحتاج إلى مجهود وكد وأسفار فلذلك يتخذ ثوباً قصيراً خفيفاً وهو هذا الذي نُسب إلى الجلاب فقيل فيه « جلابية » نسبة إلى الجلاب المفرد .

وكون الجلابية من ثياب المهنة في أصلها بحيث كانت خاصة بالمحترفين في غير حالات الترفه والزينة والتجمّل ، هو المعروف قديماً . فأبو حامد الفاسي في (مرآة المحاسن) التي ألّفها سنة ١٠٤٦ ﻫ . يقول في كتابه المذكور ص ١٠ :

« والجلابية ثوب معروف من ثياب المهنة » .

لكن عامل التطور عمل عمله في هذه (الجلابية) كماً وكيفاً ، فبعد أن كانت قصيرة طالت وبعد أن كانت واسعة ضاقت ، وبعد أن كانت من ثياب المهنة ، أصبحت من ثياب المهنة ومن ثياب الزينة . وبعد أن كانت خاصة بالرجال ، صارت للرجال وللنساء مع تحويرات خاصة .

والجلابية البيضاء في المغرب تستعمل في حفلات التشريفات .

والجلابية الملونة بالألوان القاتمة ولاسيما اللون الأسود تستعمل في أيام الأمطار وفصل الشتاء .

وفوق الجلابية يلبس ثوب آخر وهو (السلهام) ولهذه الكلمة قصة أخرى فيما بعد ...

فاس (المغرب الأقصى) **عبد القادر زمامة**

استدراك على مقال الأستاذ الطيباوي

المنشور في هذا الجزء

جاءنا من الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي الاستدراك التالي على مقاله المنشور في هذا الجزء :

تضاف الفقرة التالية بعد السطر السابع من الصفحة ٧٧٩ :

وقد وجدنا على غلاف هذا الكتاب اعلاناً نثبته فيما يلي لما له من الاهمية التاريخيـــة :

الكتب التي طبعت في مطبعة الكنيسة الانكليزية المحدثة في جزيرة مالطه

كتاب تعليم علي الاطفال الصغار
كتاب الاجوبة الجلية في الاصول النحوية
كتاب قاموس مختصر
كتاب الكنز المختار في اكتشاف الاراضي والابحار
اطلس اي مجموع خارتات في رسم الارض
كتاب الدر الملضوم في علم الافلاك والنجوم
كتاب تعليم المسيحي قديم وجديد
كتاب تواريخ الكتب المقدسة
كتاب الامثال
كتاب الصلوات على عدد ايام الاسبوع
فتشوا الكتب
مخاطبة اخوية
قصة الجنرال ديكرن
طريق النجا
خبرية اسعد الشدياق

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثالث من عام ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
١ – القاموس السياحي	الاتحاد العربي للسياحة	الاردن ١٩٧١
٢ – المؤتمر الأول للتعليم الجامعي في العراق	وزارة التعليم العالي في العراق	بغداد ١٩٧١
٣ – نور ونار	زكي قنصل	بوانس أيرس ١٩٧٢
٤ – النظرية العامة للموجبات والعقود في الشريعة الاسلامية ج (١)	د . صبحي محمصاني	بيروت ١٩٧٢
٥ – الإيضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح	سعدي ياسين	بيروت ١٩٧١
٦ – العقائد السلفية ج (١)	أحمد بن حجر آل بوطامي آل ابن علي	بيروت ١٩٧٠
٧ – تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري لى الفتح العثماني	د . عمر فروخ	بيروت ١٩٧٢
٨ – نشأة الحركة العربية الحديثة	محمد عزة دروزة	بيروت ١٩٧١
٩ – كتب وشخصيات	د . أبو العيد دودو	الجزائر ١٩٧١
١٠ – دار الثلاثة وقصص اخرى	» » »	الجزائر ١٩٧١
١١ – بحيرة الزيتون	» » »	الجزائر
١٢ – التراب	» » »	الجزائر ١٩٦٨
١٣ – مدخنو الحشيش في الجزئر	هاينريش فون مالتسان ترجمة : د . أبو العيد دودو	الجزائر ١٩٧١

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
١٤ – تتمة ديوان الصنوبري	تح : لطفي الصقال ودرية الخطيب	حلب	١٩٧١
١٥ - المورد الكبير	د . فخر الدين قباوة	حلب	١٩٧٢
١٦ – المؤتمر التربوي لتطوير التعليم العالي والجامعي ج (١ ، ٢)	المجلس الأعلى للعلوم	دمشق	١٩٧١
١٧ - سلاسل المناظرة الاسلامية النصرانية بين شيخ وقسيس	عبد الله العلمي الغزي الدمشقي	دمشق	١٩٧٠
١٨ – في التجربة الثورية الفلسطينية	د . حسام الخطيب	دمشق	١٩٧٢
١٩ – مسرحيات مختارة	شارل شارا وزملاؤه ترجمة : سعيد القضماني وسعيد جوخدار	دمشق	١٩٧٢
٢٠ – مختارات من المسرح السوفيتي	ترجمة : هشام الدجاني وعدنان مداقات	دمشق	١٩٧٢
٢١ – دروس في الرياضيات العالية – الجزء الثالث القسم الاول	ف . ي . سميرنوف ترجمة : وجيه القدمي وزملائه «وزارة التعليم العالي»	دمشق	١٩٧١
٢٢ – تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين	جورج مونين ترجمة : بدر الدين القاسم	دمشق	١٩٧٢
٢٣ – صندوق الدنيا	أيمن أبو شعر	دمشق	١٩٧٢
٢٤ – التعاون الاقتصادي للتنمية	إسماعيل العربي	دمشق	١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع	وتاريخه
٢٥ ـ خلاصة آراء القسم الاستشاري بمجلس الدولة في سنة ١٩٧٠	مجلس الدولة	دمشق	١٩٧٢
٢٦ ـ مجموعة المبادىء القانونية التي قررتها المحكمة الإدارية العليا في عام ١٩٦٦	مجلس الدولة	دمشق	١٩٧٢
٢٧ ـ دليل مهندس التدفئة	مارتن غارمز ترجمة : د . معن العظمة «وزارة التعليم العالي»	دمشق	١٩٧٢
٢٨ ـ قواعد كتابة اللغة الإنكليزية	مهدي بديرة	دمشق	١٩٧٢
٢٩ ـ قواعد لفظ اللغة الإنكليزية	» »	دمشق	١٩٧١
٣٠ ـ موسوعة قواعد اللغة الإنكليزية ـ الجزء الأول	» »	دمشق	١٩٧٢
٣١ ـ الفراغات التوبولوجية	س . بيرج ترجمة : محمد فوزي القصاص	دمشق	١٩٧٢
٣٢ ـ الحب للفن	أحمد الراشدي	دمشق	١٩٧١
٣٣ ـ المراسيم التنظيمية الخاصة بوزارة التعليم العالي	وزارة التعليم العالي	دمشق	١٩٧٢
٣٤ ـ الدراويش يبحثون عن الحقيقة	مصطفى الحلاج	دمشق	١٩٧٢
٣٥ ـ حول التكامل الاقتصادي العربي	د . وهبي غربال	دمشق	١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
٣٦ - الحسن بن الهيثم	زهير الكتبي	دمشق	١٩٧٢
٣٧ - الأدب في بلاد الشام	د . عمر موسى باشا	دمشق	١٩٧٢
٣٨ - المؤلفات الكاملة للأستاذ زكي الأرسوزي - المجلد الأول	لجنة تخليده	دمشق	١٩٧٢
٣٩ - درر الحبب في تاريخ أعيان حلب - الجزء الأول القسم الاول	ابن الحنبلي تح : محمود الفاخوري ويحيى عبارة « وزارة الثقافة والإرشاد القومي »	دمشق	١٩٧٢
٤٠ - حوارية الزمن الاخير	أحمد يوسف داود	دمشق	١٩٧٢
٤١ - الثورة الفرويدية	بيير فوجيرولا ترجمة : حافظ الجمالي	دمشق	١٩٧٢
٤٢ - الدهشة في العيون القاسية	وليد اخلاصي	دمشق	١٩٧٢
٤٣ - التذكرة الهروية في الحيل الحربية	علي بن أبي بكر الهروي تح : مطيع المرابط	دمشق	١٩٧٢
٤٤ - ديوان ابن خاتمة الأنصاري	تح : د . محمد رضوان الداية	دمشق	١٩٧٢
٤٥ - البلغة في تاريخ أئمة اللغة	للمجد الفيروز أبادي تح : محمد المصري	دمشق	١٩٧٢
٤٦ - عشرون فناناً من سورية	طارق الشريف	دمشق	١٩٧٢
٤٧ - هدية العيد	وليد قصاب	دمشق	١٩٧٢
٤٨ - لعبة حلم	أوغست ستريندبرغ ترجمة : ابراهيم وطفي	دمشق	١٩٧٢
٤٩ - جوريس	أندريه روبينه ترجمة : جورج صدقني	دمشق	١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه
٥٠ – شجرة محار	محمد الصباغ	الرباط ١٩٧٢
٥١ – من أجل أطفال العالم	ريشارد كرينوف ترجمة : مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية	الرباط ١٩٧٢
٥٢ – الحق في التربية من المبدأ إلى الإنجازات	لويس فرانسوا ترجمة : مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية	الرباط ١٩٧٢
٥٣ – نحو تفصيح العامية في الوطن العربي	عبد العزيز بنعبدالله	الرباط ١٩٧٢
٥٤ ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال	عبد الرزاق الحسني	صيدا ١٩٧٢
٥٥ – عبدالرزاق الحسني في بحر خمسين سنة من حياته	» » »	صيدا ١٩٧٢
٥٦ – ديوان أبي نواس ج (٢)	تح . ايفالد فاغنر	ڤيسبادان
٥٧ – أخبار الدول المنقطعة	لابن ظافر تح : أندريه فرّيه	القاهرة ١٩٧٢
٥٨ – لحن العوام	أبو بكر محمد الزبيدي تح: د. رمضان عبدالتواب	القاهرة ١٩٦٤
٥٩ – الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها	ابن السكيت اللغوي تح: د. رمضان عبدالتواب	القاهرة ١٩٦٩
٦٠ - المذكر والمؤنث	ابن فارس تح: د. رمضان عبدالتواب	القاهرة ١٩٦٩
٦١ – الحروف	الخليل بن أحمد الفراهيدي تح: د. رمضان عبدالتواب	القاهرة ١٩٦٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
٦٢ – كتاب الثلاثة	ابن فارس تح: د. رمضان عبد التواب	القاهرة	١٩٧٠
٦٣ – مختصر المذكر والمؤنث	للمفضل بن سلمة تح: د. رمضان عبد التواب	القاهرة	١٩٧٢
٦٤ – البلاغة	أبو العباس المبرد تح: د. رمضان عبد التواب	القاهرة	١٩٦٥
٦٥ – القوافي وما اشتقت ألقابها منه	أبو العباس المبرد تح: د. رمضان عبد التواب	القاهرة	١٩٧٢
٦٦ – تاج العروس من جواهر القاموس ج (١٠)	الزبيدي تح: ابراهيم الترزي ومراجعة عبد الستار فراج	الكويت	١٩٧٢
٦٧ – جوانب مضيئة من الشعر العربي	محمد عبد الغني حسن	مصر	١٩٧٢
٦٨ – بيت الحكمة	سعيد الديوه جي	الموصل	١٩٧٢
٦٩ – أنفاس الشباب	محمد رضا آل صادق	النجف	١٩٦٨
٧٠ الصوت والأصداء	« « «	النجف	١٩٧١

الفهرس العام

لمواد المجلد السابع والأربعين

منسوقاً على حروف الهجاء

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس الأعلام

لكتاب المقالات في المجلد السابع والأربعين

فهرس الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين